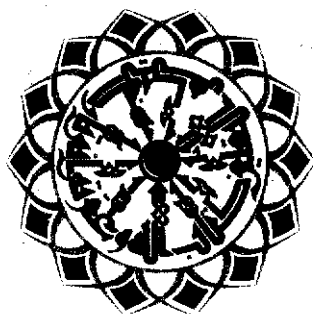


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سِرُّ الثَّقَلَيْنِ

مَجَلَّةُ إِسْلَامِيَّة جَامِعَةٌ

الْعِدَّةُ السَّادِسُ. السَّنَةُ الثَّانِيَّةُ. رَجَبُ الثَّانِي - مُجَادِي الثَّانِيَّةُ ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

المراسلات والاتصالات مع هيئة التحرير على العنوان التالي:

* الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم ص.ب: (٨٩٤ - ٣٧١٨٥) هاتف: ٧١٠٧٧١ فاكس: ٢٥١٧٩.

رسالة الثقلين

مجلة إلكترونية جامعة

* تعني بأهمية المساواة الإسلامية من منبج الثقلين
والدفاع عن حقوق القرآن الكريم وسنة الرسول الشريفة وخط أهل البيت الأطهار عليهم السلام
* استشرى الناسات الملتزمة والمسلمين والعلماء الأفاضل
التي تفسر في رسالة الثقلين للكرسي وحده الإسلام وبقية شئونها في أرجاء العالم
* الأنا لله في الموضوعة لا تشر بالضرورة عن رأي المجمع أو المنظمة
* لا يمكن أن تكون هناك إشاعة ولا اعتبارات فنية
* لم يرد من هذه المجلة نتائج الاحتفاظ بصورة منها لأنها لا تملك سلطة إصدار

محتويات العدد

■ كلمة التحرير

- * نظرات حول المرجعية ٤
مع نماذج من كبار رجال الغرب في منهج تناولهم للشرق الإسلامي

■ من آفاق القيادة الإسلامية

- * خطر الغزو الثقافي ١٠
ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامنئي (دام ظله)
الشيخ فؤاد كاظم المقدادي (العراق) ١٥٩
حقوق الإنسان بين الإعتابين الإسلامي والعالمي (١)
حقوق الانسان وتطور مفهومها
سماعة الشيخ محمد علي التسخيري ١٨٥

■ دراسات

- * دور أهل البيت (ع) في بناء الكتلة الصالحة (٥)

الشعائر الحسينية

- سماعة السيد محمد باقر الحكيم (العراق) ١٦
* ماهية العمل التفسيري للقرآن الكريم (١)

تحديد العمل التفسيري

- الشيخ محسن العراقي ٥٤
* الأخلاق في القرآن الكريم (٢)

القرآن الكريم والكمال البشري

- سماعة الشيخ محمد تقي مصباح البزدي ٩٣
* الحب الإلهي في أدعية أهل البيت (ع) (٤)

حب الله

- سماعة الشيخ محمد مهدي الأصفي ١٠٧
* أصول السيرة النبوية وتطوراتها في القرنين الأول والثاني

- الشيخ محمد هادي اليوسفي ١٣٣

■ من فقه مدرسة أهل البيت (ع)

* العدالة

- سماعة السيد كاظم الحائري ٢٧

■ شبهة ورد

- * نفي تحريف القرآن الكريم (٢)

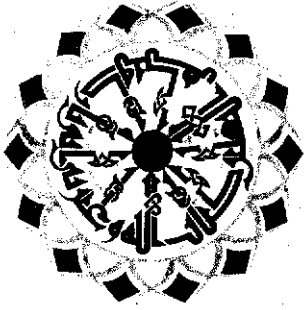
روايات شاذة لا مستمسك فيها

- سماعة الشيخ محمد هادي معرفة ٧٣

■ تحقيقات

- * رواية حديث الثقلين (٢)

- عبد الكريم رؤوف (العراق) ٢٠١



هَدَايَةُ الْمَجْمَعِ الْعَالَمِيِّ لِأَهْلِ الْبَيْتِ إِرَان - تم ص ب: ٨٣٧-٣٧١٨٥

الْعِدَّةُ السَّادِسَةُ. السَّنَةُ الثَّانِيَّةُ.

رَبِيعُ الثَّانِي - مَجَادِي الثَّانِيَّةُ ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

الْمَجْمَعِ الْعَالَمِيِّ لِأَهْلِ الْبَيْتِ

■ سؤال وجواب

- * أسئلة شرعية من المركز الإسلامي في واشنطن وأجوبتها
سماعة الشيخ محمد المؤمن ٢٢٥

■ استطلاع

- * المستقبل الإسلامي لشعوب دول آسيا الوسطى (تتارستان)
باقر الوائلي (العراق) ١٤٦

■ من غرر حكم أهل البيت (ع)

- * خير الخير
إعداد: السيد عبد الله الحسيني ٢٢١

■ حوار

- * في التقريب بين المذاهب الإسلامية ٢٤١

■ رأي

- * التأمر الصليبي على بلاد المسلمين
الشيخ عباس كوزاني (لبنان) ١٧٦

■ من أنباء القرى

- * أنباء وتقارير ٢٥١

■ فنون وآداب

- * فصيحة: «إنا أعطيناك الكوثر»
الشيخ محمد حسين الأنصاري (العراق) ٥٢
* قصة: «والتحق بركب النهار»
الشيخ عبد المجيد فرج الله (العراق) ٩٠
* عظة وعبرة: «يا ويح نعلبة»
أسامة البصري (العراق) ٩٩
* نظرة في كتاب البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي
الدكتور محمود البستاني (العراق) ٢٣٢
* خاطرة: «فاطمة الزهراء (ع) نور على نور»
الشيخ أبو المظفر (العراق) ٢٤٨

■ تعريف

- * كتاب المحاسن
إعداد: الشيخ مجتبى المحمودي ١٢٥

■ تقرير

- * الندوة العالمية للتقريب بين المذاهب الإسلامية ٦٨

نظرات حول البرهنية

تقوم فكرة المرجعية لدى الشيعة على أسس متعددة أهمها مسألة الاجتهاد والتقليد باعتبارهما مبدئين أصليين في عملية فهم الحكم الإسلامي والعمل به، ويعبر الإسلام من خلالهما عن مروتته وواقعته، فلا يمكن لكل أحد أن يستنبط الحكم الإسلامي، خصوصاً مع ملاحظة الفارق الزمني الطويل بيننا وبين عصر النصوص، الأمر الذي يتطلب تخصصاً لبعض الناس في فهم الشريعة والاجتهاد فيها ثم تعرض النتائج على الآخرين ليعملوا بها. وهو مضمون الآية الشريفة: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^١.

ولكي يُسدَّ الطريق على المتطفلين على الاجتهاد فقد وُضعت له أسس وقواعد تضبطه وتضمن إلى حد كبير قربه من الواقع.

ولأن المجتهدين قد يختلفون في عملية الاستنباط، وليس لأي رأي مهما سما أن يمنع من الرأي الآخر (إذا كان هذا الأخير منسجماً مع القواعد المطروحة) فقد ترك باب الاجتهاد مفتوحاً.

ومن الخطأ أن تتصور أن النصوص القرآنية الناهية عن الاختلاف تنظر إلى جانب الاختلاف الطبيعي في الاستنباط الصحيح من النصوص، وإنما تنظر إلى التنازع في المواقف العملية، وقد عمل المسلمون بهذين المبدئين لقرون ممتدة. إلا أن الكثير من

العلماء وتبعاً لاستدلالات عقلائية وتحوطاً للأحكام الشرعية طرحوا فكرة اشتراط «الأعلمية» في من يجوز تقليده، وذلك في خصوص موارد الإختلاف في الفتوى. وقد كان لهذه الفكرة الدور الكبير في السوق نحو قيام «المرجعية» كظاهرة طبيعية على امتداد المسيرة.

كما لا ننسى أن بعض العلماء كانوا يمتلكون من العظمة والسعة الحدّ الذي جعلهم مرجعاً لكلّ الأمة، لا بل كادت شخصيتهم العلمية الضخمة تسدّ أبواب الإجتهد كلّها، وذلك كما يقال بالنسبة لشخصية المرحوم الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى.

كما يمكن أن نعتبر حالة التشرذم والإستضعاف التي كان الشيعة يعيشونها خلال قرون - وخصوصاً في العصور الأخيرة، وشوقهم لقيادة دينية تجمع شملهم وتوحد كلمتهم وتدافع عن حقوقهم - من أهمّ العوامل في تركيز دور «المرجعية» في حياة الشيعة وخصوصاً في العصور الأخيرة.

وقد قامت المرجعية بأدوار ضخمة في المجالات العلمية والإجتماعية والسياسية ولا يمكن أن ينكرها أحد.

ومما ساعد على هذه الأمور قيام المرجعية بدور ولائي مستمدّ من النصوص التي تقرّر موضوع اشتراط الفقه في شخص «وليّ الأمر» الأمر الذي منح المرجعية القدرة على توحيد المواقف السياسية أحياناً، وتنظيم عملية جباية الخمس والزكاة وباقي الضرائب والوجوه الشرعية، وتنظيم الحوزات العلمية، والقيام بالخدمات الإجتماعية الكبرى، والإحتفاظ بالشخصية المستقلة للعالم الشيعي.

ومنذ حدوث التطوّرات والتعقيدات الإجتماعية، ونشوء الكثير من القضايا المستجدة، وتعقّد الكثير من المواقف السياسية والإجتماعية، ونفوذ الكثير من العناصر المعادية، اتّجهت المرجعية نحو تقوية جهازها وتوسيع معلوماتها وتنظيم أساليبها العلمية والعملية لمواجهة الموقف الجديد.

وقد شهد العالم الشيعي تحولات جيّدة في هذا المضمار في الحوزات الشيعيّة الكبرى في النجف وقم ومشهد، لا مجال لنا هنا لاستعراضها.

ولم تعد الدّراسات تقتصر على الأبواب التقليديّة كالصلاة والطّهارة، وإنّما راحت تتناول شيئاً فشيئاً بعض الأبواب الأكثر اجتماعيّة، وألّفت الرسائل في المسائل المستحدّثة، إلّا أنّها - والحقّ يقال - لم تتقدّم التقدّم المطلوب.

ومن المسائل التي شغلت بال الحوزات العلميّة والجماهير المؤمنة معاً في كثير من الفترات مسألة انتخاب «المرجع الأعلى»، خصوصاً بعد ازدياد عدد المجتهدين، وتعدّد المدارس، واشتداد حساسية الصراع مع قوى الكفر والإستكبار العالمي وتطوّر أساليبه في المواجهة والعداء.

وهذا ما يتجلّى بشكل أوضح عندما يتوالى فقدان العالم الإسلامي لشخصيّات مرجعيّة في فترة زمنيّة قصيرة، وهو ما حدث في يومنا هذا، حيث فقدت الأمة الشخصيّات التالية على الترتيب التالي:

آية الله العظمى الشهيد السيّد محمد باقر الصدر.

آية الله العظمى السيّد عبد الله الشيرازي.

آية الله العظمى الإمام السيّد الخميني.

آية الله العظمى السيّد المرعشي النجفي.

آية الله العظمى السيّد الخوئي.

آية الله العظمى السيّد السبزواري.

آية الله العظمى السيّد گلپايگاني.

رحمهم الله تعالى جميعاً وأسكنهم الفسيح من جنته.

وهذه الفواجع أحدثت توتراً شديداً وقلقاً مستمراً ناتجاً من تعدّد الولاءات وكثرة الإدّعاءات وغموض الحقيقة، وأثارت الشبهات حول الأساليب التقليديّة لانتخاب

المرجع، والعلاقة بين «المرجعية» و«ولاية الأمر» ومفهوم الأعلمية، وهل يقتصر على الصورة التقليدية له والتي يُعبّر عنها بالقدرة الأكثر على الاستنباط في الأمور المعروفة؟ أو أنها تحمل معها عناصر أخرى كسعة الإطلاع على القضايا الاجتماعية والسياسية العالمية، والقدرة الأكبر على تنقيح المواضيع التي يراد معرفة أحكامها، بما يسمح للأعلم أن يكون أقرب من غيره في معرفة الموقف الإسلامي من القضية، خصوصاً إذا لاحظنا الترابط الوثيق بين مواقف الإسلام وأحكامه ومفاهيمه في كلّ المشاكل الحياتية الإنسانية؟

كل هذه التساؤلات طُرحت على صعيد البحث لا العلمي فقط، وإنما على الصعيد الثقافي العام، وحقّ لها أن تُطرح على كلا الصعيدين وإن اختلفت لغة الطرح بينهما. ولسنا نستطيع أن نبتعد عن هذه المشكلة أو ندفن رؤوسنا في الرمال تاركين الأمور تتخذ بنفسها مجراها الطبيعي، فعلياً إذاً أن نقول كلمة في هذه المسألة الخطيرة راجين أن ينظر الجميع إليها بعين الإخلاص في قول الحقيقة.

إننا نعتقد أنّ الأساليب القديمة التي تمّ التعامل بها في مجال انتخاب المرجعية العامة، حيث أوكلت الأمور إلى نوعيّة الظروف وقدرة التبليغ بالإضافة إلى المقام الذاتي الذي يملكه المرجع. هذه الأساليب إن كانت ناجعة في العصور الماضية عصور التشرذم والاستضعاف فهي اليوم تكاد تنقلب على أهدافها في عصر الطلائعية الشيعية لكلّ العالم الإسلامي، عصر الكلمة الشيعية الأولى في قبال كلّ الطواغيت وكلّ القوى الاستكبارية.

إذاً لا نستطيع أن نترك الأمور على عواهنها خصوصاً مع ملاحظة العداء الاستكباري المخطط لضرب الثورة الإسلامية، وتركيز الأعداء على المرجعية، ومحاولة النفوذ من خلالها.

إننا بحاجة لأسلوب جديد منسجم مع القواعد الشرعية لانتخاب «المرجعية»، هذا

كَلِمَةُ الْيَجْزُ

بالإضافة إلى أننا بحاجة تامة للتأكيد على الدور الأساس للمرجعية، وتخليصها ممّا أضيف إليها.

فالمرجعية مرجعية في الفتوى، عليها أن تقوم بعرض الوقائع على النصوص والمنابع الإسلامية، واستنباط الموقف الإسلامي عبر عملية إجتهدية تحمل كلّ عناصر الإجتهد المطلوبة.

وإذا أريد لها أن تكون مرجعية عامّة لكلّ قطاعات الأمة وواعية لكلّ القضايا الفقهية وكلّ ما له دخل في تنقيح الموقف الصحيح من أمور إجتماعية وسياسية وحقوقية وغيرها، كان المفروض بها أن تستعين بـ لجنة فتوائية مشكّلة من كبار العلماء بالإضافة لكبار المتخصّصين بمختلف القضايا التي يُراد منها معرفة الموقف الإسلامي الأصيل. وربما كان من غير الممكن بمكان أن تتصوّر أن الإجتهد الفردي المنعزل يستطيع أن يلمّ بكلّ القضايا اليوم، وربما أمكن القول هنا إنّ قيام «دار للإفتاء» تضمّ النخبة من علماء الشريعة هو الحلّ الأمثل لهذه المشكلة، خصوصاً إذا رأينا أنّ كلّ الأدلّة المذكورة للتقليد - والمعروف منها هو بناء العقلاء - تنسجم تمام الإنسجام مع هذا الطرح.

أمّا المسألة القيادية في الأمة فلا بدّ أن تترك بشكل واضح إلى «وليّ الأمر» الفعلي القائم بتنظيم شؤون المسلمين.. ولا معنى لتصوّر قيادتين فعليّتين في الأمة الواحدة والطائفة الواحدة، فضلاً عن تصوّر أنّ كلّ فقيه وليّ مطلقاً على كلّ النفوس والأعراض والأموال في أية نقطة من العالم! وإن النظرية السياسية الإسلامية، والواقع وكلّ بناء العقلاء ومجمل النصوص الآتية في الولاية تأبى ذلك.

إننا من هنا نعلنها حقيقة مرّة وربما ضاقت بها بعض النفوس، ونؤكد على أنّ الأسلوب التقليدي في انتخاب المرجعية لم يعد أسلوباً نافعاً، بل يحمل معه نقاط ضعف كبرى يمكن أن ينفذ من خلالها العدو ويسري معه الوهن في الجسم العام. كما نؤكد أنّ الولاية لا تتعدّد مطلقاً بمقتضى كلّ الملاكات المطروحة.

وحينئذٍ فعلى الواعين من أبناء هذه الأمة أن يعملوا على تركيز هاتين الحقيقتين المهمتين، حتى نضمن قدسية المرجعية ودورها الفاعل، وحتى لا نشهد بعد هذا ضياع الكثير من مصالح الأمة ووقوعها تحت رحمة النظرات الفردية والتزعزعات الروحية المائلة إلى الإفراط أو التفريط.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«أَوْثَقُ عُرْيِ الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ
فِي اللَّهِ وَتَوَالِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَالتَّكَبُّرُ مِنْ
أَعْيَادِ اللَّهِ» ج ٢ ص ١٢٦

خَطَرُ الْغَزْوِ الثَّقَافِيِّ*

في البداية أُشير إلى نقطة وهي أن الغزو الثقافي يختلف عن التبادل الثقافي، فإنَّ التبادل الثقافي أمرٌ ضروري، ولا تكون أمةٌ في غنى عن أن تكتسب العلوم والمعارف من الأمم الأخرى في كافة المجالات، ومن ضمنها المجال الثقافي وما ينضوي تحت هذا العنوان. وعلى مدى التاريخ كان الأمر كذلك، وكانت الأمم تتبادل فيما بينها آداب الحياة والأخلاق والعلوم والأزياء، وآداب المعاشرة واللغات والمعارف الدينية.

وكان التبادل الثقافي بين الأمم من سائر المبادلات الاقتصادية وتجارة البضائع، وكثيراً ما أدَّى هذا التبادل الثقافي إلى تغيير الدين في دولة بأسرها. وعلى سبيل المثال فإنَّ أهم ما حمل الإسلام إلى دول شرق آسيا والمشرق الإسلامي كأندونيسيا لأول مرة لم يكن السيف ولا القتال، بل الرحلات التجارية والسياحية التي قام بها التجار والسائح المسلمون إلى هناك.

وكذلك فقد استلهمت أمتنا الكثير من الأمم الأخرى، وهذا نهجٌ ضروري لتجديد المعارف والحياة الثقافية في كل أرجاء العالم. وهذا هو معنى التبادل الثقافي الذي هو معنى مرغوب فيه ومطلوب.

(*) مختارات من الخطاب القيم لآية الله السيد علي الخامنئي ولي أمر المسلمين بتاريخ ١٣/ صفر/ ١٤١٣ هـ.

أما معنى الغزو الثقافي فهو أن تشنّ قوّة سياسية أو اقتصادية حرباً على المبادئ الثقافية لشعب من الشعوب، وذلك لتنفيذ أهدافها الخاصة والتحكّم بمصير ذلك الشعب. إنهم يفرضون بالقوّة عقائد جديدة على تلك الدولة وعلى شعبها من أجل ترسيخها بدلاً من ثقافة ومعتقدات ذلك الشعب، وهذا هو الغزو الثقافي.

إنّ الهدف من التبادل الثقافي هو تعزيز ثقافة الأمة، ولكنّ الهدف من الغزو الثقافي هو اجتثاث أصول الثقافة الوطنية والقضاء عليها. ففي التبادل الثقافي تستلهم الأمة الثقافة والامور الملائمة والمناسبة لها. فلو فرضنا أن الشعوب الأوروبية تسعى بجِدِّ لتطوير نفسها مستفيدة من روح المغامرة والاقدام. وأن شعبنا لاحظ ذلك وتعلّم منها فهذا أمر عظيم الفائدة. ولو أنّ شعبنا يتّجه نحو شعوب الشرق الأقصى فيشاهد أن تلك الشعوب دؤوبة في عملها ومقدّرة لقيمة وقتها، وأمورها منظّمة، تتبادل فيما بينها الودّ والوئام والاحترام فيتأثر إيجابياً بتلك الخصال فإنّ هذا أمر حسن أيضاً:

وفي التبادل الثقافي تتمكّن الأمة من اكتساب الابعاد الايجابية في الثقافات المتبادلة والمسائل التي تكمل ثقافتها. وكما يقصد الانسان الضعيف الطعام أو الدواء المناسب حتى يستعمله فيصحّ جسمه، فإنّ الأمة تبحث عن ما يلائمها من الامور الثقافية فتتعلّمها.

أما في الغزو الثقافي فإنّ ما يغزون به أمة من الامم لا يكون إلاّ شراً. فمثلاً عندما شنّ الأوروبيون حملتهم الثقافية على بلادنا فإنّهم لم يأتونا بروح الاهتمام بالوقت ولا بالشجاعة ولا بحبّ المغامرة في القضايا والبحث والتنقيب العلمي، ولم يحاولوا بإعلامهم أن يصنعوا من إيران شعباً محبّاً للعمل والعلم. لقد جاؤونا بالتحلّل الجنسي فقط، فإنّ أمّتنا كانت منضبطة جنسياً لآلاف من السنين مضت، أي إنّها تراعي قضية تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة، طبعاً لا بمعنى أن أحداً لم يكن يرتكب خطأ أو مخالفة، فإنّ الخطأ أمر واقع لا محالة في جميع العصور وفي مختلف المجالات، وأفراد

من آفاق القيادة الإسلامية

البشرية معرضون للخطأ دائماً.

إن ارتكاب أخطاء متفرقة شيء، وأن يصبح الخطأ عرفاً اجتماعياً مقبولاً لدى الأمة شيء آخر. إن شعبنا منزّه عن الخوض في اللهو والعبث الواسع، وهذه الأمور كانت منحصرة بالمترفين والسلاطين والامراء وأمثالهم الذين كانوا يحيون ليلهم حتى الصباح بممارسة الفواحش. ولأنّ الأوربيين كانوا يقضون ليلهم ونهارهم في نوادي الخمر والفحشاء، أرادوا أن يفرضوا علينا هذه العادة المشؤومة الفاسدة. اذهبوا وانظروا في السجل التاريخي لأوروبا، ستجدون أن الفساد كان منتشرأ بينهم على امتداد تاريخهم، وكانوا يسعون جاهدين لنقل هذا الفساد إلى شعبنا، وقد حققوا هذا الأمر بمقدار ما كانوا يستطيعون.

في الغزو الثقافي يُعطي العدو لهذا الشعب أو ذاك الجانب الذي يريده من الثقافة، ومن المعلوم ما هو نوع الجانب الثقافي الذي يريد أن يعطيه لشعب ما عدوّ ذلك الشعب. وإذا كنّا قد مثلنا للأمة المكتسبة للثقافة في باب التبادل الثقافي بإنسان يبحث عن علاج أو غذاء ملائم لطبعه فيستفيد منه، فإنّ مثالنا في باب الغزو الثقافي سيكون عبارة عن إنسان مريض ملقئ على الأرض، ولا يقدر على الحراك، ويأتيه عدو له ليزرق أبرة في جسده، فمن الواضح ما هو نوع الابرة التي سيزرقها له ذلك العدو المفترض. إنّ هذه الابرة تختلف جوهرياً عن الدواء الذي تذهبون بأنفسكم وتختارونه لزرقه في أبدانكم حسب إرشاد الطبيب.

إنّ التبادل الثقافي فعل منسوب إلينا، أما الغزو الثقافي فهو من فعل الاعداء. والعدو يقوم به ليجتث جذور ثقافتنا. التبادل الثقافي يتحقق في حالة تكون الأمة في كامل قوّتها ووعيتها، أمّا الغزو الثقافي فيحصل عندما تضعف الأمة. فإنكم تلاحظون أنّ المستعمرين عندما قصدوا احتلال آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية أرسلوا الهيئات المسيحية والحركات التبشيرية قبل أن يرسلوا رجال السياسة والجيش إلى تلك المناطق. في

البداية نصّروا السكان الملّونين والسود، ثم ألّقوا بحبالهم على رقابهم، ومن ثم طردوهم من ديارهم.

انظروا في تاريخ إيران المعاصر في عهد القاجاريين، ستعلمون كم أرسل الأوروبيون من هيئات تبشيرية إلى إيران، ولكن هذه الهيئات عجزت كاللص المبتدئ عن تشخيص نقطة البداية التي تنطلق منها في التبشير، ولذا لم يحققوا شيئاً من أهدافهم. وبالطبع لم يكن أصحاب رؤوس الاموال والشركات وقراصنة العالم حريصين على المسيحية ومعتقدين بالمسيح عليه السلام، أين هم من المسيح عليه السلام؟ غاية الامر أنّه عندما توجد لدى شعب ثقافة ذاتية تدافع عن حيّثيّة ذلك الشعب، فإنّ أول خطوة ينبغي اتّخاذها هو سلب هذه الثقافة من أصحابها، كما هو الأمر حينما تحاول مجموعة من الجند اقتحام قلعة مستحكمة، فإنّ أول عمل يؤدّونه هو الهجوم على أركان القلعة حتى تنهار تلقائياً. إنهم يقومون بكل ما يمكن أن يؤدّي إلى إضعاف أسوار القلعة، وحتى لو تطلّب الأمر فإنهم سوف يبنونهم.

يحكي الشاعر «سعدي» في كتابه «گلستان» حكاية مؤدّاها أن عدّة لصوص ذهبوا لسرقة أموال قوم نيام، يقول: إن أول عدو هجم عليهم كان نائماً معهم، قام هذا العدو الداخلي في البداية بشد أعينهم وتقييد أيديهم، ثم ظهر العدو الخارجي فشدّ وثاقهم جميعاً وأتى على ما لديهم. والعدو هكذا يصنع في الهجوم الثقافي، في البداية يخدّر الناس ومن ثمّ ينهب كل ما لديهم.

إنّ الغزو الثقافي تماماً كالعمل الثقافي يتمّ بهدوء ومن دون ضجّة. وأحد أساليب الغزو الثقافي هو محاولاتهم الدؤوبة لأنّ يُعرض الشباب المؤمن عن مراعاة حدود الايمان التي لا يمكن التساهل والتسامح فيها، تلك الحدود التي تمثّل ثقافة وحضارة مستقلّة. وهذا هو نفس الاسلوب الذي اتّبعوه من قبل في الاندلس، لقد جرّوا الشباب إلى دنيا الفساد والشهوة وتعاطي المخدرات، وهم يوجدون هذه الاعمال في الوقت

مِنْ آفَاقِ الْقِيَادَةِ الْأَسْلَامِيَّةِ

الحاضر. لقد قلت مراراً أن البعض يرون عدة نساء في الشارع لا يلتزمن كثيراً بالحجاب، فتدمنى قلوبهم. بالطبع إن هذا عمل سيء، ولكنه ليس العمل السيء الرئيسي. العمل السيء الرئيسي هو ما لا ترونه في الشوارع والأزقة. قال شخص لآخر: ماذا تفعل؟ أجابه أقرع طبلًا. قال: لماذا لا يخرج منه صوت؟ قال: سوف يخرج صوته غداً.

لو لم يتيقظ الشعب والمسؤولون الثقافيون فإن صوت انهيار القيم المعنوية الناشئ عن الغزو الخفي للعدو سوف يسمع بعد فوات الأوان ولات حين مناص. ولو أنهم أرادوا أن يحاصروا الشاب الذي سبق أن ذهب إلى الجبهة فإنهم يعطونه في البداية جهاز (فيديو) ثم يثيرون شهوته بوضع الأفلام الجنسية القذرة في متناول يده، ثم يجزّونه إلى عدّة مجالس لهو وفجور، وحينئذ فلن نستطيع أن نفعل شيئاً. ليس من الصعب جرّ شاب في عتفوان شبابه إلى الفساد، خصوصاً إذا كانت الجهة التي تقوم بذلك لها تشكيلات متعدّدة ومنظّمة، والعدو منهمك الآن في مثل هذه الاعمال.

من يقوم بهذه الاعمال غير الاعداء؟ يستولي حبّ الشهوات على الشباب فيفقدون إيمانهم. ربّما يبكي ذلك الشاب في بداية انحرافه ولكنه يعتاد تدريجياً على ذلك. إنّ الاعداء يعملون على إفساد أطفال مدارسنا سواء الابتدائية أو المتوسطة أو الثانوية. يوظّفون شخصاً ليدخل المدرسة ويوزّع المواد المخدرة والصور الخلاعية على الاطفال فيها. وأنا أتساءل ماذا يجب أن نقول لمدير المدرسة الذي يتعامل بحذر شديد تجاه محاولات إفساد (٥٠٠) أو (٦٠٠) أو (١٠٠٠) شاب يافع جعلوا أمانة في رقبته، ويلوي أذن صبي خبيث جعله العدو وسيلة لإيصال الهيروثين إلى المدرسة؟ ما هذا الأسلوب؟ أنت تعمل ضد الحرية، هل يصحّ هذا الكلام؟ يقول مدير المدرسة: لقد أمّنوا عندي مصير آلاف الشباب ولا أريد أن أرجعهم إلى ذويهم وقد أصبحوا يتعاطون الهيروثين، فهل من الصحيح أن نقول له: كلاً؟ المفروض أن تتركهم أحراراً في اختيارهم، الهيروثين يوزع في المدرسة، والذي يريد أن يتعاطاه فليفعل، والذي لا

يريده لا يجبره أحد. وأنت لك الحق في التكلم حول مضارّ الهيروئين. أليس هذا التعامل حلقة من حلقات الغزو الثقافي؟.

أريد أن أخلص إلى نتيجة من كل هذا الكلام، وتتمثل هذه النتيجة في أن العناصر المؤمنة والحريصة تستطيع الوقوف مقابل الغزو الثقافي، اجعلوا العناصر المؤمنة والحريصة مورد اعتزازكم دائماً، هذا هو ما أريد قوله، أنا أوصي جميع المسؤولين الثقافيين في البلاد بدءاً بوزارة التربية والتعليم ومروراً بوزارة الإرشاد الاسلامي، وانتهاءً بمنظمة الإعلام الاسلامي وبقية المؤسسات والمراكز الثقافية أن يعتمدوا جميعاً على العناصر المؤمنة والتي هي من الثورة وإليها. وليس مقصودي من هذا الكلام أنه إذا كان هناك شاب غير ثوري فامسكوا بيده واطردوه خارجاً، كلاً فإنّ أحداً لم يدع ذلك. وليس هذا منطق الاسلام أو الثورة. افسحوا المجال للجميع، وكل من يرغب بالعمل لهذا الشعب فليعمل. نحن نقول لا تسمحوا بانزواء الكوادر الحريصة على ميادين العمل. لو هجم العدو يوماً على البلاد فمن الذي سوف ينهض بأعباء الدفاع عنها؟ لن يذهب سوى ذلك الانسان الذي يكون تعلّقه بوطنه وأمتّه أكثر، واهتمامه بالزخارف الدنيوية أقل وإحساسه بالمسؤولية والتزامه أكبر.



دَوْرُ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فِي بِنَاءِ الْكَلِيلَةِ الصَّالِحَةِ

(٥)

تناولت الدراسة في الحلقة السابقة اهتمام أئمة أهل البيت عليهم السلام بتأسيس وتنشيط المؤسسات الثقافية والعلمية، والتي كان لها الأثر الكبير على ثقافة ومعارف اتباع أهل البيت عليهم السلام. وفي مقدمتها الحوزات العلمية والمساجد الحسينيات وإقامة الشعائر الحسينية. وفي سياق البحث عن الشعائر الحسينية سيتم في هذه الحلقة تناول شعائر المجالس الحسينية ودورها في توعية المؤمنين ثم تناول اهتمام أهل البيت عليهم السلام بالجانب الروحي والمعنوي في بناء الكتلة الصالحة.

ج: المجالس الحسينية:

وهي الاجتماعات التي يعقدها أتباع أهل البيت سواء في أيام المصيبة العظمى في محرم وصفر، أو في الأيام الأخرى من العام، والتي يتداولون فيها حوادث هذه المصيبة والمأساة وغيرها من القضايا الدينية. وقد جاءت في البداية تعبيراً عن الحزن العميق لمصاب الإمام الحسين عليه السلام وتجسيداً لعظم المصيبة التي نزلت به وبأهل بيته والأبعاد المأساوية التي اشتملت عليها حادثة كربلاء، وكذلك الوحشية التي اتسمت بها الطغمة الأموية والطاغة يزيد والتي كشفت عن عمق الحقد والعداء الذي

تكنه هذه العصابة المجرمة ضد الإسلام ورسوله وأهل بيته الكرام. ثم تطورت هذه الشعائر الحسينية إلى مدرسة سيّارة لأتباع أهل البيت تلبّي جميع الحاجات الثقافية والسياسية والعاطفية والاجتماعية لهذه الكتلة الصالحة وتمكّن من التحرك في وسطها في مختلف الظروف.

وقد بدأت هذه المجالس منذ الأيام الأولى للمأساة في مدينة الشام عندما بدأ يزيد بالتراجع أمام بدايات الوعي الجماهيري لأبعاد المصيبة من خلال التوعية الشاملة التي قامت بها العقيلة زينب الكبرى والإمام زين العابدين عليهما السلام عند ورود موكب السبايا إلى الشام وحضورهم في مجلس يزيد بن معاوية. حيث تشير بعض الروايات إلى أن الإمام زين العابدين عقد مجلساً تأييدياً في الشام لمدة ثلاثة أيام^١.

وعلى الأقل فإن أهل البيت وبعض زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأم سلمة أقاموا مجالس العزاء في المدينة المنورة عند رجوع عيالات الإمام الحسين ومعهم الإمام زين العابدين إلى المدينة^٢.

وبقي أهل البيت عليهم السلام يعقدون هذه المجالس كلما أتاحت لهم الفرصة، وخصوصاً في أيام عاشوراء ويحتون شيعتهم ومواليهم على عقدها. وقد تقدّمت الإشارة إلى بعض النصوص التي تتحدث عن هذه الممارسة لأهل البيت عليهم السلام. والحديث عن المجالس الحسينية (تاريخها وأبعادها وآثارها وفلسفتها) حديث واسع، ولكن نشير هنا بشكل إجمالي إلى بعض هذه الأبعاد.

الأول: المحافظة على هذا الحدث المهم الذي يمثل أطروحة إلهية لتوعية الأمة الإسلامية في الرسالة الخاتمة من الضياع أو التشويه والتحريف.

(١) شبر، عبد الله: جلاء العيون ٢: ٢٦٤.

(٢) عن طبقات ابن سعد عن أم سلمة أنه لما بلغها قتل الحسين عليه السلام قالت: أو قد فعلوها ملائكة بيوتهم وقبورهم ناراً ثم بكّت حتى غشي عليها. نفس المضمون: ٤١٩.

الحسين عليه السلام على أنها عملية خروج على السلطة الشرعية (الخوارج) وعلى أنها شق لعصا المسلمين ووحدتهم. وحاولت أن تعتم على شخصية الإمام الحسين وأهدافه وخلفية نهضته وأسبابها وظروف المحيطة بها، لأن كل ذلك هو الذي يمكنه أن يوضح الحقيقة الناصعة التي قامت على أساسها هذه الثورة العظيمة في تاريخ المسلمين حتى أن يزيد - مثلاً - حاول في بدايات الأمر أن يتنصل من مسؤولية هذا الحدث ويلي تبعته على ابن زياد. ولكن التخطيط الواعي لأهل البيت عليهم السلام من خلال المجالس الحسينية تمكن من حفظ معالم هذه الثورة من الضياع، وبقيت محفوظة في التاريخ الإسلامي وفي حياة المسلمين بجميع تفاصيلها وخصوصياتها^(١).

الثاني: إبقاء الحدث حياً وفاعلاً ومؤثراً في الجانب الوجداني لضمير الإنسان المسلم، لأن أحد الأهداف الرئيسية لهذه الثورة هو هز هذا الضمير وإحيائه وتحريكه عندما يتعرض إلى الموت أو الخدر الحضاري، أو يقع تحت تأثير الضغوط النفسية أو أساليب الإرهاب، بحيث ينتهي بالإنسان إلى فقدان الإرادة مع إدراكه للحقيقة.

وبهذا أصبحت هذه المأساة عاملاً محرّكاً ليس للجيل المعاصر لها فحسب، بل أصبحت عاملاً محرّكاً على مستوى الوجدان والضمير والإحساس على مرّ العصور والأجيال.

وقد كان للصور الرائعة التي قدّمها أهل البيت في تجسيد المأساة، وساهم في رسمها والتعبير عنها شعراء هذه المدرسة في ملاحظتهم على مختلف العصور دور رائد في هذا المجال.

وبهذا يمكن أن نفهم معنى الروايات التي وردت في قول الشعر في مصيبة الإمام

(١) من الطبيعي أن نجد اختلافاً في بعض التفاصيل، كما أننا لا ننتهي كل ما ورد في قضية الحسين عليه السلام من تفاصيل. وإنما أقصد من التفاصيل والخصوصيات المعالم الأساسية في هذه الثورة واتجاهاتها وتخطيطها وميزراتها وخلفياتها ومآسيها. وإن كانت التفاصيل قد تفاوتت في التعبير عن ذلك.

الحسين عليه السلام بشكل خاص^١، وهذا الحجم الهائل من الشعر في الإمام الحسين عليه السلام الذي لا يكاد يوجد له نظير في الأدب الإنساني.

وكذلك إبقاء الحدث حيّاً وفاعلاً ومؤثراً في جانبيين آخرين هما:

أولاً: الوعي السياسي للأحداث التي تمرّ بالأمة خصوصاً في إطار الكتلة الصالحة التي تميّزت من بين جميع المذاهب الإسلامية بهذا الوعي العميق والأصيل للأحداث السياسية، والتزمت جانب المبادئ الإسلامية والأخلاق الثورية.

وثانياً: الرؤية الإسلامية الصحيحة للحكم الإسلامي ومقوماته، والقدرة على التمييز بين الصحيح والخطأ في ممارسات هذا الحكم. مع القدرة على تمييز الخطوط الخضراء والحمراء التي يصحّ السكوت عنها رعاية للمصلحة الإسلامية، أو التي تشكّل تهديداً للإسلام بحيث تفرض الثورة والتصدي.

الثالث: المحافظة على العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين أفراد الكتلة الصالحة ومن يتفاعل معها من المسلمين، ولكن ضمن الإطار الصحيح لهذه العلاقات المتمثل بالأهداف والأخلاق الحسينية.

فقد أصبحت المجالس الحسينية مجالاً لتأكيد هذه العلاقات وتمتين أواصر المحبة والصلة بين أفراد الجماعة. وفرصة للتعبير عن روح التعاون والاخوة، كما هي في نفس الوقت فرصة للإنفاق والبذل والعطاء ورعاية الضعفاء والفقراء والتعرّف على أوضاعهم حيث يشارك ويساهم في هذه المجالس أكبر مساحة من الجمهور المسلم وبمختلف مستوياته الاجتماعية والدينية.

وقد حفظ هذا البعد في التخطيط وحدة الكتلة الصالحة في حركتها الاجتماعية والإنسانية في مسيرة التاريخ بالرغم من المصاعب والمحن والآلام.

(١) عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى به إلا أوجب الله له الجنة وغفر له. وسائل الشريعة ١٠: ٤٦٤.

الرابع: نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة التي كانت تواجه في بعض الأدوار التاريخية محاولات الحظر والإرهاب الفكري والجسدي أو تواجه مشكلات عدم توافر الوسائل والإمكانات البشرية أو المادية لنشر هذه الثقافة.

فقد كانت ثقافة مدرسة أهل البيت بمختلف أبعادها العقائدية والأخلاقية والسلوكية والتاريخية.. ذات ميزات وخصائص ترتبط بالخصائص التي يتميز بها الخط الأصيل للإسلام الذي انتهجه أهل البيت عليهم السلام. ولم تكن الفرصة مهيأة - بل كانت في بعض الأحيان محظورة - لنشر هذه الثقافة - كما إن المؤسسات الدينية كالمدارس والمساجد والمراكز الثقافية الأخرى لم تكن متميزة أو متوافرة، الأمر الذي كان يهدد هذه الكتلة الصالحة بالذوبان أو الضياع أو الجهل والتعصب الأعمى، فكانت المجالس الحسينية المدرسة الثقافية المتحركة التي تلبي هذه الحاجات المختلفة. فقد قال الصادق عليه السلام لفضيل: تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيأ أمرنا^(١).

الأهداف الأساسية للشعائر الحسينية:

ومن هذا الإستعراض للشعائر الحسينية وأهدافها وآثارها يمكن أن نعرف أن هذه الشعائر كلما اقترنت من تحقيق أهدافها مع وضعها في الإطار الصحيح للممارسة كانت مؤدية لوظيفتها الحقيقية التي أرادها أهل البيت عليهم السلام. وبدون ذلك تصبح شكلاً بدون مضمون، وتكون نظير الصلاة التي لا يقبل فيها الإنسان على الله تعالى.

ويمكن تلخيص هذه الأهداف بالأمور التالية:

الأول: الارتباط الروحي والنفسي والعاطفي بالإمام الحسين عليه السلام وأهل البيت وأهدافهم في هذه النهضة العظيمة.

(١) تفسير القمي: ٦٦.

الثاني: الرؤية السياسية والدينية الصحيحة لقضية الحكم والأحداث السياسية الأخرى التي تواجهها الأمة الإسلامية في قضايا الظلم والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحكم الإلهي.

الثالث: التربية الأخلاقية الأصيلة في الحركة السياسية والاجتماعية التي تتمثل في التضحية والفداء والصبر والشعور بالمسؤولية تجاه قضايا المسلمين، والتزام جانب الحق والوفاء بالعهد والميثاق والإخلاص لله تعالى، والصمود والثبات على المبادئ.

الرابع: نشر الثقافة والوعي الإسلامي في مختلف أبعادها الإسلامية ورفع درجة الإحساس والشعور في النفس الإنسانية، وإيقاظ الوجدان والضمير.

الخامس: ترسيخ علاقات الأخوة والتعاون بين المؤمنين.

القسم الثاني: الشعائر الحسينية التي لم يرد النص فيها عن أهل البيت والتي تم ابتكارها واختراعها من قبل أتباعهم، مثل المواكب الحسينية، وشعائر تشبيه وتمثيل مشاهد المأساة التي جرت على الحسين عليه السلام، أو المسيرات الشعبية، وغيرها من الشعائر التي يمارسها المسلمون من أتباع أهل البيت في الأدوار المختلفة أو التي يمكن أن يتم اختراعها في المستقبل.

والحديث في هذا القسم يقع في نقطتين:

الاولى: في المبررات الشرعية لأداء مثل هذه الشعائر التي لم يرد النص فيها عن أهل البيت (النص على مستوى القول أو الفعل أو الإقرار).

ولعل أفضل المبررات لذلك هو أن أي ممارسة أو أداء يمكن أن يكون تعظيماً للحسين، أو تذكيراً للمسلمين بمصابه وأهدافه فهو أمر مشروع تصدق عليه القاعدة القرآنية، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^١ ذلك أن

الحسين عليه السلام (ثار الله) فهو شعيرة من شعائر الله تعالى، وتعظيمه تعظيم لشعائر الله تعالى.

الثانية: في الحدود والإطار الذي لابد أن تمارس فيه هذه الشعائر التي يبتكرها الإنسان بحيث تكون مصداقاً للقاعدة القرآنية التي أشرنا إليها. ذلك أن القسم الأول من الشعائر يصح أن نمارسه في جميع الأحوال، حيث ورد النص على شكله عن أهل البيت، وهو يمثل خطأ ثابتاً في هذه الشعائر.

وأما القسم الثاني فلا بد أن يكون في مشروعيته مشتملاً على المضمون والمحتوى الذي وضعه الله تعالى لها، وهو أن تكون تعظيماً لشعائر الله، وإلا فمجرد أن يدعي الإنسان أنه يؤدي هذا العمل من أجل الحسين لا يكفي أن يكون تعظيماً للحسين عليه السلام.

ويمكن أن يوضع هذا المضمون في خطين أساسيين:

أحدهما: الخط الإيجابي، وهو الأهداف التي وضعت للشعائر الحسينية في الخط الثالث لها، وهي النقاط الست. ويمكن ما تحققه هذه الشعائر من تلك الأهداف تصبح هذه الممارسات تعظيماً لشعائر الله تعالى.

ثانيهما: الخط السلبي، وهو أن لا تكون هذه الممارسات سبباً لهتك حرمة الإسلام، أو مذهب أهل البيت عليهم السلام، أو تشويه الرؤية له لأنها ذات شكل لا ينسجم مع الأهداف الحقيقية لأهل البيت. حيث يمكن أن نشاهد ذلك في بعض الممارسات التي لا نجد لها مثيلاً في أي لون من ألوان العبادات والسلوك الذي أقره الشارع المقدس في مقام التعبير عن الارتباط بالله تعالى والحب له، أو التعظيم والتمجيد لذاته المقدسة.

وكذلك الممارسات التي يتفّر منها الوجدان الصافي والذوق الإنساني السليم، أو التي لا يجد لها تفسيراً منطقياً ينسجم مع العقل والفطرة الإنسانية السليمة، بل هي تعبّر عن انفعالات صاخبة وعواطف هوجاء وتصوّرات لا تستند إلى أي مستند شرعي، إذ لا

يوجد لها أيّ نظير في الممارسات الشرعية، ولذلك تمارس في الأوساط التي تتسم بالسذاجة وقلة المعرفة والثقافة الإسلامية.

رابعاً: الجانب الروحي والمعنوي:

يعتبر الجانب الروحي والمعنوي الذي يرتبط بقضية المشاعر والعواطف والإحساسات الروحية والمعنوية جانباً مهماً في النظرية الإسلامية، ولعلّه يأتي في المرتبة الرابعة من حيث الأهمية بعد العقيدة والأخلاق والثقافة. ذلك أنّ سلوك الإنسان الذي هو نتاج طبيعي لإرادته وعزمه، يتأثر بشكل مباشر بهذا الجانب. وتمثل الجوانب الأخرى السابقة الأساس والخلفية والقاعدة التي يمكن أن تركز عليها هذه العواطف والمشاعر، أو تنطلق منها أو توجهها الوجهة التي تنسجم معها، لأنّ المشاعر والعواطف والأحاسيس تمثل الطاقة المحركة التي تمد السلوك الإنساني بالحركة والفاعلية والنشاط، بالرغم من أنّ هذا السلوك يخضع لإرادته ولنتاج هذه الإرادة.

ومن هنا نجد هذه العلاقة والتناسب والموازنة بين مشاعر الإنسان وأحاسيسه وحركته ونشاطه. وكلّما كان الإنسجام قائماً بين هذه المشاعر والأحاسيس ومنطلقاته العقلية والأخلاقية والثقافية كان عزمه وصموده وإرادته أقوى وأشدّ. وكلّما كان العزم والإرادة والصمود أقوى كان اندفاعه وحركته ونشاطه أقوى وأقدر على الإستمرار والبقاء.

ومن هذا المنطلق اهتم أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة بالجانب الروحي والمعنوي وتوجيهه الوجهة الصحيحة التي تنسجم مع مجمل الأهداف من ناحية، والمنطلقات العقائدية والأخلاقية والثقافية من ناحية أخرى.

ويمكن أن نلاحظ في هذا المجال مجموعة من النقاط ترسم لنا الخطوط الرئيسية التي وضعها أهل البيت لبناء هذا الجانب الروحي والمعنوي، نجدها فيما وصلنا من

آثارهم وتوجيهاتهم لأتباعهم ومعالجتهم لقضاياهم.

الأولى: روح التقوى ومزج الإيمان بالعمل:

تصعيد روح التقوى والتأكيد على قضية الارتباط بالله تعالى وذلك من خلال ثلاثة خطوط رئيسية:

أولها: منحج الصلاة والدعاء والمناجاة. حيث يلاحظ هذا الإهتمام العظيم في مدرسة أهل البيت بقضية الدعاء، وهذه الثروة الغنية والكنوز الثمينة من الأدعية الشريفة، سواء في أعقاب الصلوات أو في تفاصيل اليوم والليلة، أو في الأيام المختلفة من السنة، أو المواسم الدينية الإسلامية كشهر رمضان وشعبان ورجب وذو الحجة، والأيام الشريفة مثل الأعياد الإسلامية أو المناسبات الإسلامية الأخرى، أو الصلوات المختلفة ذات المناسبات أو الأبعاد، بحيث نجد في تراثهم كتباً واسعة معروفة ومتداولة في جميع العصور.

بالإضافة إلى الأدعية الواسعة والكبيرة ذات الطبيعة التربوية والثقافية أمثال: دعاء أبي حمزة الثمالي المعروف، ودعاء كميل، ودعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة، ودعاء الجوشن وأدعية الصحيفة السجادية وغيرها كثير.

وهذه الأدعية والصلوات بالإضافة إلى جانبها الثقافي الذي أشرنا إليه، تمثل بعداً روحياً عظيماً في بناء قاعدة الارتباط بالله تعالى والتقوى والخوف والرجاء في نفس الإنسان المتعبّد.

ثانيها: نهج الوصية الذي ذكرنا سابقاً أنه يمثل خطأ تربوياً ليس في الجانب الثقافي فحسب، بل في الجانب الروحي والتربوي أيضاً.

ثالثها: ربط الإيمان بالعمل الذي يمثل بالإضافة إلى جانبه العقائدي في فهم حقيقة الإيمان والكفر جانباً روحياً ومعنوياً في بناء روح التقوى والارتباط بالله تعالى، حيث لا يكمل هذا الإيمان إلا بالعمل والسلوك والإلتزام.

الثانية: أنصار الحق الحقيقيين:

تصعيد درجة الإيمان بالعتيدة والمذهب الى مستوى عال وتحويل الأفكار والعقائد من الحالة العقلية التي يدركها الإنسان من خلال الموازين والبراهين والأدلة المنطقية إلى التزامات روحية ونفسية ومشاعر إيمانية. وذلك بالتأكيد على أن عقيدتهم ومذهبهم هو المذهب الحق الذي لا تشويه شائبة من الشك أو الشبهة، وأن جماعتهم هي خير الفرق والجماعات.

فقد ورد عن عدد من الأئمة عليهم السلام تأكيد هذه الحقيقة من أجل تصعيد هذه الدرجة الإيمانية بنصوص كثيرة في أزمنة مختلفة وبصيغ وأساليب متعددة، الأمر الذي يدل على وجود قصد وهدف معين كان يهتم به الأئمة ويسعون لتحقيقه، وهو رفع درجة الولاء والثقة بالمنهج والطريق الذي يلتزمه شيعتهم. ونشير إلى نماذج منها توضيحاً لهذا الأمر:

١ - عمران بن ميثم عن حبابة الوالية، قال: دخلت عليها فقالت: أحدثك بحديث سمعته من مولاك الحسين بن علي عليه السلام أنني سمعته يقول: والذي جعل أحسن خير بجيلة، وعبد القيس خير ربيعة، وهمدان خير اليمن، إنكم خير الفرق، ثم قال: «ما على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا»^١.

٢ - عمر بن يزيد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أنتم والله من آل محمد، فقلت: من أنفسهم جعلت فداك؟ قال: نعم والله من أنفسهم ثلاثاً، ثم نظر إلي ونظرت إليه، فقال: يا عمر، إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٢.

٣ - عن أبي ذر قال: والله ما صدق أحد ممن أخذ الله ميثاقه فوفى بعهده الله غير أهل

(١) بحار الأنوار ٦٥: ٨٨ عن المحاسن بإختصار.

(٢) المصدر ٦٥: ٨٤، عن تفسير علي بن إبراهيم بسند معتبر.

يَتِيبُ نَبِيَّهِمْ وَعَصَابَةُ قَلِيلَةٍ مِنْ شِيعَتِهِمْ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾^١.

٤ - يونس بن عبد الرحمن عن كليب الأسدي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أما والله إنكم لعلى دين الله وملائكته فأعينونا على ذلك بورع واجتهاد، عليكم بالصلاة والعبادة، عليكم بالورع»^٢.

٥ - عن أبي الطفيل قال: قام أمير المؤمنين علي عليه السلام على المنبر فقال: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالنَّبُوَّةِ، وَاصْطَفَاهُ بِالرَّسَالَةِ فَأَنَالَ فِي النَّاسِ وَأَنَالَ، وَعِنْدَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ مَفَاتِيحُ الْعِلْمِ وَأَبْوَابُ الْحِكْمَةِ وَضِيَاءُ الْأَمْرِ وَفَصْلُ الْخُطَابِ، وَمَنْ يَحِبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ يَنْفَعُهُ إِيْمَانُهُ وَيَتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلُهُ، وَمَنْ لَا يَحِبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ لَا يَنْفَعُهُ إِيْمَانُهُ وَلَا يَتَقَبَّلُ عَمَلُهُ وَإِنْ أَدَّابَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَلَمْ يَزَلْ»^٣.

٦ - بريد العجلي ووزارة بن أعين ومحمد بن مسلم (والخبر صحيح) قالوا: قال لنا أبو جعفر الباقر عليه السلام: «مَا الَّذِي تَبْغُونَ؟ أَمَا لَوْ كَانَتْ فِرْعَوْنُ مِنَ السَّمَاءِ لَفَرَعَ كُلَّ قَوْمٍ إِلَى مَا مَنَّهُمْ وَلَفَرَعْنَا إِلَى نَبِيِّنَا وَفَرَعْتُمْ إِلَيْنَا، فَأَبْشَرُوا ثُمَّ أَبْشَرُوا ثُمَّ أَبْشَرُوا لَا وَاللَّهِ لَا يَسْوِيكُمْ اللَّهُ وَغَيْرَكُمْ وَلَا كَرَامَةَ لَهُمْ»^٤.

(يتبع)

(٢) المصدر ٦٥: ٨٧، عن بشارة المصطفی.

(٤) المصدر: ٩١، عن المحاسن.

(١) بحار الأنوار ٦٥: ٨٥، عن تفسير العياشي.

(٣) المصدر ٦٥: ٩٥، عن المحاسن.

الْعَدَالَةُ

سَمَاجَةُ السَّيِّدِ كَاطِبَةِ الْحَارِثِي

العدالة لغةً بمعنى الاستقامة. واصطلاحاً يُراد بها العدالة في الدين، بقرينة ورودها في لسان مشرّع الدين، ويلحظ أحكام الدين.

والبحث في معنى العدالة إنّما نحتاج إليه لوجود التردّد من أحد أنحاء ثلاثة:

١ - هل يكفي لتحقيق العدالة عدم صدور المعصية، بغضّ النظر عن وجود ملكة نفسانية أو عدمها؟

٢ - هل تخلّ المعاصي الصغيرة بالعدالة؟

٣ - هل يوجد شرط آخر غير ترك الذنوب، أو ملكة تركها باسم ترك ما ينافي المروءة؟

إشتراط الملكة

قد يُقال: إنّ مفهوم العدالة يعطي معنى الملكة، فإنّ العدالة وصف بحسب الفرض للإنسان ما من إمام جماعة أو شاهد أو قاضٍ ونحو ذلك. واستقامة نفس الإنسان ليست بمجرد عدم صدور معصية منه، ولو من باب عدم توقّر الفرص له، أو عدم مضيّ مدّة من بلوغه سنّ التكليف، أو توبته ليتورّط في المعصية، إنّما استقامتها تكون بتطّبعها بترك المعاصي ووجود الزّادع النفسي عن المعاصي والزّلات. هذا في كل ما ثبت فيه شرط العدالة بعنوانه.

أما مثل عنوان (من تثق بدينه وأمانته) الذي جاء في بعض روايات صلاة الجماعة، فأيضاً يدلّ على اشتراط الملكة، إذ بدونها لا يحصل الوثوق. نعم كلما ورد اشتراط ترك الفسق فحسب لم يدلّ على اشتراط العدالة بمعنى الملكة.

وفي مقابل ذلك قد يُستدلّ على كفاية عدم المعصية من دون شرط الملكة أو التطبّع النفسي بالروايات الواردة في قبول شهادة من يُقام عليه الحدّ بعد توبته^١، وفيه رواية واحدة تامّة السند، وهي ما عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المحدود إذا تاب أُنقبل شهادته؟ فقال: إذا تاب - وتوبته أن يرجع ممّا قال، ويكذب نفسه عند الامام وعند المسلمين، فإذا فعل - فإنّ على الامام أن يقبل شهادته بعد ذلك^٢.

ونحن نعلم أن مجرّد التوبة لا يستلزم رجوع الملكة، وإنّما التوبة تجعل الذنب كأنّه لم يتحقّق، فيصبح حاله حال من هو قريب العهد بالبلوغ الذي لم تصدر منه معصية لا على أساس الملكة، بل على أساس الصدفة.

وقد يقال: إنّ هذه الروايات إنّما تعارض ما دلّ على اشتراط العدالة في الشاهد، لا أنّها تُفسّر العدالة بمجرّد عدم الذنب.

وقد يُجاب على ذلك: بأنّ أنس ذهن المتشرّعة باشتراط العدالة في الشاهد يُعطي لهذه الروايات ظهوراً في تفسير العدالة بمجرّد عدم الذنب.

وقد يقال برأي وسط بين اشتراط الملكة وكفاية عدم صدور الذنب، وهو: أنّ مجرّد عدم صدور الذنب المجتمع مع عدم أي رادع نفسي عن الذنب - كما قد يحصل للإنسان قريب العهد ببلوغه سنّ التكليف - لا يكون عدالة. والمحدود التائب ليس حاله هكذا، فإنّ توبته تعني تحقّق الرادع النفساني فيه. فالعدالة عبارة عن ترك المعاصي عن رادع نفسي، أمّا وصول الرادع النفساني إلى مستوى الملكة بحيث لا ينكسر عادة إلّا في

(١) وسائل الشريعة، ١٨، باب ٣٦ و ٣٧ من أبواب الشهادات: ٢٨٢ - ٢٨٤.

(٢) المصدر، باب ٣٧ من أبواب الشهادات: ٢٨٣.

حالات نادرة جداً يتوفّر فيها مستوى خاص من المغريات فليس شرطاً في تحقق العدالة، وذلك بدليل هذه الروايات التي اقتصرَت على مجرّد التوبة.

والصحيح أنّ هذه الروايات ليست بصدد إثبات العدالة الواقعية للمحدود الذي تاب، بدليل أنّها لم تفترض العلم بخلوّه عن باقي الذنوب، رغم أنّه عادةً لا يُعلم عن محدودِ تاب كونه خالياً من الذنوب، وإنّما هي بصدد بيان قبول شهادته المبتني في ظاهر الشرع على حسن الظاهر الذي سيأتي أنّه أمانة على العدالة، والمفروض أنّ توبته تعيد إليه حسن ظاهره الذي انكسر بفعل ما أوجب عليه الحدّ.

على أنّ الرواية الوحيدة التامة سنداً من تلك الروايات هي هذه الرواية التي نقلناها، والتي تشتمل على أنّ توبته تكون بتكذيب نفسه عند الامام وعند المسلمين.

ولا يبعد أن يُقال: إنّ الاستعداد لتكذيب النفس عند الامام وعند المسلمين لا يحصل من دون حصول الملكة.

وعلى أيّ حال، فقد يقول القائل: إنّنا لسنا بحاجة في مقام نفي شرط الملكة إلى مثل هذه الرواية، بل نقول من أوّل الأمر: إنّ المفهوم عرفاً من العدالة الاستقامة، والاستقامة ليست بمعنى مجرّد عدم الذنب - ولو من باب أنّه لم تُسَنَح الفرصة للذنب - بل هي ترك الذنب مع الرادع النفساني، لكن لا يفهم من ذلك ضرورة وصول الرادع إلى مستوى ما يُسمّى بالملكة، وهي الرادع القويّ الذي يقف أمام المغريات الاعتيادية في الحالات الاعتيادية. إلّا أنّ في صدق العدالة والاستقامة وكذا الثقة نظراً، بلا وجود ملكة من هذا القبيل عرفاً.

اشتراط ترك الصغيرة وعدمه

وأما إخلال المعصية الصغيرة بالعدالة وعدمه، فمقتضى ما هو المفهوم من كلمة العدالة بمعنى الاستقامة في الدين، ومثل التعبير بالوثوق بالدين في قوله: «صلّ خلف

من تتق بدينه وأماته» هو كونه تاركاً للصغائر أيضاً. فارتكاب الصغيرة وإن كان معفواً عنه عند اجتناب الكبائر، لكنّه على أي حال خلاف الاستقامة في الدين وانحراف عنه، لأنّه محرّم حسب الفرض.

إلا أنّه قد يُستدلّ على عدم إخلال المعصية الصغيرة بالعدالة بما رواه الصدوق بسنده عن عبدالله بن أبي يعفور قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: بِمَ تُعرف عدالة الرجل بين المسلمين حتى تُقبل شهادته لهم وعليهم؟ فقال: أن تعرفوه بالستر والعفاف وكفّ البطن والفرج واليد واللسان، ويُعرف باجتناب الكبائر التي أوعد الله عليها النار...»^١. حيث أن التقييد بالكبائر يدلّ على عدم إضرار الصغيرة.

لا يُقال إنّ الرواية جعلت ترك الكبائر طريقاً لمعرفة العدالة، وهذا يدلّ على عدم إضرار الصغيرة بالعدالة. إذ لعلّ مقصوده عليه السلام: إن ترك الكبيرة أمانة على العدالة، فحتى لو كان - واقعاً - محكوماً بالفسق لارتكاب الصغيرة يكون - ظاهراً - محكوماً بالعدالة، لأنّ العدالة - تُعرف كما ورد في هذا الحديث - بترك الكبائر.

بل يُقال: إنّ إطلاق الحديث لفرض العلم بارتكابه للصغيرة دليل على عدم إضرار الصغيرة بالعدالة، أي أن المقصود بالعدالة في لسان الأدلّة مستوى من الاستقامة قد يجتمع مع ارتكاب الصغيرة.

وقد يمكن التمسك بالآية الكريمة على عدم إخلال الصغيرة بالعدالة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾^٢. ووجه الاستدلال بهذه الآية المباركة هو أن يقال: إنّ بيان تكفير السيئات عند اجتناب الكبائر وإدخاله مُدْخَلًا كَرِيمًا يدلّ بدلالة إلزامية عرفية على أن ترك الكبائر يجعل باقي الذنوب كأن لم تكن ويحكم العدم في كل الاحكام.

(١) وسائل الشيعة ١٨، باب ٤١ من الشهادات: ٢٨٧.

(٢) النساء: ٣١.

إلا أنه لو تمّ ذلك فهذا لا يعني دلالة الآية على عدم دخل ترك الصغائر في العدالة، وإنما يعني عدم إضرار الصغائر بأحكام العدالة، وتعارضها حينئذ أدلة اشتراط تلك الأحكام بالعدالة. ولم تكن الآية بصدد بيان هذا اللازم ابتداءً كي تكون حاكمة - بملاك النظر - على أدلة اشتراط العدالة. نعم قد يقال: إنها تُقدّم على تلك الأدلة باعتبار تقدّم القرآن على ما يعارضه من الحديث، بمثل العموم من وجه^١.

هذا والدلالة الإلزامية التي ذكرناها لهذه الآية المباركة يمكن أن تُذكر لآيتين أخريين أيضاً، وهما قوله تعالى:

١ - ﴿فَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^٢.

٢ - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنِ * الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بَطُونٍ مُهْمَاتِكُمْ فَلَا تَرْكُوا أَنْفُسَكُمْ وَهُوَ

(١) ولو قيل: إن هذا الحكم يختص بما لو تعارض خبران، وكان أحدهما يوافق القرآن، والآخر يخالفه بمثل العموم من وجه، فيرجح ما وافق الكتاب، ولم يُقبل بتقدّم القرآن فيما إذا كان التعارض بينه وبين القرآن بالعموم من وجه، قلنا فيما نحن فيه أيضاً: توجد بعض الروايات المصرّحة بنفس مضمون الآية الكريمة، فلها نفس الدلالة الإلزامية، فتقدّم على أدلة اشتراط العدالة بموافقة الكتاب من قبيل ما عن محمد بن أبي عمير بسند تام قال: سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول: من اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يُسأل عن الصغائر، قال الله تعالى: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَتُدْخِلْكُمْ مُدْخَلَكُمْ كَرِيمًا» (وسائل الشيعة ١١، باب ٤٧ من جهاد النفس: ٢٦٦). ومرسلة الصدوق: قال الصادق عليه السلام: من اجتنب الكبائر يغفر الله جميع ذنوبه، وذلك قول الله عز وجل: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَتُدْخِلْكُمْ مُدْخَلَكُمْ كَرِيمًا» (وسائل الشيعة ١١، باب ٤٥ من جهاد النفس: ٢٥٠). ورواية محمد بن فضال، أو محمد بن الفضل عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عز وجل: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ قَالَ: من اجتنب الكبائر - ما أوعده الله عليه النار - إذا كان مؤمناً كفر الله عنه سيئاته» (وسائل الشيعة ١١، باب ٤٥ من جهاد النفس: ٢٤٩). وسند هذا الحديث ضعيف بالراوي المباشر، ومحمد بن الفضل قد روى عنه البرنطلي، وصفوان بن يحيى إلا أن الشيخ رحمه الله قد ضعفه.

(٢) الشورى: ٣٦ - ٣٨.

معنى الكبيرة والصغيرة

وثمرة هذا البحث تظهر في العدالة بناءً على أن الصغيرة لا تخل بالعدالة. وقد يقال بظهور الثمرة أيضاً في وجوب التوبة.

ولكن الصحيح أن وجوب التوبة لم يكن لأجل الفرار من النار كي يفترض أن الصغيرة المعفو عنها في من ترك الكبائر لا تحتاج إلى التوبة، بل هو: إما وجوب شرعي مستفاد من الأوامر الواردة بالتوبة من الذنب، وإطلاقها يشمل التوبة عن الكبيرة والصغيرة، أو وجوب عقلي سنخ وجوب الطاعة، فكما إن العقل حكم بأن مقتضى العبودية للمولى امتثال أوامره وترك نواهيه، كذلك حكم بأن مقتضى العبودية له الندم على معصيته. وهذا أيضاً لا يفرق فيه بين أن يكون الذنب معفو عنه أولاً. ويُحتمل كون أوامر التوبة إرشاداً إلى هذا الحكم العقلي.

وعلى أي حال فقد أنكر بعض انقسام المعاصي إلى الصغائر والكبائر فقال: إن المعاصي كلها كبائر باعتبار المعصية جلّ وعلا، إلا أن بعضها أكبر من بعض في سلم الدرجات المتفاوتة. وقال استاذنا المرحوم آية الله الشاهرودي قدس سره: «إن المعاصي لا تنقسم إلى صغائر وكبائر وإنما تنقسم إلى الذنوب المكفرة - بالكسر - أي التي يكون تركها مكفراً لباقي الذنوب، والذنوب المكفرة - بالفتح - أي الذنوب التي تُغفر بترك باقي الذنوب».

أقول: كل هذا يرجع إلى نزاع لفظي، إلا أن يُنكر أحد أصل كون ترك بعض الذنوب مكفراً للبعض الآخر، فذلك يكون نزاعاً حقيقياً، وهو خلاف ما يستفاد من الآية المباركة والروايات. وتفسير الآية بمعنى إن تجتنبوا الذنوب الكبيرة الواردة في هذه السورة، مثلاً،

نَكْفُرْ عَنْكُمْ مَا وَقَعَ مِنْكُمْ مِنْهَا فِي مَا سَلَفَ - سنخ قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾^١ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾^٢ وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾^٣ وقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ﴾^٤ - خلاف الظاهر.

فالمعاصي وإن كانت متدرجة في الكبر والصغر، فليس هناك حد معين يفترض أنها إلى هذا الحد تكون كبيرة وما دونه تكون صغيرة. فإن الكبر والصغر نسيان بالنسبة لكل المعاصي، لكن قد عرفنا أن قسماً منها لو تركه أحد كُفِّرَ عنه القسم الآخر الأصغر من الأول، فسَمِيَ الأول بالكبيرة والثاني بالصغيرة، فيقع الكلام فيما هو المقياس لمعرفة الكبيرة والصغيرة. وقد اختلفت الآراء كثيراً بهذا الصدد، وقد تُسبب رأيان إلى المشهور: الأول - أن الكبيرة هي كل ذنب توعد الله تعالى عليه بالعقاب في الكتاب العزيز.

الثاني - أنها كل ذنب توعد الله عليه النار.

والأول أعم من الثاني، من حيث أن العقاب قد يتجسد في غير النار، والثاني أعم من الأول من حيث عدم التقييد بكون الوعيد في الكتاب. ومن الممكن افتراض اتحاد كلا الرأيين بأن يكون المقصود بالعقاب ما يشتمل على النار، أو يكون المقصود بالنار مطلق العقاب، وذكرت النار على سبيل المثالية، وبأن يكون المقصود من توعد الله عليه النار توعد في الكتاب.

وقد يُجمع بين عموم الأول لغير النار، وعموم الثاني لغير الكتاب، حيث قيل: إنها كل ذنب توعد عليه بخصوصه. قال العلامة الكني في قضائه: «اختاره الشهيدان في القواعد والدروس والروضة، وزاد في الأخير قوله: في كتاب أو سنة» فما يصلح دليلاً على أحد الرأيين هو جملة من الروايات من قبيل:

(١) الأنفال: ٣٨.

(٢) النساء: ٢٢.

(٣) النساء: ٢٣.

(٤) المائدة: ٩٥.

١ - ما ورد - بسند تام - عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول في: ﴿وَمَنْ يَتُوءَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ قال: معرفة الإمام واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار^١.

٢ - ما عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾ قال: «الكبائر التي أوجب الله عز وجل عليها النار»^٢.

٣ - ما عن محمد بن الفضيل (الفضل - خ ل -) عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ قال: «من اجتنب الكبائر - ما أوعده الله عليه النار - إذا كان مؤمناً كفر الله عنه سيئاته»^٣.

٤ - ما عن عباد بن كثير النوا، قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن الكبائر، فقال: كل ما أوعده الله عليه النار»^٤.

(١) وسائل الشيعة ١١، باب ٤٥ من جهاد النفس ح ١: ٢٤٩ والآية في البقرة: ٢٦٩.

(٢) وسائل الشيعة ١١، باب ٤٥ من جهاد النفس ح ٢: ٢٤٩ والآية في النساء: ٣١. ولا عيب في السند من غير ناحية أبي جميلة، وهو المفضل بن صالح، وقد روى الثلاثة الذين لا يروون إلا عن ثقة عنه، ومقتضى ذلك وثاقته، ولا عبرة بتضعيف ابن الغضائري حيث قال عنه: «ضعيف كذاب يضع الحديث، حدّثنا أحمد بن عبد الواحد، قال: حدّثنا علي بن محمد بن الزبير، قال: حدّثنا علي بن الحسن بن فضال، قال: سمعت معاوية بن حكيم يقول: سمعت أبا جميلة يقول: أنا وضعت رسالة معاوية إلى محمد بن أبي بكر، ولكن المهم أنّ النجاشي قال في ترجمة جابر بن يزيد: «روى عنه جماعة غمّز فيهم وصُغِّفُوا، منهم عمرو بن شمر والمفضل بن صالح ومنخل بن جميل ويوسف بن يعقوب» واستفاد السيد الخوئي من هذا التعبير: أنّ ضعف المفضل بن صالح كان من المتسالم عليه عند الأصحاب. فإن صحت هذه الاستفادة كان هذا معارضاً لدلالة نقل الثلاثة عنه على توثيقه، كما جعله السيد الخوئي معارضاً لدلالة وروده في أسانيد كامل الزيارات على توثيقه حسب ما يعتقده. إلّا أنّ هذه الاستفادة غير واضحة عندي، وعلى أي حال ففي النفس شيء مما يرويه أبو جميلة.

(٣) نفس المصدر ح ٢٥٠: ٣١ والآية في النساء: ٣١. ولا إشكال فيه من حيث السند من غير جهة الراوي المباشر، أمّا الراوي المباشر، فإن كان هو محمد بن الفضيل - كما يقال: إنّه ورد كذلك في ثواب الأعمال، وصاحب الوسائل نقل هذا الحديث عن ثواب الأعمال - فقد ضعفه الشيخ، ولكن روى عنه بعض الثلاثة، وإن كان هو محمد بن الفضل، فهو مشترك بين من وثق ومن لم يوثق. وبالتالي السند لا يخلو من ضعف.

(٤) نفس المصدر ح ٦، وأيضاً باب ٤٦ من جهاد النفس ح ٢٤: ٢٥٨. والسند ضعيف على الأقل بمجهولية =

٥ - ما عن الحسن بن زياد العطار، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «قد سمى الله المؤمنين بالعمل الصالح مؤمنين، ولم يسم من ركب الكبائر، وما وعد الله عز وجل عليه النار مؤمنين في قرآن ولا أثر، ولا نسميهم بالإيمان بعد ذلك الفعل»^١. وفي سنده ودلالته ضعف.

٦ - ما عن ابن محبوب - بسند تام - قال: «كتب معي بعض أصحابنا إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الكبائر: كم هي؟ وما هي؟ فكتب: الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفر عن سيئاته إذا كان مؤمناً، والسبع الموجبات: قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعزب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف»^٢.
٧ - ما عن علي بن جعفر في كتابه عن موسى بن جعفر عليه السلام، قال: «سألته عن الكبائر التي قال الله عز وجل: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ قال: التي أوجب الله عليها النار»^٣.

٨ - ما عن أحمد بن عمر الحلبي - بسند فيه موسى بن جعفر بن وهب البغدادي، ولم تثبت وثاقته - قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ قال: من اجتنب ما أوعد الله عليه النار - إذا كان مؤمناً - كفر عن سيئاته وأدخله مَدْخَلاً كريماً، والكبائر السبع الموجبات: قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعزب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف»^٤.

وقد تحصل بهذا العرض وجود بعض روايات تامة سنداً ودلالة دالة على أن المقياس هو كون المعصية ممّا أوعد الله عليها النار، فكل معصية كذلك، فهي كبيرة،

= عباد بن كثير النّوّار.

(١) وسائل الشيعة ١١، باب ٤٥ من جهاد النفس ح ٧: ٢٥١.

(٢) وسائل الشيعة ١١، باب ٤٦ من جهاد النفس ح ١: ٢٥٢.

(٣) نفس المصدر ح ٣٢: ٢٦٠.

(٤) نفس المصدر ح ٢١: ٢٥٨.

وغيرها صغائر.

ولو ورد في القرآن الوعيد بالعذاب، فاللزام انصرافه إلى عذاب جهنم وفيه النار، ولا يشمل أهوال يوم القيامة - مثلاً - التي ليست منها النار، فالوعيد بالعذاب وعيد بالنار أيضاً.

والظاهر من عنوان (أوعد الله عليها النار) كون الوعيد في القرآن الكريم، والنكتة في ذلك أنَّ ظاهر إعطاء مقياس للمخاطبين للكبيرة والصغيرة هو إرادة إعطاء مقياس مضبوط ومفهوم عند المخاطبين يمكن الرجوع إليه لتشخيص الحال، بينما السنة ليست محصورة وموجودة بتمامها عند المخاطبين عادةً، كي يمكن إرجاعهم إليها كضابط، وهذا بخلاف القرآن الكريم. فهذه هي نكتة الانصراف إلى ما قلناه.

إلا أنه قد يُقال: إنه لو كان المقياس هو الوعيد في القرآن بالنار لاتنقض ذلك ببعض المعاصي والتي لم يرد في القرآن وعيد بالنار عليها، ولا شك فقهياً، أو إسلامياً في كونها من الكبائر: من قبيل اللواط، وشرب الخمر.

وقد يُقال في الجواب: إنَّ عنوان ما أوعد الله عليه النار الوارد في الروايات إشارة إلى مفهوم عرفي راجع إلى تفسير الكبيرة والصغيرة ومتعارف بين الموالى والعبيد العرفيين. توضيحه: أنَّ أوامر المولى ونواهيه لها محرّكية ذاتية للعبد إذا كان يحب مولاه، وهي محرّكية عاطفية، ولها محرّكية ذاتية عقلية للعبد إذا كان يعترف لمولاه بالمولوية الحقيقية ووجوب الطاعة، أو اجتماعية إذا كان يعترف له بالمولوية الاجتماعية، وهذه المحرّكيات الذاتية قد لا تكفي لتحريك العبد، وعندئذٍ إن كان اهتمام المولى بالقضية كبيراً يوعده بالعذاب على تقدير عدم الامتثال، وقد يعذبه بالفعل عند المخالفة، وإن كان اهتمامه بها ليس كبيراً يغض النظر عن العبد حينما يراه مخالفاً ولا يعاقبه، إلا إذا رأى منه إصراراً على ذلك، أو رآه يضم هذه المخالفة إلى المخالفات الكبيرة. فقد يعاقبه على الصغيرة أيضاً، والمفهوم عرفاً من العفو عن الصغائر عند اجتناب الكبائر وعدم الإصرار

هو هذا المعنى، فلا ينبغي أن نجمد في فهم مقياس ما أوعد الله عليه النار على فرض الوعيد الصريح، بل تهويله تعالى في كتابه لمعصية ما يفهم منه بناءً على هذا الفهم العرفي الذي شرحناه، الوعيد بالنار، وعليه فمثل اللواط الذي تكرر في ذكر قصة لوط عليه السلام في القرآن الكريم، وتأنيبه الشديد لقومه على هذا العمل القبيح، ثم ذكر نزول العذاب عليهم وإهلاكهم، دليل كافٍ بهذا النمط من الفهم على الوعيد بالنار، وكون المعصية كبيرة. وضمَّ النهي عن الخمر إلى النهي عن الأوثان وجعلهما معاً رجساً من عمل الشيطان في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^١ دليل كافٍ على الوعيد بالعذاب والنار، وكون شربه معصية كبيرة. ولعلَّه إلى هذا أشار ما جاء في حديث عبد العظيم الحسني رحمه الله التام سنداً عن أبي جعفر الثاني عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن أبيه موسى عليه السلام عن الإمام الصادق عليه السلام في تعداد الكبائر من قوله: «وشرب الخمر لأنَّ الله عزَّ وجلَّ نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان»^٢.

وقد يُقال: إنَّ نفس حديث عبد العظيم الحسني يشهد لعدم كون المقياس في فهم الكبائر في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجَتَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ...﴾ خصوص الوعيد بالنار في القرآن الكريم؛ حيث جاء فيه في تعداد الكبائر: «وترك الصلاة متعمداً، أو شيئاً مما فرض الله عزَّ وجلَّ، لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من ترك الصلاة متعمداً فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله...»، فتراه استدللَّ على كون ترك الصلاة كبيرة بالسنة لا بالوعيد بالنار في القرآن، هذا بناءً على دعوى أنَّ هذا الحديث وإن كان وارداً بشأن آية أخرى، ولكن يفترض أنَّ معنى الكبائر في الآيتين واحد.

ويمكن الجواب عن ذلك على ضوء ما شرحناه من الفهم العرفي لجعل المقياس هو

(١) المائدة: ٩٠.

(٢) وسائل الشيعة ١١، باب ٤٦ من جهاد النفس ح ٢: ٢٥٣.

مِنْ فِقْهِ مَهْمَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ ❦

الوعيد بالنار؛ بأنه لا فرق في الدلالة على روح المطلب الذي أشرنا إليه - من كون الغرض مهماً إلى مستوى لا يكتفي المولى بأمره المولوي، بل يوعد العذاب على تقدير المخالفة - بين أن تدل آية قرآنية على ذلك أو يدل نص الرسول صلى الله عليه وآله، أو الإمام عليه السلام على ذلك، فالاستشهاد بنص الرسول صلى الله عليه وآله أن تارك الصلاة بريء من ذمة الله ورسوله صحيح، وهذا لا ينافي ما نفهمه من روايات ما أوعد الله عليه النار التي قلنا: إنَّ ظاهرها إرادة الوعيد في الكتاب، فنحن نفهم منها أنه ما من معصية كبيرة إلا وهي مذكورة في القرآن، ولو كانت مذكورة في السنة أيضاً. ومن الواضح دلالة القرآن على كون ترك الصلاة كبيرة؛ حيث جعله سبباً من أسباب السلوك في سقر في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ ۖ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۖ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۖ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۖ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ۖ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۖ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۖ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِيْنُ ۖ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ۖ﴾^١. وقد يُورد على جعل المقياس الوعيد بالنار سواء خص ذلك بالكتاب أو لم يخص بأحد إيرادين:

الأول - أنه ما من معصية إلا وقد ورد عليها الوعيد بالنار في القرآن. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ۖ﴾^٢. وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَطْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ﴾^٣.

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مُذْنُوباً مَّذْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ۖ﴾^٤.

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقْوَلُ ۖ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ

(١) المائدة: ٣٨ - ٤٨.

(٢) النساء: ١٤.

(٣) البقرة: ٨١.

(٤) الأعراف: ١٨.

أَجْمَعِينَ^١.

والواقع: أن هذا الإشكال لو تمّ لكان إشكالاً على أصل تقسيم المعاصي إلى الكبائر، والصغائر، والوعد الجزميّ بالعفو عن الصغائر على تقدير ترك الكبائر، لأنّ الوعيد بالنار لا يجتمع عرفاً مع الوعد الجزميّ بالعفو غير المعلق على التوبة.

ومن الواضح أنّ المقصود بهذه الآيات ليس من يرتكب الصغيرة، بل ولا من يرتكب الكبيرة، فليس مجرد ارتكاب كبيرة موجباً للخلود، أو سبباً لملء جهنم به، وإنّما تنظر هذه الآيات إلى الملحدين والمنافقين والأشقياء والمستهترين بالمعاصي وأمثالهم.

الثاني - أنّ هناك روايات عديدة وردت في حصر الكبائر في عدد قليل كسبع، أو خمس، أو تسع، أو عشر، بينما لو كانت الكبائر عبارة عمّا أوعده الله عليه النار، فهي كثيرة وغير منحصرة في عدد قليل، ولعلّ المنصرف من كلمة الكبائر في الروايات هو المعنى المقصود في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾. فليس المقصود من الكبائر في هذه الروايات معنى آخر غير المعنى المبحوث عنه.

والواقع: أنّ هذا ينبغي أن يكون إشكالاً على تلك الروايات، ويفحص عن جوابه، لا أن يكون إشكالاً على المقياس الماضي للكبائر وهو الوعيد بالنار، وذلك لأنّ الوعد الجزميّ بالمغفرة على تقدير ترك قسم من الذنوب، وغير المعلق على التوبة لا يجتمع عرفاً مع الوعيد بالنار؛ إذن فكلّ ما أوعده الله عليه النار ينبغي أن يكون داخلاً في المكفّرات - بالكسر (أي ما يكون تركه مكفّراً) - لا المكفّرات - بالفتح - وإذا شككنا في صحّة هذا المقياس، ينبغي أن يكون ذلك على أساس احتمال كون دائرة الكبائر أوسع من دائرة ما أوعده الله عليه النار، لا على أساس احتمال كونها أضيق منها. إذّا، فينبغي حمل هذه الروايات على بيان أكبر الكبائر، لا الكبائر بالمعنى الوارد في القرآن الكريم، فإنّ الكبيرة عنوان نسبيّ ومشكّك، فيمكن أن تحصر بمستوى معيّن وبعض معانيها

ودرجاتها في عدد قليل، كما يمكن أن توسع ببعض الدرجات. ومما يلفت النظر أن الروايات الحاصرة للكبائر في عدد قليل لم ترد غالبيتها بعنوان تفسير الآية، إلا بمجرد دعوى الانصراف إلى إرادة المعنى المذكور في الآية. نعم قد يدعى في بعضها القرينة على النظر إلى الآية الكريمة، وهي غير تامة السند، بينما الروايات السابقة - المفسرة للكبيرة بأنها ما أوعده الله عليه النار - جملة منها كانت صريحة في تفسير الآية، وفيها ما هو تام السند.

هذا وبعض روايات الحصر في عدد قليل مشتمل على ما يشهد لهذا الجمع الذي أشرنا إليه - من حمل تلك الروايات على إرادة أكبر الكبائر، لا على إرادة الكبيرة بمعنى الذنوب المكفرة - والروايات التامة سنداً في هذا الباب كما يلي:

١ - ما ورد - بسند تام - عن ابن محبوب، قال: «كتب معي بعض أصحابنا إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الكبائر كم هي؟ وما هي؟ فكتب: الكبائر، من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفر عنه سيئاته إذا كان مؤمناً، والسبع الموجبات: قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعزب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف»^(١). وقد مضى منا ذكر هذا الحديث في عداد أحاديث تفسير الكبيرة بما أوعده الله عليه النار، وهذا الحديث - كما ترى - فيه دلالة على ما ذكرنا من أن السبع هي عدد من المعاصي أكبر من سائر الذنوب، لأن الكبائر المشار إليها في الآية الشريفة محصورة في هذا العدد، فإن هذا الحديث - كما ترى - قد جمع بين ذكر ذاك المقياس في صدر الحديث - وهو ما أوعده الله عليه النار - وذكر العدد السبع من المعاصي.

٢ - ما عن عبيد بن زرارة - بسند تام - قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الكبائر، فقال: هن في كتاب علي عليه السلام سبع: الكفر بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وأكل الربا بعد البيعة، وأكل مال اليتيم ظلماً، والفرار من الزحف، والتعزب بعد الهجرة. قال: فقلت: هذا

(١) وسائل الشيعة ١١، باب ٤٦ من جهاد النفس ح ١: ٢٥٢.

أكبر المعاصي؟ فقال: نعم، قلت: فأكل الدرهم من مال اليتيم ظلماً أكبر، أم ترك الصلاة؟ قال: ترك الصلاة قلت: فما عددت ترك الصلاة في الكبائر: قال: أي شيء أول ما قلت لك؟ قلت: الكفر. قال: فإن تارك الصلاة كافر؛ يعني من غير علة^١.

٣- ما عن محمد بن مسلم - بسند تام - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الكبائر سبع: قتل المؤمن متعمداً، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا بعد البيئة، وكل ما أوجب الله عليه النار»^٢. وما في هذا الحديث من عدّ عنوان ما أوجب الله عليه النار في عداد الكبائر السبع شاهد لما ذكرناه من الجمع.

٤- ما عن محمد بن أبي عمير - بسند تام - عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «وجدنا في كتاب علي عليه السلام الكبائر خمسة: الشرك، وعقوق الوالدين، وأكل الربا بعد البيئة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة»^٣. وقد ورد حديث تام السند

(١) وسائل الشيعة ١١، باب ٤٦ من جهاد النفس ح ٤: ٢٥٤.

(٢) نفس المصدر ح ٦: ٢٥٤.

(٣) وسائل الشيعة ١١، باب ٤٦ من جهاد النفس ح ٢٧: ٢٥٩.

وهناك روايات غير تامة سنداً وهي:

١- ما عن مهعدة بن صدقة قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الكبائر: القنوط من رحمة الله، واليأس من رَوْحِ الله، والأمن من مكر الله، وقتل النفس التي حَرَّمَ الله، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا بعد البيئة، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، والفرار بعد الزحف» الحديث. (وسائل الشيعة، باب ٤٦: ٢٥٦).

٢- ما عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعت يقول: الكبائر سبعة، منها: قتل النفس متعمداً، والشرك بالله العظيم، وقذف المحصنة، وأكل الربا بعد البيئة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم ظلماً. قال: والتعرب والشرك واحد» (وسائل الشيعة، باب ٤٦: ٢٥٦). وقوله: «سبعة، منها» دليل عدم الحصر، وشاهد للجمع الذي ذكرناه، إلا إذا افترضنا أنَّ الضمير في (منها) يرجع إلى نفس كلمة سبعة.

٣- ما عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال: «اجتنبوا السبع الموبقات. قيل: وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حَرَّمَ الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» (وسائل الشيعة، باب ٤٦: ٣٦١). ويلحظ أنَّ الرواية لا إشارة فيها إلى الحصر، ولم تعبّر بالكبائر كي توحى إلى أنَّها تفسر الكبائر بمعناها الوارد في الآية المباركة، وإنما قالت: اجتنبوا السبع الموبقات.

٤- ما عن أبي الصامت عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أكبر الكبائر سبع: الشرك بالله العظيم، =

= وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل أموال اليتامى، وعقوق الوالدين، وقذف المحصنات، والفرار من الزحف، وإنكار ما أنزل الله عز وجل. فأما الشرك بالله العظيم، فقد بلغكم ما أنزل الله فينا وما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فردّه على الله وعلى رسوله، وأما قتل النفس الحرام، فقد قُتل الحسين عليه السلام (فقتل الحسين عليه السلام خ ل) وأصحابه، وأما أموال اليتامى فقد ظلمنا فينا وذهبوا به، وأما عقوق الوالدين فإن الله عز وجل قال في كتابه: «النبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ»، وهو أبٌ لهم، فعقوه في ذريته وفي قرابته، وأما قذف المحصنات فقد قذفوا فاطمة عليها السلام على منابريهم، وأما الفرار من الزحف، فقد أعطوا أمير المؤمنين عليه السلام البيعة طائعين غير مكرهين، ثم فرّوا عنه وخذلوه، وأما إنكار ما أنزل الله عز وجل فقد أنكروا حقنا، وجحدوا له، وهذا ممّا لا يتعاجم فيه أحد، والله يقول: إِنَّ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا» (وسائل الشيعة ١١، باب ٤٦ من جهاد النفس: ٢٥٧ - ٢٥٨) كما أن ذيل الرواية وارد في هامش الصفحة ٢٥٧. وقد يقال: إنّ ذيله مشعر بكون الكبائر السبع، هي نفس الكبائر التي جاءت الإشارة إليها في الآية الكريمة. ولكن لا يخفى أنّه لا يدلّ ذيله على أكثر من أنّ الكبائر السبع هي من جملة الكبائر المشار إليها في الآية الكريمة، أمّا الحصر فلا، على أنّ صدر الحديث قد عبّر بعنوان (أكبر الكبائر) لا بعنوان (الكبائر).

٥- ما رواه الصدوق بإسناده عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الكبائر سبع، فينا نزلت وممّا استحلّت فأولها الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وإنكار حقنا. فأما الشرك بالله العظيم، فقد أنزل الله فينا ما أنزل، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله فينا ما قال، فكذبوا الله، وكذبوا رسوله، فأشركوا بالله وأما قتل النفس التي حرم الله، فقد قتلوا الحسين بن عليّ عليهما السلام وأصحابه، وأما أكل مال اليتيم، فقد ذهبوا بفيتنا الذي جعله الله عز وجل لنا فأعطوه غيرنا، وأما عقوق الوالدين، فقد أنزل الله تبارك وتعالى في كتابه فقال عز وجل: «النبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ»، فعقوا رسول الله صلى الله عليه وآله في ذريته، وعقوا أمهم خديجة في ذريتها، وأما قذف المحصنة فقد قذفوا فاطمة عليها السلام على منابريهم، وأما الفرار من الزحف فقد أعطوا أمير المؤمنين عليه السلام بيعتهم طائعين غير مكرهين، وفرّوا عنه، وخذلوه، وأما إنكار حقنا فهذا ممّا لا يتنازعون فيه» (الفتاوى ج ٣، ١٧٤٥: ٣٦٦ و٣٦٧) وصدره جاء في وسائل الشيعة ١١، باب ٤٦ من جهاد النفس ج ٢٢: ٢٥٨. ولعلّ هذا أوضح من سابقه في الدلالة على حصر الكبائر الواردة في الآية الكريمة في السبع، ولكنه - على أي حال - قابل للتوجيه بالحمل على كون السبع أكبر الكبائر.

وعلى أي حال فالسند ساقط أولاً: بعد الرحمن بن كثير، وثانياً: بعلي بن حسان، وعلي بن حسان مشترك بين الواسطي الثقة والهاشمي، والتعبير بعلي بن حسان إنّما هو في وسائل الشيعة، أمّا في الفتاوى، فقد جاء هكذا: (روى علي بن حسان الواسطي عن عمّه عبد الرحمن بن كثير)، ومن هنا قد يتراءى أنّ علي بن حسان في المقام هو الثقة، وقال أيضاً الصدوق في مشيخة الفقيه: «وما كان فيه عن علي بن حسان، فقد رويته عن محمد بن الحسن رضي الله عنه عن محمد بن الحسن الصفار عن علي بن حسان الواسطي» وقال أيضاً رحمه الله في مشيخة الفقيه: «وما كان فيه عن عبد الرحمن بن كثير الهاشمي، فقد رويته عن محمد بن الحسن، رضي الله عنه عن محمد بن الحسن الصفار عن علي بن حسان الواسطي عن عمّه عبد الرحمن بن كثير الهاشمي» إلّا أنّ الخطأ الواقع في كلام الصدوق رحمه الله أنّه فرض عبد الرحمن بن =

= كثير الهاشمي عمّا لعلّي بن حسان الواسطي، بينما هو عمّ لعلّي بن حسان الهاشمي، فلا ندري هل كان خطؤه في فرض هذا عمّا لذلك، أو كان خطؤه في تخيل أنّ عليّ بن حسان الهاشمي الذي هو ابن أخي عبد الرحمن يلقّب بالواسطي، وأنّ عليّ بن حسان الواسطي ليس إنساناً آخر، فبالتالي نبقي مردّدين في المقام بين كون عليّ بن حسان هو الواسطي أو الهاشمي، وبالتالي لا تثبت وثاقته.

٦- ما عن عبيد بن زرارة - بسند غير تامّ - قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الكبائر، فقال: هنّ خمس، وهنّ ممّا أوجب الله عليهنّ النار؛ قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» النساء: ٤٨. وقال: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا، وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا» النساء: ١٠. وقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ» الانفال: ١٥. إلى آخر الآية، وقال عزّ وجلّ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا» البقرة: ٢٧٨. إلى آخر الآية، ورمي المحصنات الغافلات المؤمنات، وقتل مؤمن متعمداً على دينه» وسائل الشيعة ١١، باب ٤٦ من جهاد النفس ح ٢٨: ٢٥٩. ولعلّ قوله: «وهنّ ممّا أوجب الله عليهنّ النار» يؤيد حملنا لهذه الروايات على بيان أكبر الكبائر، فإنّ افتراض كون عنوان ما أوجب الله عليه النار أوسع من الخمس في الوقت الذي يراد فرض الخمس هي المكفّرات - بالكسر - وما عداها مكفّرات - بالفتح - غير عرفيّ.

٧- ما مضى في عداد أحاديث تعريف الكبيرة بما أوعده الله عليه النار من حديث أحمد بن عمر الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «إِنْ تَجَتَّابُوا كِبَارَكُمْ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ» قال:

«من اجتنب ما أوعده الله عليه النار إذا كان مؤمناً، كفر عنه سيئاته، وأدخله مدخلاً كريماً، والكبائر السبع الموجبات: قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعرّب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف» (وسائل الشيعة ١١، باب ٤٦ من جهاد النفس ح ٣٢: ٣٦٠). وهذا الحديث من الشواهد على الجمع الذي ذكرناه بين الروايات لأنّ صدره مشتمل على تعريف الكبائر بما أوعده الله عليها النار، وذيله مشتمل على تعداد الكبائر السبع الموجبات وسند الحديث غير تامّ.

٨- المرسل المنقول عن كنز الفوائد، قال عليه السلام: «الكبائر تسع، أعظمهنّ الإشرار بالله عزّ وجلّ، وقتل النفس المؤمنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، واستحلال البيت الحرام، والسحر، فمن لقي الله عزّ وجلّ وهو بريء منهنّ كان معي في جنة مصاريحها الذهب». ورواه الطبرسي في مجمع البيان مرسلأً إلا أنّه قال: «سبع وترك الأخيرتين» وسائل الشيعة ١١، باب ٤٦ من جهاد النفس ح ٣٧: ٣٦٣. وقوله: «فمن لقي الله - إلخ -» قد يكون قرينة على أنّ الكبائر في هذا الحديث هي الكبائر الواردة في قوله تعالى: «إِنْ تَجَتَّابُوا كِبَارَكُمْ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ» نَكَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ؛ إذ فرض أنّ اجتناب هذه التسع، أو السبع يستوجب كون تاركها مع المعصوم عليه السلام في جنة مصاريحها الذهب، إلا أنّ الحديث مرسل لا قيمة له سنداً.

٩- ما عن محمد بن مسلم - بسند غير تامّ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت له: ما لنا نشهد على من خالفنا بالكفر. وما لنا لا نشهد لأنفسنا، ولأصحابنا أنّهم في الجنة؟ فقال: من ضعفكم أن لم يكن فيكم شيء من الكبائر، فاشهدوا أنّكم في الجنة. قلت: فأبى شيء الكبائر؟ قال: أكبر الكبائر الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والتعرّب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، ظلماً، والربا بعد البينة، وقتل المؤمن. فقلت له: الزنا والسرقه. فقال: ليس من ذلك» وسائل الشيعة ١١، =

ظاهر في عدم كون الزنا والسرقه من الكبائر. وهو ما عن محمد بن حكيم قال: «قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام: الكبائر تُخرج من الإيمان؟ فقال: نعم وما دون الكبائر قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن». فهذا ظاهره أن الزنا والسرقه مما دون الكبائر مع ضرورة كونهما من الكبائر بالمعنى المخلّ بالعدالة، أو بمعنى الذنوب المكفّرة - بالكسر - فهذا بنفسه شاهد على أن الكبائر قد تُستعمل بمعنى أكبر الكبائر، بل نفس عدم شمول الروايات الحاصرة للكبائر في عدد قليل لكثير من المعاصي التي هي من الكبائر - بالمعنى الفقهي - بضرورة من الفقه دليل واضح على حملها على بيان أكبر الكبائر؛ إذ فالروايات المفسّرة للكبائر بما أوعده الله عليها النار لا معارض لها.

ونفس الاختلاف في التعداد قد يكون شاهداً على عدم إرادة الحصر بالمعنى الحقيقي للكلمة أو على كون الحصر حصراً إضافياً، وأنها ليست بصدد تعريف الكبيرة بمعناها العام الواردة في الآية الكريمة.

بقي الكلام في الروايات التي ذكرت عدداً كثيراً من المعاصي تحت عنوان الكبائر، أي عدداً أكثر من العدد الذي حصرت فيه الكبائر في الروايات السابقة، وهي ثلاث روايات:

١ - رواية عبد العظيم الحسني، وهي تامة سنداً، واردة في الوسائل^٢.

٢ - رواية الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام وهي واردة في نفس الباب^٣، وهي

غير تامة سنداً.

= باب ٤٦ من جهاد النفس ح ٣٥ و ٢٦١ و ٢٦٢. فقله: «إن لم يكن فيكم شيء من الكبائر فاشهدوا أنكم في الجنة» يشهد لكون المقصود هي الكبائر التي من تركها كفّرت عنه سيئاته، لكن حينما يأتي إلى التعداد يقول: «أكبر الكبائر كذا وكذا»، ولا يقول: «الكبائر كذا وكذا»، ثم يصرح بأن الزنا والسرقه ليسا منها، بينما لا شك فقهاً في دخولهما في الكبائر بمعنى الذنوب المكفّرة - بالكسر -، أو بمعنى ما يخلّ بالعدالة.

(١) وسائل الشيعة ١١، باب ٤٦ من جهاد النفس ح ١٨: ٢٥٨.

(٢) وسائل الشيعة ١١، باب ٤٦ من جهاد النفس ح ٢: ٢٥٢.

(٣) نفس المصدر ح ٣٣: ٢٦٠.

٣- رواية الأعمش عن جعفر بن محمد عليه السلام في حديث شرائع الدين الواردة في نفس الباب^١، وهي غير تامة سنداً.

والروايتان الأخيرتان قبلان الحمل على إرادة ذكر عدد من المعاصي أكبر من سائر المعاصي، وأن لا تكونا ناظرتين إلى تفسير الآية الكريمة، فإن وجدت في هاتين الروايتين معصية لم يوعد عليها النار، قلنا في مقام الجمع: إن هذه كبيرة بالإضافة لما هي أصغر منها، وليست كبيرة بالمعنى المقصود بالآية المباركة، كي تعارض الروايات المفسرة للآية بما أوعد الله عليه النار، وإن وجدنا معصية أوعد عليها النار غير مذكورة في هاتين الروايتين قلنا: إنهما لم تكونا بصدد الحصر الحقيقي للكبيرة بالمعنى الوارد في الآية الكريمة.

أما الرواية الأولى فهي أيضاً غير واردة بصدد تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، وإنما هي واردة بالنظر إلى آية أخرى، وهي قوله: ﴿الَّذِينَ يَخْتَفُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾، إلا إذا جزمنا بوحدة المعنى في الآيتين كما ليس ببعيد، وعلى أي حال فلو وجدنا معصية مما أوعد عليها النار غير مذكورة في هذا الحديث الشريف، قلنا: إن هذا الحديث لا ينفي كونها من الكبائر، بل يثبت ذلك، وذلك لما جاء في هذا الحديث الشريف من التعليل لإثبات كون المعاصي المذكورة فيها كبائر بالآيات القرآنية المنذرة، بل وبالسنة بالنسبة لترك الصلاة.

يبقى أن هذا الحديث الشريف - أعني المروي عن عبد العظيم الحسيني - رضي الله عنه فرض ترك أي شيء مما فرض الله عز وجل كبيرة؛ بينما لم نجد في القرآن الوعيد بالنار على ترك كل ما فرض الله. ثم ماذا نقول في ترك الصوم؟ أيحتمل فقهاء عدم كونه من الكبائر؟! طبعاً لا، مع أنه لا يوجد في القرآن الوعيد عليه بالنار، وهذا كله قد يشهد لكون المقصود بروايات تعريف الكبيرة بما أوعد الله عليه النار، هو الوعيد بالنار في

(١) وسائل الشيعة ١١، باب ٤٦ من جهاد النفس ح ٣٦: ٢٦٢.

الشريعة لا في خصوص القرآن.

وقد يُقال: إنَّ النظر في آية التكفير إلى المحرّمات فقط، دون ترك الواجبات بقرينة قوله تعالى: ﴿مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾، فإنَّ ترك الواجب ترك للمأمور به، وليس منهياً عنه، إلّا بالمعنى الأصولي القائل: إنَّ الأمر بالشئ يقتضي النهي عن ضده؛ فالمعنى: أنَّ اجتناب المحرّمات الكبيرة يوجب تكفير السيئات، وليس المقصود بالسيئات ما يشمل ترك الواجبات، وإلّا للزم أن يكون ترك الصلاة التي هي عمود الدين مكفراً بترك المحرّمات الكبيرة، وهذا غير محتمل، فكأنَّ الآية الكريمة تنظر مسبقاً إلى من هو ملتزم بالواجبات فتقول: لو ترك المحرمات الكبيرة كفرنا عنه صفائر المحرّمات.

ويؤيد هذا الاستظهار أن أكثر روايات تعداد الكبائر غير مشتملة على ترك الصلاة، أو ترك أي واجب آخر في حين لا يحتمل كون ترك الصلاة التي هي عمود الدين أصغر من كل الكبائر المعدودة في تلك الروايات.

نعم توجد روايتان ذكرتا ذلك:

الأولى - ما مضى من رواية عبيد بن زرارة - بسند تام - عن أبي عبد الله عليه السلام؛ حيث جاء في ذيلها قوله: «فقلت: هذا أكبر المعاصي؟ قال: نعم. قلت: فأكل الدرهم من مال اليتيم ظُلماً أكبر أم ترك الصلاة؟ قال: ترك الصلاة، قلت: فما عددت ترك الصلاة في الكبائر، قال: أي شيء أول ما قلت لك؟ قلت: الكفر. قال: فإنَّ تارك الصلاة كافر، يعني من غير علة^١. إلّا أنك عرفت أن مثل هذه الرواية لا تُحمل على النظر إلى تفسير الكبيرة بالمعنى الوارد في آية التكفير.

الثانية - ما أشرنا إليه من رواية عبد العظيم الحسيني رضي الله عنه حيث جاء فيها ذكر ترك الصلاة متعمداً أو شيء مما فرض الله عز وجل وهذه الرواية ليست وازدة في تفسير آية التكفير، بل هي واردة في تفسير آية اللّمْ، ولم ترد كلمة النهي في آية اللّمْ، وإنّما

(١) وسائل الشيعة ١١، باب ٤٦ من جهاد النفس ح ١: ٢٥٢.

قال: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ...﴾ بينما وردت في آية التكفير حيث قال: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾، فمن المحتمل أن فرض فعل الفرائض كان مفروغاً عنه في آية التكفير، بينما في هذه الآية يكون ترك الفريضة داخلاً في الإثم. وهذه الرواية تؤيد ما استظهرناه من آية التكفير من أن موضوع الوعد بالتكفير هو من لم يكن عليه شيء من ناحية الواجبات، فإن هذه الرواية فرضت ترك الفرائض داخلاً في المقصود بالكبائر في آية اللّم، وهذا يعني أن الله تعالى إنما وعد في هذه الآية بالمغفرة لمن أتى بالفرائض، فيتحد أو يتقارب مفاد الآيتين.

إلا أن الذي يبعد استظهارنا لاختصاص آية التكفير بالنظر إلى المحرمات، أن كلمة (ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ) وإن كانت - لعلها - مُختصة بالمحرمات بحسب حاق اللغة، ولكن حسب مناسبات الحكم والموضوع لا فرق في المعصية من حيث كونها صغيرة أو كبيرة، ومن حيث نكته المكفّرة - بالكسر - والمكفّرة - بالفتح - بين أن تكون فعلاً لحرام، أو تركاً لواجب. وعلى أي حال فلا بد من افتراض أحد أمور ثلاثة: إما افتراض أن الآية ناظرة إلى خصوص المحرمات، أو افتراض أن المقصود بوعيد الله بالنار الوعيد في الشريعة، لا الوعيد في خصوص القرآن، أو افتراض أن مقياس الوعيد بالنار في القرآن إنما ذكر للمحرمات، وأما ما فرضه الله من الواجبات فهي جميعاً يعتبر تركها كبيرة. ولعل هذا الوجه الأخير أقوى الوجوه. وأما استبعاد كون تمام الواجبات تركها كبيرة فيمكن الجواب عنه بأن المقصود ما ورد في رواية عبد العظيم الحسني من عنوان ما فرضه الله ليس هو تمام الواجبات بل الواجبات الواردة في القرآن، ويشهد لذلك ما في صدر الرواية من أن سؤال السائل كان عبارة عن طلب معرفة الكبائر من كتاب الله، فكأن مقصوده عليه الصلاة والسلام أن الواجبات على قسمين: منها ما فرضه الله وهو وارد في كتابه ويكون تركه كبيرة، ومنها ما فرضه رسول الله صلى الله عليه وآله في سنته بإذن الله أو بإمضائه ولا يعتبر ترك ذلك كبيرة.

بقي الكلام في شيء واحد، وهو أننا وإن قلنا: إن ارتكاب الصغيرة لا يضر بالعدالة ولكننا نقول: إن الإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة لعدة روايات، كما ورد عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار»^١ إلا أن سنده ضعيف بعمار بن مروان القندي الذي روى هذا الحديث عن عبد الله بن سنان، ولم تثبت وثاقته. وما ورد عن محمد بن أبي عمير عن موسى بن جعفر عليه السلام في حديث..... قال النبي صلى الله عليه وآله: لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار..... إلخ^٢، وهذا الحديث تام سنداً^٣. وما عن الفضل بن شاذان -والسند غير تام- عن الرضا عليه

(١) يبدو من بعض الروايات أن معنى الإصرار ليس هو التكرار، بل معناه عدم الندم، أو عدم حديث النفس بالتوبة، وإن كانت تلك الروايات غير واردة في الصغيرة، وما شاهدت من ذلك روايتان:

١- ما جاء في رواية محمد بن أبي عمير عن موسى بن جعفر عليه السلام من قوله: «يا أبا محمد، ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب، ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة، ومتى لم يندم عليها كان مصرّاً، والمصرّ لا يغفر له، لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب، ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم... إلخ» وسائل الشيعة ١١، باب ٤٨ من جهاد النفس، ح ٣٧٨.

٢- ما عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: «ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون»، قال: «الإصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بالتوبة، فذلك الإصرار». وسند الحديث كما يلي: الكليني عن أبي علي الأشعري عن محمد بن سالم عن أحمد بن النضر عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام، والسند ضعيف بعمرو بن شمر على الأقل.

هذا والظاهر أن التفسير الأول -أي الوارد في الحديث الأول- لا يمكن تسريته إلى باب الصغيرة، لأن الإصرار لو كان بمعنى عدم التوبة فالصغيرة بلا إصرار مغفورة بالتوبة سواء اجتنب الكبائر أو لا، فما معنى قوله: «إن تَجْتَنِبُوا كِبَايِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ»، فالظاهر أن المقصود بالإصرار إما هو التكرار الكثير، أو الإصرار النفسي، والإصرار النفسي هو الذي أشير إليه في الحديث الثاني وهو المفهوم عرفاً من كلمة الإصرار، فالإصرار حالة نفسية بمعنى كون الإنسان مرتكباً للذنب لا كصدفة عابرة على النفس بل بإقبال نفسي ثابت.

(٢) وسائل الشيعة ١١، باب ٤٨ من جهاد النفس، ح ٣٧٨.

(٣) وسائل الشيعة ١١، باب ٤٧ من جهاد النفس، ح ٣٦٦.

(٤) لأن الصدوق رواه عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن أبي عمير، ومن قبل الهمداني لا إشكال فيهم، وأما الهمداني فهو وإن لم يرد في كتب الرجال توثيقه، لكن يكفي في توثيقه ما ذكره الصدوق رحمه الله في كتاب (كمال الدين وتمام النعمة) من قوله بعد ذكر حديث: «لم أسمع هذا الحديث إلا من أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه بهمدان عند منصرفي من حج بيت الله الحرام، وكان رجلاً ثقة ذنباً فاضلاً رحمه الله عليه ورضوانه». كمال الدين وتمام النعمة، آخر باب ما روي عن أبي الحسن موسى بن جعفر في النص على القائم: ٣٦٩، بحسب طبعة دار =

السلام في تعداد الكبائر وفيه: (الإصرار على الذنوب)^١. وعن تحف العقول مرسلًا (والإصرار على الصغائر من الذنوب)، والظاهر أن هذا هو المقصود حتى مع حذف كلمة (الصغائر)، فإنَّ الكبائر هي كبائر بلا حاجة إلى إصرار. وما عن الحسين بن زيد عن الصادق عن آبائه عليهم السلام في حديث المناهي: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ قَالَ: لَا تَحْقِرُوا شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ وَإِنْ صَغُرَ فِي أَعْيُنِكُمْ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ فِي أَعْيُنِكُمْ، فَإِنَّهُ لَا كَبِيرَ مَعَ الْاِسْتِغْفَارِ، وَلَا صَغِيرَ مَعَ الْاِصْرَارِ»^٢، وسنده غير تامٍّ. وما عن أبي بصير بسند تامٍّ، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا والله لا يقبل الله شيئاً من طاعته على الإصرار على شيء من معاصيه^٣. ومقتضى إطلاق الحديث أن الإصرار على المعصية الصغيرة أيضاً يمنع قبول الطاعة، وافترض بقائها صغيرة - وكونها مغفوة عنها عفواً جزئياً لو لم يقترن بالكبائر - لا يجتمع عرفاً مع المانع عن قبول الطاعة. وأدلة حصر الكبائر في أعيان المعاصي الكبيرة لو تمت تحمل على ذوات الذنوب دون الإصرار عليها. وقد يقال: إن إطلاق هذا الحديث يعارض إطلاق الآية الكريمة: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الظاهر في اجتناب أعيان الذنوب الكبيرة لا الإصرار على معصية هي في نفسها صغيرة.

وقد يُجاب بأنَّ هذا الحديث يمكن تفسيره بافتراض كون نفس الإصرار على الذنب المقترون بالعمل من المعاصي الكبيرة، فيصبح مصداقاً لـ (كبائر ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ)، وإنما قيّدنا الإصرار بكونه مقتروناً بالعمل كي لا ينافي ما دلَّ على العفو عن النية البحتة.

= الكتب الإسلامية بطهران.

(١) وسائل الشيعة ١١، باب ٤٦ من جهاد النفس، ح ٣٣: ٣٦١.

(٢) نفس المصدر، باب ٤٣ من جهاد النفس، ح ٨: ٢٤٦.

(٣) نفس المصدر، باب ٤٨ من جهاد النفس، ح ١: ٣٦٨.

معنى اللّم

وفي ختام هذا البحث لا بأس بالإشارة إلى معنى اللّم، والذي يستفاد من كتاب لسان العرب^١ أنّ المحتملات في اللّم ثلاثة:

١ - أن يكون بمعنى صغار الذنوب، وقد نقل في لسان العرب عن أبي إسحاق أنّه قال: اللّم نحو الثبلة والنظرة وما أشبهها. وإلى هذا يرجع ما نقله عن الجوهري أنّه قال في تفسير قول وضّاح اليمن:

إذا قلت يوماً: نُولِني تبسمت

وقالت: معاذ الله من نيل ما حرّم

فما نُولت^٢ حتى تضرعت عندها

وأنبأها ما رخص الله في اللّم

قال الجوهري في تفسير ذلك يعني التّخفيف.

٢ - أن يكون بمعنى مقاربة المعصية من غير موافقة.

٣ - أن يكون بمعنى أنّك تأتي بشيء في وقت، ولا تقيم عليه، ولا تصرّ.

وكأنّما المقصود أنّك تُبتلى صدفة بمعصية ثم تتركها وتوب عنها، وقد تُبتلى صدفة بها مرة أخرى من دون إصرار، وهذا المعنى الثالث هو المستفاد من الروايات الواردة في معنى اللّم^٣.

هذا ولو لم نقبل دلالة هذه الآيات بالالتزام العرفي على عدم إضرار الصغائر بالعدالة أو بحكم العدالة، فلا أقلّ من أنّها تصنع جوّاً متشريعاً يمنع عن فهم معنى ترك جميع الذنوب من أدلة شرط العدالة أو مانعية الفسق، ويصرف الكلمتين إلى النظر إلى خصوص الكبائر دون الصغائر المجردة عن الكبائر، فجوّ متشريع يَعرِف فيه أنّ مرتكب

(٢) نُول: أي أعطى شيئاً بسيراً.

(١) لسان العرب ١٢: ٥٤٩ وما بعدها.

(٣) راجع: أصول الكافي ٢: ٤٤١ و٤٤٢.

الصغيرة التارك للكبائر يكفر الله سيئاته ويدخله مدخلاً كريماً، وله ما عند الله الذي هو خير وأبقى، ويجزيه بالحسن، لا يسمح لفهم أكثر من ترك الكبائر من شرطية العدالة أو مانعية الفسق. وعلى أية حال فسواء تَمَّت هذه التقريبات أو لم تتم كفتنا رواية عبد الله بن أبي يعفور الماضية لإثبات عدم إضرار ارتكاب الصغيرة بالعدالة.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

« أَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَأَهْلِكَ
وخاصَّتِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى
وَأَعْدِلْ فِي الْعَدُوِّ وَالصِّدِّيقِ »

الآدمي : غزواتهم

إِنَّا أُعْطِينَاكَ الْكَوْثَرَ

الشيخ محمد حسين الأندلسي (الملك)

يا أَوَّلَ نورٍ قد صُوِّرَ	وبه كلُّ نبيٍّ بُشِّرَ
إِنَّا أُعْطِينَاكَ «الزَّهْرَا»	«إِنَّا أُعْطِينَاكَ الْكَوْثَرَ»
أبناءُ الزَّهْرَا والزَّهْرَا	وأبوهَا والمولى حِيدَرُ
ما يَبْدُو خَيْرٌ في الدُّنْيَا	إِلَّا وَهُمْ كَانُوا الْمَصْدَرُ
ومَكَارِمُهَا تَبْدُو عَرَضاً	وَهُمْ كَانُوا يَنْعَمُ الْجَوْهَرُ
فَهُمْ أَوَّلُ مَنْ قد صَلَّى	أَوَّلُ مَنْ هَلَّلَ أَوْ كَبَّرَ
الْجَنَّةُ أَكْبَرُ مِنْ وَصْفِ	وفَوَاكِهَهَا حَسْبُ أَكْبَرِ
والزَّهْرَا فَأكْهَةٌ مِنْهَا	ولِذَا فِيهَا سَحَرٌ يُؤْتَرُ
والشَّعْرُ عِلَالٌ بِمَدَائِحِهَا	لَا يُذَكَّرُ شَيْءٌ إِنْ تُذَكَّرُ
أَنْوَارٌ مَدَائِحُهَا تَطْفِئُ	حَتَّى فِي الصَّيْحِ إِذَا أَشْفَرُ
وعِيْرٌ مَدَائِحُهَا يَذْكُرُ	حَتَّى فِي الْمِسْكِ أَوْ الْعَنْبَرِ
ورَقِيقٌ مَدَائِحُهَا حَرٌّ	لسِوَاهَا بِالْمَلِكِ فَلَاقِرُ
وجَمَالٌ مَدَائِحُهَا يَبْدُو	كَجَمَالِ الرُّوضِ إِذَا أَزْهَرُ
كَالْوَرْدِ الْأَحْمَرِ إِذْ يَبْدُو	يَجْلِسُ فِي مُحْرَابٍ أَخْضَرُ
وَإِذَا مَا شِئْتَ لَهَا وَصْفاً	فَالنُّورُ لَهَا أَقْرَبُ مَغْبَرُ

(١) إشارة إلى الفاكهة التي هبط بها جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فأكلها ثم لما واقع خديجة عليها السلام حملت منه بفاطمة عليها السلام - راجع: بحار الأنوار ٤: ٤٣.

ولذا في المحشر لا تبدو
فسنا برق «الزهر» سحر
ويكاد سنا برق «الزهر»
وربيع مدائحها فيض
وبه أرض الشعر ستزهو
وتكاد سماءات الشعراء
«الزهر» مشكاة فيها
والمصباح إذا ما يبدو
درّي كوكبها يعلو
يوقد من زيتونة خير
ويكاد الزيت يضيء ولو
نور في نور من نور
قد قال لها الهادي قولاً
الباري يرضى لرضاها
ويكنيها «أم أيها»
ويقبل حباً إكراماً
فالهادي لا ينطق هجراً
شيئها فازوا بولاهها
حتى بالغض لنا يؤمر
يخطف ألباب ذوي المحشر
يذهب بالأبصار إذا مر
ومن جنات العرش تحذر
وسماوات الشعر ستزهو
بمدح «الزهر» تنفطر
مصباح يا حُسن المنظر
في نور زجاجة مُغمر
وبه نور الله تكور
وله الله لهذا استأثر
لم تمسه النار فيؤمر
سبحان الله إذا صور
حسبي هذا وبه أفر
وبذا حتى الشانئ قد قر
وثخص بآيات أكثر
يدها والأمر هنا أبهر
لا يفعل إلا ما يؤمر
قد قطموا من نار تسعر

ماهية العمل التفسيري

تحديد العمل التفسيري

الشيخ محسن العراقي

من الضروري لنا ومنذ البدء في أي عمل تفسيري أن نحدّد الطريقة التي نريد اتباعها في الفهم التفسيري لكتاب الله العزيز. وتحديد المنهج والطريقة المتبعة في التفسير تتطلب تحديد العمل التفسيري قبل كل شيء ليتسنى لنا آنذاك أن نحدّد المنهج والطريقة الصحيحة في التفسير.

تحديد ماهية العمل التفسيري

هناك فروض واحتمالات عديدة في تحديد العمل التفسيري:

الافتراض الأول: أن يفترض القرآن كلاماً ملغزاً رمزياً، أو ما يُعبّر عنه في لغة الأصوليين بالمُجمل. والتفسير عبارة عن محاولة كشف هذه الرموز وفتح مغاليقها وبيان الاسرار الكامنة فيها. وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى لم يتبع في كلامه القرآني الأساليب المتبعة بين الناس في التفهيم والتفاهم. بل اتبع طريقة خاصة لا يعرفها إلا النبي صلى الله عليه وآله والمخصوصون من أوليائه وأهل بيته الذين وقفوا على مفتاح هذا الرمز وأطلعوا على خفايا هذا السر.

وهذا يعني في عبارة أخرى خروج القرآن عن طور الكلام، ودخوله في مقولة الإشارات والرموز، فإنه لا يطلق الكلام على مجرد الأصوات المؤتلفة في تنسيق خاص، بل المراد بالكلام التراكيب اللفظية المعيّنة بما هي موضوعة لمعانٍ خاصة، فإذا انتزعت

منها هذه المعاني خرجت عن مقولة الكلام وانخرطت في سلك الإشارات والرموز^١. وهذا الفرض باطل به. سرف نذكره من دليل، وبطلان هذا الفرض يعني صحّة التقدير الآخر وهو أنّ القرآن الكريم كلامٌ عربي مبين أتبع نفس الطريقة المألوفة في التفهيم والتّفاهم عند الناس، وجري بنفس الأسلوب المتّبع في الكلام لدى العرب وهم الذين نزل القرآن فيهم وبعث الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله بينهم. أمّا دليل بطلان الفرض فهو من العقل ومن النقل:

ودليل العقل وجوه:

الاول: لا ريب أنّ الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله ألقي هذا الكتاب إلى الناس ولم يحتفظ به لنفسه أو لخاصّته، ولو كانت المعاني المقصودة بهذا الكلام معاني خاصّة غير المعاني التي ألف الناس فهمها من كلام من هذا القبيل، لكان ذلك إغراء لهم بالجهل، وإبعاداً لهم عن واقع الشريعة، وتمهيداً لوقوعهم في متاهات الضلال، وانزلاقهم في مهايوي الإنحراف. وذلك مستحيل على من بعثه الله هادياً للبشريّة إلى الصراط المستقيم وجعله سبباً لاقترابهم منه، وابتعادهم عن الضلال والإنحراف.

ولأنّ القرآن الكريم كلامٌ عربي من سنخ الكلام المتعارف لدى الناس الذين انتشر القرآن بين أظهرهم، فمن الطبيعي أن يترك هذا الكلام أثراً معيّنًا على المؤمنين به والمتقادين له، ومن الطبيعي أن يكون هذا التأثير والتأثير وفقاً للأساليب المتعارفة في فهم المعاني والمفاهيم من الكلمات والألفاظ. فإذا كانت المعاني المألوفة غير مرادة ولا مقصودة - والمفروض أنّ الناس انساقوا وراء هذه المعاني والمفاهيم جرياً على طبيعتهم

(١) اللهم إلا إذا ادّعى أنها وضعت من جديد لمعانٍ أخرى غير المعاني المتعارفة في اللغة، وهذه الدعوى إضافة إلى كونها مسلّمة البطلان لم تصدر من النبي نفسه ولا من الأئمّة عليهم السلام، بل جاء في القرآن وعلى لسان النبي والأئمّة عليهم الصلاة والسلام ما يصرّح بكون القرآن نزل بلسان عربي وبلسان القوم الذين بعث النبي صلى الله عليه وآله بينهم ونزل القرآن فيهم.

ومرتكزاتهم - كانت النتيجة الحتمية لهذا الإنسياق الوقوع في ما يخالف مقاصد الشريعة ويناقض أهدافها وطريقتها، ويكون ذلك إغراءً بالجهل وتقريباً إلى الضلال.

الثاني: أن الرسول الكريم ادعى كون القرآن معجزاً وبرهاناً على رسالته وكونه مبعوثاً من قبل الله تعالى. ومن الواضح أنه لا بدّ في المعجز من أن يكون واضحاً في دلالته على صدق النبي ليصحّ اتخاذه برهاناً على النبوة.

ودلالة المعجز على صدق الرسالة قائمة على أساسين:

الأساس الاول: خروج العمل الإعجازي عن حدود الطاقة البشرية. وهذا يحقّق التلازم الواقعي بين العمل الإعجازي وصدق الرسالة.

الأساس الثاني: وضوح عنصر الإعجاز في العمل الإعجازي، بمعنى أن مجرد التلازم الواقعي بين الإعجاز والصدق غير كافٍ في دلالة المعجز على صدق الرسالة، بل لا بدّ من وضوح الملزوم أيضاً ليتسنى لعامة الناس أن يصدّقوا بالرسالة من خلال اطلاعهم على العمل الإعجازي. والقرآن إعجاز قولي وليس إعجازاً فعلياً بحتاً، والإعجاز إنما يُعرف فيما إذا كان العمل الإعجازي مسانخاً للأعمال البشرية متفوقاً عليها، وإلا فلو لم يكن هناك تسانخ بين العمل الإعجازي والأعمال البشرية لم يُعرف عجز البشر بالنسبة إليه. وحينئذٍ فلا بدّ أن يكون الإعجاز القولي مسانخاً للأقوال المتداولة عند البشر حتّى تصحّ نسبة العجز عن هذا النوع من الكلام إليهم، لأنّه مسانخ لسائر كلامهم، ولكنّه فوق كلامهم وخارج عن حدود قدراتهم التعبيرية والقوليّة. فالعجز البشري عن القيام بالعمل الإعجازي إنما يصحّ تصوّره في الإعجاز القولي إن كان من سنخ سائر الممارسات القوليّة المألوفة بين الناس. فلو قام النبيّ بأعمال إعجازيّة كثيرة في خلوة عن الناس، أو أنّها كانت بمرآى منهم وسميع لكتّنها لغموضها وإبهامها لم تتّضح للناس جهة إعجازها وكونها خارجة عن حدود الطاقة البشرية. فكيف تتم دلالتها على صدق دعوى النبيّ صلى الله عليه وآله ما دام لم يتّضح للناس كونها أمراً معجزاً وخارجاً عن حدود الطاقة البشرية؟

وحينئذٍ فيما أن القرآن من جنس الكلام، فلا بد أن يكون من جنس الكلام المتعارف والمألوف لدى الناس، ليتمكنوا حينئذٍ من معرفة جهة إعجازه، وليتضح لهم كونه خارجاً عن حدود الطاقة البشرية، إذ كيف يمكن لعامة الناس معرفة جهة الإعجاز في الألفاظ الملغزة وغير المفهومة؟

الثالث: إن النص القرآني جاء على شكل كلام منتظم مفهوم رصين، ولو قصد به الرمز والإشارة لم يكن من الضروري أن يأتي على هذا النمط المنسق المتين. إذاً فهنا احتمالان:

١- أن لا يقصد بهذا الكلام المنتظم المنسق هذه المعاني المفهومة منها، بل يقصد به معاني أخرى لا علاقة لها بخصوص هذا النوع من الكلام، بل كان يمكن أداؤها باستعمال رموز وإشارات أخرى.

٢- أن يقصد بهذا الكلام هذه المعاني المفهومة منها. ولا شك أن كل ظاهرة من ظواهر الإنسجام والتنسيق بين كلمات القرآن على أساس من معانيها المتعارفة قريبة قوية على كون هذه المعاني هي المرادة من هذه الألفاظ، ولا ريب أن اجتماع كل هذه القرائن المتظافرة لا يترك مجالاً لاحتمال إرادة معاني خفية ومفاهيم أخرى غير المفاهيم والمعاني المتعارفة. كل هذا من الدليل العقلي على كون الكلام القرآني كلاماً مبيّناً غير مجمل.

وأما الدليل النقلی: فمن الكتاب طوائف عديدة من الآيات:

الطائفة الأولى: آيات التحدي، فلولا أن القرآن من نسخ الكلام المألوف عند الناس لم يصح تحديهم بأن يأتوا بسورة من مثله، أو بعشر سور من مثله، أو بمثله كله^(١).
الطائفة الثانية: الآيات المتضمنة كون القرآن بياناً للناس، وهدىً وتبياناً، ونوراً وذكرًا

(١) كآية ٢٣ من سورة البقرة، والآية ١٣ من سورة هود.

دراسات

وموعظة^١.

الطائفة الثالثة: آيات الخطاب، أي الآيات المتضمنة لخطاب الناس، مثل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أو لخطاب المؤمنين مثل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وأمثال ذلك، فمخاطبة الناس والمؤمنين لا تصح إلا باللغة التي يفهمونها، وإلا لكان الخطاب لغواً.

الطائفة الرابعة: آيات الترغيب والتشويق، والترهيب والتخويف، فلو لم يكن الظاهر القرآني حجة لم يتحقق الغرض من الترغيب والتشويق أو الترهيب والتخويف، ولكانت كل هذه الأساليب والكلمات الترغيبية أو التخويفية فاقدة لكل أثر وعزيمة لكل جدوى. فمثل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^٢، أو ﴿وَإِخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً﴾^٣ أو ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^٤ ونظائرها، تفقد أثرها الترغيبية أو التخويفية:

ومن الروايات طوائف كثيرة جداً نشير إلى أهم عناوينها:

الطائفة الأولى: الروايات الآمرة بالتدبر في القرآن والإمعان فيه^٥.

الطائفة الثانية: الروايات الآمرة بالعمل بالقرآن والتمسك به، وعدم الانحراف عن سبيله^٦.

الطائفة الثالثة: الروايات الآمرة بعرض الأخبار على القرآن والأخذ بما وافقه وترك ما خالفه^٧.

الطائفة الرابعة: الروايات المتضمنة للإستشهاد بالآيات القرآنية وإرجاع السائل إلى

(١) الآيات: البقرة: ١٣٨، إبراهيم: ٤٤، الجاثية: ٢٠.

(٢) الحج: ١.

(٣) لقمان: ٣٣.

(٤) آل عمران: ١٣٣.

(٥) وسائل الشيعة، أبواب قراءة القرآن، الباب ٣، الأحاديث: ١، ٢، ٣، ٦، ٧.

(٦) بحار الأنوار، ٩٢: ١٧٧.

(٧) وسائل الشيعة، أبواب صفات القاضي، الباب ٩. وأصول الكافي باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب.

النص القرآني^١

فقد اتضح بما ذكرناه من الأدلة القطعية نقلها وعقلها، بطلان الزعم القائل بخروج الكلام القرآني عن طور الكلام العرفي المتداول بين الناس، فالقرآن إذاً كلام من سنخ سائر الكلام غير أنه يفوقه بما يعجز البشر عن الإتيان بما يشبهه أو يماثله.

ويترتب على هذا أن ماهية العمل التفسيري ليست عبارة عن كشف الألفاظ والرموز وحل مغاليق الأسرار والمعاني لتتحدد الاستفادة من الكلام القرآني بفئة خاصة من البشر - وهم المعصومون - وليختص العمل التفسيري بمراجعة الروايات المنقولة عن المعصومين في الكشف عن هذه الألفاظ والرموز.

وبعد بطلان الفرض الأول في تحديد ماهية العمل التفسيري نتقل إلى الفرض الثاني:

الإفتراض الثاني: أن يكون العمل التفسيري عبارة عن تحديد ظواهر الألفاظ وتعيين حدود معانيها وفق الأساليب المتعارفة والمتداولة لاقتناص المعاني من قوالها اللفظية. وهذا الفرض يخالف الفرض الأول، ليس في تحديد ماهية العمل التفسيري فحسب بل في الأساس الذي يبتني عليه كل من الفرضين أيضاً. فإن أساس الفرض السابق عدم مرادية الظواهر اللفظية من النصوص القرآنية، وإنما ألفاظ استعملت كرموز لمعانٍ خفية لا ككلام متعارف يقصد به المعاني المألوفة من ألفاظها.

وأساس هذا الفرض أن القرآن نزل بِلغة الناس، وقصد به إلقاء معانيه من خلال ألفاظه وفق الأسلوب السائد في التفهيم والتفاهم بين عامة الناس.

ويتلخص تحديد العمل التفسيري في ضوء هذا الفرض، بتحديد المعاني التي تسعها القوالب اللفظية، وفقاً للأساليب والقواعد الموضوعية والمتعارفة لدى أهل اللغة. والأسلوب الذي لا بد أن يتبع في العمل التفسيري - وفق هذا التحديد - لا يختلف في

(١) وسائل الشيعة، أبواب الوضوء، الباب ٣٩، الحديث ٥، وغير ذلك من الروايات الموجودة في أبواب متفرقة.

الغالب عن الأسلوب الذي ينبغي اتّباعه في تحديد المقاصد والمعاني من الألفاظ والنصوص الصادرة من أي مصدر عقلائي حكيم بهدف عن معقول. ولعلّ الطريقة التي اقترحها المفسّر الكبير العلامة الطباطبائي رضوان الله تعالى عليه للعمل التفسيري، القائمة على أساس (تفسير القرآن بالقرآن) وفهم النصّ القرآني على ضوء المعنى الذي يشعّ منه عند عرضه على سائر النصوص القرآنيّة، تنسجم مع هذا اللون من تحديد العمل التفسيري. وذلك لأنّ النصّ القرآني كلّ يعتبر في الواقع كالنصّ الواحد، فتحديد المعاني الظاهرة للنصوص القرآنيّة وبلورة المضمون القرآني المنبثق من خلال النصوص إنما يتسنى لطالب القرآن عن طريق المواجهة المجموعيّة مع الكلام القرآني، وبعد المتابعة الكاملة للفقطة الواحدة والعبارة الواحدة في مواطن استعمالها المختلفة في القرآن.

ولا ريب في ضرورة العمل التفسيري بالمعنى المذكور، فإنّ الفهم المستوعب للظاهر القرآني لا يتمّ إلّا من خلال هذا النوع من التفسير، وسوف نبيّن فيما يأتي العوامل الدخيلة في تحديد الظاهر القرآني، والتي لا بدّ من الإستعانة بها في فهم المعنى القرآني الظاهر.

غير أنّ هنا نقطة تجعلنا لا نكتفي في العمل التفسيري بحدود الظاهر وهي التأكيد البالغ في الأحاديث الشريفة على أنّ للقرآن ظهراً وبطناً، وأنّ الباطن القرآني يفوق ظاهره في أبعاد المعاني وشمولها وكثرتها.

وهنا نستعرض شيئاً من هذه النصوص:

روي عن ابن عباس: أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها إلّا وله ظهر وبطن وإن علي بن أبي طالب عليه السلام علم الظاهر والباطن^(١).

وروى العياشي في تفسيره عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن

(١) بحار الأنوار ٩٢: ٩٣. نقلاً عن مناقب ابن شهر آشوب.

هذه الرواية: «ما في القرآن آية إلا ولها ظهر ويطن، وما فيه حرف إلا وله حد، ولكل حد مطلع ما يعني بقوله: لها ظهر ويطن؟ قال: ظهره ويطنه تأويله، منه ما مضى، ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما تجري الشمس والقمر، كلما جاء منه شيء وقع، قال الله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾ نحن نعلمه»^١.

وروى البرقي في المحاسن عن أبيه عن علي بن الحكم عن محمد بن الفضيل عن بشر الوابشي، عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من التفسير فاجابني ثم سأله عنه ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك، كنت أجبتي في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم، فقال: «يا جابر، إن للقرآن بطناً وللبطن بطن، وله ظهر، وللظهر ظهر، يا جابر: ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية يكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل متصرف على وجوه»^٢.

وروى الصفار في بصائر الدرجات عن محمد بن عبد الجبار، عن منصور بن يونس عن حماد اللحام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: نحن والله نعلم ما في السماوات وما في الأرض، وما في الجنة وما في النار، وما بين ذلك، فبُهِتُ أنظر إليه، قال: فقال: «يا حماد إن ذلك من كتاب الله، إن ذلك من كتاب الله، إن ذلك من كتاب الله ثم تلا هذه الآية ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ إنه من كتاب الله، فيه تبيان كل شيء، فيه تبيان كل شيء»^٣.

فإن هذه النصوص وعشرات أمثالها تؤكد على أن مضموناً قرآنياً واسعاً وبعيداً في آفاقه وحدوده يقف وراء هذا المضمون القرآني الظاهر من خلال الألفاظ. وهذا المضمون الوراثي هو الذي يعبر عنه في لسان الروايات بالباطن تارة، وبالتأويل أخرى،

(٢) المحاسن: ٣٠٠.

(١) تفسير العياشي ١: ١١.

(٣) بصائر الدرجات: ١٢٨ وبحار الأنوار ٩٢: ٨٦.

في مقابل المضمون الظاهر المعبر عنه بالتنزيل تارة، وبالظاهر أخرى. وليس من شك أن المضمون الورياني ليس مضموناً مثالياً منفصلاً عن حياة الناس ومنعزلاً عن الرسالة التي يحملها القرآن إلى البشرية.. بل هو جزء لا يتجزأ من مجموع المضمون القرآني، فإن القرآن وحدة واحدة لا تقبل التبعض والتفريق، والايان به لا ينفك عن الايمان بمجموع ما يحتويه، سواء في بعده الظاهر أو الباطن، فكما أن الظاهر القرآني منزل من عند الله ولا يسع المؤمن أن يتجاوزه أو يتعداه، كذلك الباطن القرآني فإنه منزل من عند الله ولا يسوغ للمؤمن إنكاره أو تجاوزه، فلا بد إذاً من التعرف على الباطن القرآني ليتاح لنا العمل به والالتزام به وتطبيقه. ولكن ما هي حقيقة هذا المضمون الورياني الباطن، وكيف يتاح لطالب القرآن أن يقف عليه؟ هذا ما سنجيب عنه في الافتراض الثالث لتحديد العمل التفسيري:

الافتراض الثالث: في تحديد العمل التفسيري: هو أن العمل التفسيري عبارة عن محاولة استكشاف المضمون الباطني للقرآن الكامن وراء مضمونه الظاهري، والمراد بالمضمون الباطني ليس أمراً ذهنيّاً منفصلاً عن الواقع اللفظي للقرآن، ولا منعزلاً عن عالم البيان والتفاهم، ولا منفصلاً عن حياة الناس وممارساتهم المألوفة في الحياة، بل المراد بالمضمون الباطني أن لكل كلام يصدر عن متكلم ما بعده ظاهرياً وهو هذا البعد الذي يتجلى خلال الألفاظ والدلالات العرفية المستعملة أثناء الكلام، وهناك بعد آخر يقف وراء هذا المضمون الظاهر وهو ما يمكن تصنيفه إلى أمور:

أولاً: الدواعي والبواعث والأغراض الأولى التي دعت المتكلم إلى أن ينشئ هذا الكلام المتضمن لهذا المعنى الظاهر. صحيح أن الكلام يحمل في طياته أغراض المتكلم عادة، غير أن الأغراض القصوى ليست مما يظهر على السطح أثناء التفاهم الكلامي، وليست مما يتجلى من خلال القوالب اللفظية والدلالات المتعارفة التي يتم من خلالها التفاهم والتفهم.

ولذلك كثيراً ما تجد أن متكلماً ما ينشئ كلاماً مفهوماً لدى العامة من الناس، ولكن القريب العارف بأحوال المتكلم وخصائصاته وأوضاعه الشخصية معرفة كاملة يستطيع أن يستنبط من هذا الكلام بعض المداليل التي لا يفهمها الآخرون مما يرتبط بالدواعي والأسباب التي جعلت المتكلم يتكلم بهذا الكلام الخاص.

ثانياً: النتائج والعواقب التي تترتب على معنى معين يحمله اللفظ .. فاللفظ لا يؤدي أكثر من معناه المتعارف، ولا يفهم الناس من هذا اللفظ - في العادة - غير ما يشتمل عليه من المعاني المتعارفة، ولكن هناك القليل ممن له المعرفة الكاملة بظروف المعنى، وملابساته، يستطيع أن يتفهم من خلال المعنى الظاهري الذي تدل عليه الألفاظ، النتائج والآثار التي سوف تلحق هذا المعنى وتترتب عليه.

ثالثاً: تفاصيل المعنى وجزئياته .. فإن اللفظ الذي يدل على معنى، ليس دائماً يحمل كل تفاصيل المعنى وجزئياته، بل المعاني لكثرتها وعدم تناسلها، والألفاظ لتناهيها وقلتها .. أضف إلى ذلك ظروف التفاهم والتفهم وما يلابسها من القيود والحدود الزمانية والمكانية، كل ذلك يحول دون أن تظهر المعاني بكل تفاصيلها وجزئياتها على منصبة الألفاظ والكلمات، فلا بد للألفاظ والكلمات أن تعبّر عن معانيها على نحو العموم والكلية، وتبقى التفاصيل والجزئيات لتتم الدلالة عليها بدوال أخرى إما لفظية أيضاً ولكن أكثر توضيحاً وتفصيلاً وإما عملية وميدانية.

فالمعاني الكلية العامة - رغم وضوحها وظهورها - لم تكن الحد الذي ينتهي عندها المضمون، بل التفاصيل والجزئيات وهي امتداد ذلك المضمون الظاهر، تعتبر مضموناً باطنياً ووراثياً يقف خلف المعاني الكلية الظاهرة من خلال الألفاظ.

رابعاً: أن وضوح المعنى أمر مرحلي تشكيكي له مراتب ودرجات تختلف باختلاف ظروف السامع النفسية والعقلية، فإن المعنى الواحد الذي يحمله الكلام الواحد قد يختلف في وضوحه وجلاله باختلاف أفراد الناس حسب ظروفهم النفسية والعقلية.

فمثلاً عندما يكون هنالك شخصان أحدهما يعرف عن مدينة اصفهان مثلاً شيئاً كثيراً لأنه سافر إليها وشاهدها وعاش بين أهلها، والآخر لم يعرف منها إلا الشيء اليسير، لم يعرف منها إلا أنها مدينة كبيرة من مدن إيران وليس أكثر، فلو أن مخابراً أخبرهما عن سفرته إلى هذه المدينة ومشاهداته فيها مثلاً، لا شك أن المعاني التي يتصورها الشخص الأول أشد وضوحاً وجلالة من المعاني التي يتصورها الآخر، وهذا التفاوت في الوضوح يسبب سرعة الفهم وجودته وسرعه اليقين ورسوخه بالنسبة إلى هذه الأخبار عند الشخص الأول، بخلاف الثاني .. وهذا يؤدي إلى أن الأول يكون أقدر على ضبط تفاصيل الخبر ونقله إلى الآخرين بخلاف الثاني.

فالمعنى هنا معنى واحد، ولكنه على درجات في الوضوح والخفاء، وليس المراد بالوضوح والخفاء، هنا، وضوح اللفظ في أدائه للمعنى أو خفائه .. بل نعني وضوح المعنى ذاته وخفائه .. فهناك درجة من وضوح المعنى يصل إليها كل من يطرق سمعه الكلام الذي يؤدي ذلك المعنى .. وهناك درجات من الوضوح والصراحة لا يبلغها إلا القليلون ممن شاهد المعنى وعاشه ومارسه ممارسة ميدانية فاعلة .. وهذه الدرجات العليا من وضوح المعنى وصراحته تعتبر أيضاً نوعاً من المضمون الورائي للألفاظ.

والقرآن العظيم كلام الله تبارك وتعالى، وفيه تبيان كل شيء - حسب تعبير الرواية - ولكن لهذا الكلام العظيم - كما لسائر الكلام - مضمون ورائي باطن يقف وراء مضمونه الظاهري، ويعتبر امتداداً له وتفسيراً وتأويلاً له .. لأنه نفوذ إلى باطن المعنى وغوره، ونفوذ إلى مبادئه وخواتمه، وإحاطة بمراحله ودرجاته، ومعرفة بتفاصيله وجزئياته .. وهذا النفوذ إلى عمق المعنى ليس من شأن كل أحد .. بل هو من مختصات صاحب الكلام نفسه، أو من هو خبير بأغراض صاحب الكلام وشؤونه بالتفصيل، ومن هو خبير بمضامين المعاني خبرة ميدانية فاعلة .. تجعله خبرته محيطاً بالمعنى ظهره وباطنه، تنزله وتأويله، وتفصيله وتطبيقه، وجزئياته وخصوصياته .. وهذا من مختصات الرسول

الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأئمة المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

فكل ما ورد بشأن اختصاص التأويل والتفسير بالمعصومين، وأنهم صلوات الله عليهم يعلمون جميع حقائق القرآن وعلومه وظاهره وباطنه إنما يعني ما ذكرناه. فقد تلخص مما ذكر:

أن الافتراض الثالث لتحديد العمل التفسيري، هو أن التفسير كشف عما وراء الظاهر من المعاني والاعراض، وهذا من مختصات أئمتنا عليهم السلام وجدّهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله .. ومن الممكن لنا أن نتعرف على هذا التفسير من خلال النصوص الواردة عنهم عليهم السلام بهذا الشأن.

والحقيقة: أنه لا بدّ من القول بأنّ للتفسير مرحلتين:

الأولى: تحديد المضمون الأولي للنص القرآني واستجلاء المعاني الظاهرة من العبارة القرآنية.

وهذا مما لا بدّ أن يقوم به المسلمون لأنّ العمل بالقرآن واجب عليهم جميعاً، والقرآن مصدر لشريعتهم ودينهم وأساس حياتهم وقوام معادهم. وقد بذل المفسرون الإسلاميون محاولات مشكورة ومثيرة في هذا السبيل .. والعناصر الأساسية المكوّنة للمضمون الأولي والتي يتقوّم بها الظاهر القرآني والتي يتمّ من خلالها تحديد المعاني الظاهرة لنصوص القرآن .. يمكن تلخيصها في أمرين:

الأول: الأوضاع اللغوية والقواعد الأدبية، سواء منها ما له دخل في أصل إفادة المعنى كقواعد النحو واللغة والصرف، أو ما له دخل في كيفية إفادة المعنى كقواعد المعاني والبيان والبديع.

الثاني: القرائن الخارجية، سواء المكتنفة بالنص، كأسباب النزول، وملابسات النصّ وشروطه التاريخية والاجتماعية أو المنفصلة عن النصّ، كالنصوص القرآنية الأخرى

ونصوص السنة الشريفة.

والقرائن المكتنفة بالنص سواء منها ما يكون لفظياً، أو عقلياً، كالأحكام العقلية، والعقلانية المقترنة بالنصوص.

الثانية: تحديد المضمون الثانوي للنص القرآني ومعرفة المعاني اللامباشرة للعبارة القرآنية والتي أشرنا إلى خطوطها العريضة فيما سبق.

وطالب القرآن لا يستغني في فهمه الكامل للقرآن عن أي من المرحلتين، والتعامل الأصولي والسليم مع القرآن لا يتم إلا على ضوء الفهم المستوعب للكتاب الكريم على كلا المستويين.

فقد أكدنا ونؤكد من جديد أن النص القرآني مهما كان واضحاً في أداء المعاني وصريحاً في التعبير عن المفاهيم والأفكار فلا يمكن أن يؤدي دوره الكامل في الهداية والتوجيه العملي، ما لم يقترن بتفسير ميداني وتطبيق عملي يوضح الأبعاد العملية للمفاهيم والمعاني المؤداة من خلال النصوص والتعابير. فإن العبارات والنصوص مهما كانت واضحة، وصريحة التعبير فلا يمكنها أن تبرز كل أبعاد المعنى وخصائصه التطبيقية ومفرداته العملية، ولذلك تبقى الحاجة ماسة إلى ما أسميناه بتجديد المضمون الثانوي للنص وإبراز المعاني والمفاهيم اللامباشرة للعبارة القرآنية. ولعل هذه الحقيقة هي التي تشير إليها رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «ظهره ويطنه تأويله، منه ما مضى، ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما تجري الشمس والقمر، كلما جاء منه شيء وقع». وقد أشرنا سابقاً إلى أن تحديد المضمون الثانوي أو المستوى الثاني في العمل التفسيري لا يتم إلا من خلال النصوص الواردة عن المعصومين أو التطبيقات العملية التي تجلت في سلوكهم وتقريرهم. ولهذا فإن المحاولة التفسيرية على مستوى كشف المضمون الثانوي سوف لن تكتسب الشرعية إلا إذا قامت على أساس السنة الشريفة المروية عن المعصومين.

وقد خُصّ لنا ممّا أسلفناه أنّ العمل التفسيري يمكن أن يتمّ على مستويين:

١- مستوى تحديد المضمون الأوّلي للنصّ، ومصدر هذا النوع من العمل التفسيري مجموعة النصوص القرآنيّة ونصوص السنّة الشريفة الواردة بصدد بيان المضمون الأوّلي للنصّ القرآني وما ورد في تحديد ظروف النصّ وملابساته في المصادر التاريخية وغيرها. والطريقة التي يتمّ من خلالها تحديد المضمون الأوّلي للنصّ القرآني هي الاستفادة من القواعد الأدبية والقرائن العقليّة أو العقلائيّة التي تكتنف النصّ.

٢- مستوى تحديد المضمون الثانوي للنصّ، ومصدر هذا النوع من العمل التفسيري هو السنّة الشريفة من الروايات والفعل والتقرير المروية عن المعصومين عليهم السلام. ولا بدّ هنا من إلفات النظر إلى أنّ التفاصيل التشريعية والفقهية تعتبر في كثير من مواردّها من مصاديق هذا المضمون الثانوي للنصّ، فإنّ التفاصيل المتعلقة بالعبادات والمعاملات ممّا لم ينصّ عليها في الكتاب إلّا بلغة عامّة في غالب الأحيان، وكذلك التفاصيل المتعلقة بالنظم الإسلاميّة في السياسة والاقتصاد، أو تفاصيل الرؤية الإسلاميّة عن الحياة والكون والمجتمع، تعتبر من أهمّ نماذج المضمون الثانوي للنصّ القرآني، والتي لا بدّ أن يتّبع في استكشافها من العبارة القرآنيّة الطريقة التي أشرنا إليها، وهي الاستعانة بالسنّة الشريفة المنقولة عن المعصومين عليهم السلام.

النَدْوَةُ الْعَالَمِيَّةُ لِلتَّقْرِيبِ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مَالِيزِيَا

أفادنا مكتب سماحة الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بالتقرير التالي عن الندوة العالمية للتقريب بين المذاهب الإسلامية المنعقدة في كوالا لامبور - ماليزيا بتاريخ ١٤ / محرم / ١٤١٤ هـ ولمدة يومين، والذي شارك فيه وفد رفيع المستوى من الجمهورية الإسلامية في إيران.

مقدمة:

لم تكن حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية في الأصل أمراً طارئاً على مسيرة الأمة الإسلامية، بل هي في الصميم من توجهاتها المستمدة من المنابع الأصلية للإسلام (القرآن الكريم والسنة الشريفة) ذلك أنها تقوم على مبادئ إسلامية مسلمة من قبل:

عملية الإجتهد المشروع

١ - إنَّ الإجتهد سبيل مشروع لا لفهم الأحكام الإسلامية فحسب، بل لفهم مجمل التصورات والمفاهيم الإسلامية واستنباط الموقف الإسلامي من الحياة. ومن الطبيعي أن يختلف المجتهدون في استنتاجاتهم تبعاً لوجود عناصر ذاتية لا مفرّ منها، إلا أنها كلها تبقى في إطار الفكر الإسلامي المستنبط. ويبقى الجميع يتحركون ضمن أطر عامة محدودة مما يتيح تفاهماً حقيقياً بين المجتهدين لوحدة الهدف الذي يسعون من أجله، ووحدة المنطلقات وحتى المناهج العامة المتداولة بينهم.

٢ - التخطيط الإسلامي لتحقيق الوحدة الإسلامية: فهو تخطيط جامع يخطط للتلاحم في المواقف العملية كما يخطط للتفهم والتفاهم على الصعيد النظري بعد أن لم يمكن تصور التلاحم في مجال الرؤى والنظريات المستنبطة.

وعلى أي حال، فإن المجتمعات الإسلامية الأولى كانت تتبع أسلوب التقريب بشكل طبيعي، إلا أن اتساع هوة الخلاف الفكري وتدخل العناصر الغربية التي حولته الى صراع عملي وشقاق ونزاع أوجد حاجة لدى الغيارى والمخلصين للعمل على إعادة الوثام، وهي الحالة الطبيعية المطلوبة عبر تحقيق هذا التقارب. ورغم أن التاريخ يحدثنا عن محاولات جادة من قبل العلماء والمفكرين لتحقيق هذا الهدف وتجاوز مراحل التقاتل الكريه بين المسلمين، فإن ذلك لم يتم بشكل منظم إلا في العصور الأخيرة، حيث أثمرت جهود المرحوم الإمام البروجردى والإمام الشيخ محمود شلتوت في إيجاد دار للتقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، إلا أن هذه المسيرة توقفت بعد نتاج جيد واستقبال حسن، لعوامل كثيرة.

ثم أعيدت هذه الحركة على يد سماحة آية الله الخامنئي بإنشائه مجمعا عالميا للتقريب بين المذاهب الإسلامية، مما أعطى الحركة روحاً جديدة ودماءً نقية، وبعث في النفوس الأمل الكبير لتخطي مراحل التقاطع والتنازع والإيتعاد المفروضة على المسلمين، فوجدنا استجابات واسعة هنا وهناك لهذه الحركة، وكان مظهرها عقد ندوات دولية من قبل الاسيسكو واخرى محلية في المغرب والاردن وغيرها. وها هي تلقى استجابة واسعة في ماليزيا، حيث قامت جمعية العلماء الماليزيين بالتعاون مع بعض المنظمات الاسلامية الاخرى بعقد هذه الندوة العالمية ودعوة مفكرين من مختلف الأقطار للتحدث فيها حول هذا الموضوع وارتباطه بمسألة الصحوة الإسلامية العالمية. وقد اشترك من الجمهورية الاسلامية وفد مكون من سماحة آية الله الأميني وسماحة حجة الإسلام والمسلمين التسخيرى والاخت الفاضلة قياض بخش عضو

- مجلس الشورى الاسلامي. كما دُعيت اليها شخصيات من كل من السودان وأندونيسيا ولبنان وانجلترا ومصر وفلسطين والعراق ولم يستطع البعض الحضور.
- وقد تحدّث الاخوة التالية أسماؤهم عن المواضيع المدرجة أزاءها:
- ١ - الاستاذ الدكتور محفوظ - رئيس اللجنة المنظمة - عن ترتيبات المؤتمر.
 - ٢ - الحاج احمد آونك - رئيس جمعية العلماء الماليزيين - عن قضية التقريب.
 - ٣ - الشيخ ابراهيم الأميني - نائب رئيس مجلس الخبراء في ايران - عن رؤية الإمام الخميني للجامعة الإسلامية ودورها في إيجاد الصحة.
 - ٤ - الشيخ علاء الدين خروقة - الاستاذ العراقي المقيم في كوالالمبور - عن موضوع التقريب.
 - ٥ - الشيخ محمد علي التسخيري - الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت - حول (الصحة الإسلامية).
 - ٦ - الاستاذ جلال الدين رحمت - استاذ جامعة في اندونيسيا - حول المنهج العرفاني لدى الإمام وأثره في الصحة.
 - ٧ - الاستاذ احمد الموسوي - استاذ جامعة إيراني مقيم في ماليزيا - حول تاريخ حركة التقريب.
 - ٨ - الاستاذ الشيخ حسين الحبشي - أحد علماء أندونيسيا - حول قضايا التقريب وأهميته.
 - ٩ - الاستاذ الشيخ عبد العزيز - رئيس وزراء ولاية كلاتان الإسلامية - عن هموم التقريب ودور العلماء في توجيه السياسة.
 - ١٠ - الاستاذ الشيخ محمد سعيد التعماني - العالم المقيم في السودان - عن المنهج الفقهي للإمام الخميني وما فيه من تجديد لصالح العالم الإسلامي المعاصر.
 - ١١ - الاستاذ عبد الغني شمس الدين - نائب رئيس جمعية العلماء - مستعرضاً أقوال

العلماء الكبار في عملية التقريب.

١٢ - السيدة الفاضلة فياض بخش - عضو مجلس الشورى الإسلامي في إيران -
حول نظرة الإمام الخميني للمرأة ودورها في عملية الصحوة.

ثمّ عقدت ندوة مفيدة، اشترك فيها بعض الاساتذة والمفكرين من بينهم الاستاذ الشيخ هادي آونك من حزب پاس الاسلامي، واختتمت الندوة ببيان ختامي يؤكّد أهدافها واستمرارية حركة التقريب في ماليزيا ويُجمل خلاصة ما دار فيها من أحاديث بشكل قرارات وتوصيات.

ولنا هنا بعض الملاحظات:

أولاً: الندوة بنفسها تشكّل حدثاً إسلامياً وعلمياً فريداً في ماليزيا، وتعبّر عن اتجاه علمي ثقافي كبير لدى العلماء والمفكرين لمواكبة الصحوة الإسلامية والعمل على تعميقها في النفوس، وخلق الأجواء المناسبة لاتساعها وشمولها. وتبدو أهمية هذا العمل إذا لاحظنا الأجواء التي أحاطت بها، والعقبات التي وضعت في طريقها، والنتائج القيمة التي خرجت بها.

ثانياً: لم يرق هذا العمل - كما يبدو - لبعض الجهات التي لا همّ لها إلا زرع الفرقة والتشكيك بالأهداف النبيلة لحركة التقريب، فراحت تطرح الأفكار التشكيكية بأساليب مختلفة.

منها: ما صدر من منشور أصفر تحت اسم IMPACT ورّع في صلاة الجمعة وعلى مستوى واسع، وهو لا يعدو كونه تكراراً لسخافات احسان إلهي ظهير، الرجل الذي أوقف حياته على تمزيق المسلمين واتّهام الشيعة بشتّى التهم، وإبعاد هذا الجناح الإسلامي الهامّ عن الجناح الآخر.

ومنها: ما حاولته فئة مندسة في المؤتمر من طرح أسئلة تشكيكية واضحة الإتجاه لتصرفه عن أهدافه المقدسة الى مسارات تفريقية، وذلك من خلال تكرار شُبهه

إحسان إلهي ظهير بشكل تساؤلات، مما تطلب قيام المفكرين والمحاضرين بتوضيح حقيقة هذه النوايا والتشكيكات، وألقموا كل المشككين حجراً، وأثبتوا أن السنة والشيعية متقاربان تمام التقارب بالفعل رغم ما بينهم من خلافات، وهي أحياناً خلافات طبيعية على ضوء اختلافات الاجتهادات.

ومنها: ما قامت به مؤسسة مشبوهة من إرسال مذكرة للحكومة تدعوها للقيام باعتقال مسؤولي جمعية العلماء. وغير ذلك من أساليب، كدس مجموعة من العناصر لطرح أسئلة همها الخلاف والشقاق، وامتناع بعض الصحف من نشر أخبار المؤتمر، وأمثال ذلك.

ثالثاً: كانت كلمات علماء ماليزيا رائعة شافية للغيل، كشفت عن عمق في النظرة، وسعي حثيث للتقارب، ومحبة خالصة للإمام الخميني القائد. وكان من أروعها كلمة سماحة الشيخ احمد آونك وسماحة الشيخ عبد العزيز رئيس وزراء ولاية كلاتان الاسلامية.

ومما جاء من كلامه:

(إن الإمام الخميني كان يجسد تعاليم القرآن الكريم، وأنه كان ينظر بعين واحدة الى الجاهلية القديمة والآخرى الحديثة، وأنه عمل على إعادة حرارة الدعوة الإسلامية الاولى، وأن علماء السنة يقبلونه قائداً اسلامياً داعياً، وأن حياته قبل تسلّم المسؤولية القيادية وبعدها كانت على مستوى واحد، وأنه نور يملأ القلوب جميعاً نوراً، وأن البراءة من المشركين التي دعا الى إقامة مراسمها هي روح الحج وهدفه).

واننا نلرجو للبلد العزيز ماليزيا أن ينعم في ظل الوحدة بين أبنائه بكل خير، ويسعى للقيام بواجبه في إطار مسؤولية الأمة الإسلامية جمعاء.

بفتح تحريف القرآن

(٢)

سنة ١٤٣٥ هـ

لا تتحاشى الاعتراف بوجود روايات قد تنم عن تحريف الكتاب في المجاميع الحديثية عند الشيعة الإمامية، كما هي في المجاميع الحديثية عند أبناء السنة. غير أن وجود هكذا روايات شاذة في كتب الحديث لا يُعبر عن شيء من عقيدة صاحب الكتاب، فضلاً عن الطائفة التي ينتمي إليها صاحب الكتاب. لأن نقل الحديث لا يتم عن عقيدة ناقله، ولا سيما إذا كان له تأويل وجيه، كما هي الحالة في الأحاديث المنقولة عن كتب أصحابنا المعتمدين، مما ظن دلالتها على التحريف، أما النظر الدقيق فيأبى هذا الاحتمال.

مثلاً نسبوا إلى الكليني^١ أنه ممن يقول بالتحريف، لنقله روايات - قد يحسب الحاسب دلالتها على التحريف - في الكافي الشريف. وذكروا لذلك مثلاً الباب (٣٥) من كتاب الحجّة، الذي عقده لبيان: أن علم القرآن كله ظاهره وباطنه عند الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

ويحتوي الباب على ست روايات كانت الثانية حتى الخامسة ضعيفة الأسناد. والأولى مختلف فيها، والأخيرة حسنة، حسب مصطلحهم في دراية الحديث^٢. جاء في الحديث الأول: «ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلّا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده». وهذا الجمع إشارة إلى مصحف علي عليه السلام حيث أُلّفه على ترتيب النزول تماماً،

(١) نسبة إليه شاخص الفتن المتطرفة حسين النوري في المقدمة الثالثة من كتابه فصل الخطاب: ٢٥.

(٢) راجع: مرآة العقول شرحاً على الكافي للعلامة المجلسي ٣: ٣٠-٣٤.

مشتماً على بيان التنزيل والتأويل - على الهامش - ومن ثم قال ابن جُزَي الكليبي: ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير^١.

والحديث الثاني أَوْضَحَ هذا المعنى، جاء فيه: «ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله، ظاهره وباطنه، غير الأوصياء».

وفي الحديث الثالث: «أوتينا تفسير القرآن وأحكامه».

وفي الحديث الرابع: «إني لأَعْلَمُ كتابَ الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي».

وفي الحديث الخامس: «وعندنا - والله - علم الكتاب كله».

وفي الحديث السادس عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^٢ -: «إيانا غني».

هذه هي كل أحاديث الباب رواها الكليني عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام دلالة على أن علم القرآن كله عند أئمة أهل البيت لا يدانيهم في ذلك غيرهم إطلاقاً^٣.
فيا ترى أي دلالة فيها على وقوع تحريف في القرآن، كما حَسِبَهُ أمثال النوري وأتباعه؟!

وأما الروايات التي أخرجها الاستاذ الدكتور موسى كاظم يلماز^٤ من كتاب الكافي، باعتباره من أهم الكتب المشتملة على روايات التحريف، فهي:

- ١ - ما قدّمنا من روايات تشتمل على أن علم القرآن كله ظاهره وباطنه عند الأئمة من أهل البيت عليهم السلام. وقد نبّهنا إلى أن هذا المعنى لا يمسّ مسألة التحريف في شيء.
- ٢ - ما أخرج به الكليني في آخر باب النوادر من كتاب فضل القرآن، بإسناده إلى هشام بن سالم - أو هارون بن مسلم، كما في بعض النسخ - عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن القرآن الذي جاء به جبrael إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة عشر ألف

(١) راجع: التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن جُزَي الكليبي الغرناطي (٦٩٣ - ٧٤١ هـ) ١: ٤.

(٢) سورة الرعد: ٤٣. (٣) راجع: أصول الكافي ١: ٢٢٨.

(٤) في مقال قدّمه للمؤتمر الاسلامي المنعقد في تركيا حول آراء الشيعة في القرآن (سنة ١٩٩٣ م).

آية^١.

والحديث بهذه الصورة نادر غريب، لأنّ أي القرآن الكريم لا تعدو بضعاً ومائتين وستة آلاف آية، فهي لا تبلغ سبعة آلاف فكيف بسبعة عشر ألفاً؟! ومن ثمّ وقع الشّراح في مشكلة العلاج!

وقد جزم المولى أبو الحسن الشعراني - في تعليقه على شرح الكافي للمولى صالح المازندراني - بأنّ لفظة «عشر» من زيادة التّساخ أو الرّواة.

والأصل: سبعة آلاف، عدداً تقريبياً ينطبق مع الواقع نوعاً ما^٢.

هذا مع العلم بأنّ كتابة الألف والآلاف - في القديم - كانت متقاربة بلا ألف.

والدليل على صحّة ما ذكره الشعراني ما جاء في كتاب «الوافي» للمولى محسن الفيض الكاشاني، وقد وضع كتابه على جمع احاديث الكتب الاربعة «الكافي» و«الفيضة» و«التهذيب» و«الاستبصار» للمحمّدين الثلاثة.

وعليه، فهذا الحديث عندما ينقله عن الكافي نراه بلفظ «.. سبعة آلاف آية» من غير ترديد^٣ الأمر الذي يدلّ على أنّ نسخته كانت على ذلك من غير شك.

كما اعترف النوري أيضاً باختلاف النسخة وأن بعض النسخ تشتمل على «سبعة آلاف»^٤.

وعلى أيّ تقدير، فالنسخة المشتملة على رقم سبعة عشر ألفاً غلط بلا ريب.

وهذا نظير ما روي عن عمر بن الخطاب، كان يزعم أن عدد حروف القرآن أكثر من مليون حرف.

فقد أخرج الطبراني بإسناده عن طريق محمد بن عبيد بن آدم عن عمر أنه قال: «القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف (١٠٢٧٠٠٠) فمن قرأه صابراً

(٢) هامش شرح الاصول للمازندراني ١١: ٧٦.

(١) اصول الكافي ٢: ٦٣٤ رقم ٢٨.

(٣) راجع: الوافي (ط حديثه) ٩: ١٧٨١ رقم ٩٠٨٩-٧.

(٤) فصل الخطاب: ٣٣٦.

محتسباً كان له بكل حرف زوجة من الحور العين»^١.

في حين أنَّ حروف القرآن بالضبط - وفق المأثور عن ابن عباس - ثلاثمائة وثلاثة وعشرون ألف وستمائة وواحد وسبعون حرفاً (٣٢٣٦٧١) ثلث المأثور عن عمر: فيا ترى بماذا يوجّه أبناء السنة هذا العدد الضخم المبالغ فيه من حروف القرآن، مأثوراً عن مثل الخليفة عمر بن الخطاب؟!

وهل له محمل سوى اشتباه أو خلط في الرواية أو النقل.

وهكذا فيما روي عن بعض نسخ الكافي حسبما تكلمنا فيه.

٣- والحديث الثالث: «في مصحف فاطمة مثل القرآن ثلاث مرّات»^٢.

ولا شك أن المصحف هنا بمعنى الصحف، ولعله تصحيف عنه. ولا غرابة في اشتمال صحيفة فاطمة عليها السلام على حكم ومواظ وأداب وسنن ما يزيد على حجم القرآن بكثير.

والدليل على ذلك ذيل الحديث: «والله ما فيه من القرآن حرف واحد. قال الراوي: قلت: هذا والله العلم. قال: إنه لعلم وما هو بذاك».

إذن فالمصحفة تشتمل على غير القرآن، لا أنها قرآن وزيادة، كما زعم الزاعم! قال العلامة المجلسي - في الشرح -: الظاهر أن مصحفها يشتمل على الأخبار فقط^٣.
٤ - أخرج عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: دفع إليّ أبو الحسن موسى عليه السلام مصحفاً.. ففتحته وقرأت فيه سورة البيّنة. فوجدت فيه اسم سبعين رجلاً من قريش^٤.

قوله: فوجدت فيه أي في المصحف - على الهامش طبعاً - اذ لم يقل فيها أي في السورة.. ولعله كان عند قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ..﴾

(١) الاتقان ١: ١٩٨ ط. حديثه.

(٢) مرآة العقول ٣: ٥٦.

(٣) اصول الكافي ١: ٢٣٩.

(٤) اصول الكافي ٢: ٦٣١.

تفسيراً وتعييناً للمعنيين بها من الكفار حينذاك.

هكذا ذكر شراح الحديث.

٥ - تفاسير مدرجة ضمن تلاوة الآية، كما كان عليه السلف الصالح، حيث كان مأموناً من الاشتباه والخلط. وهو كثير مأثور عن ابن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما من الاصحاب الكبار، وهكذا عن الأئمة الأطهار عليهم السلام.

مثلاً قوله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾: في ولاية علي والأئمة من بعده ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾^١. وقوله: هكذا نزلت، قال الشراح: أي بهذا المعنى^٢. قال المولى محسن الفيض: وهكذا في نظائره^٣.

وهذا نظير ما ورد عن ابن مسعود، كان يقرأ: «كان الناس أمة واحدة، فاختلفوا، فبعث الله النبيين...»^٤.

وقرأ: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو أب لهم، وأزواجه أمهاتهم...»^٥.

وقرأ: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك أن علياً مولى المؤمنين، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته...»^٦.

وهكذا غيرهن من آيات، أدرج التفسير ضمن الآية .. وقد شرحنا ذلك في محلّه^٧.

الأخباريون ومحنة الطائفة

نسب الدكتور يلماز الى عامة علماء الشيعة - ممن عاشوا بين القرن الرابع والقرن الرابع عشر الهجري - رأيهم في التحريف. رغم ان بعضهم ممن عاشوا بعد القرن الرابع

(٢) الكافي ١: ٤١٤.

(١) سورة الاحزاب: ٧٠.

(٣) الوافي ٣: ٨٨٥ رقم ١٥١٩ - ٨.

(٤) الكشف للزمخشري ١: ٢٥٥ والآية رقم ٢١٣ من سورة البقرة.

(٦) الدر المنثور ٢: ٢٩٨.

(٥) المصدر ٢: ٥٢٣. الاحزاب: ٦.

(٧) راجع: التمهيد ٢٥٩١ - ٢٦٣ ط ١.

والخامس كالصديق والطوسي والطبرسي قد نفوه. ثم جاء بأسماء أربعة من العلماء وأضاف خامساً كلهم عاشوا بعد القرن العاشر، ونسب اليهم القول بالتحريف، شاهداً على دعواه.

ولتبيين قيمة هذه النسبة الشوهاء نلقت النظر الى التوضيح التالي:-

كان علماؤنا الأعلام منذ زمن حضور الحجة عليه السلام وفي زمن الغيبة، على طريقتين في الإتجاه الأصولي وفي استنباط مباني شريعة الاسلام: أهل نظر وتحقيق، وهم المجتهدون. وأهل نقل وتحديث، وهم المحدثون.

يختلف المحدثون عن المجتهدين بالاعتماد على النقل اكثر من العقل، ولا سيما في مسائل الاصول، حيث لا حجة لأخبار الآحاد هناك عند المجتهدين.

وقد كان لأهل الحديث أساليب معروفة بالاتقان والإحكام في الأخذ والتلقي والتحديث في أسانيد الروايات وفي متونها، عرضاً ومقابلة مع الاصول المعتمدة.

وعلى هذا الاسلوب الروائي المتقن دَوَّنَت الأصول الأربعة الجامعة لأحاديث أهل البيت عليهم السلام مأخوذة من مشايخ أجلاء وعن كتب ذوات اعتبار.

وقد سادت طريقة الاتقان في النقل والتحديث حُقباً من الزمان، وانتهت بدور العلمين خاتمي المحدثين: الشيخ الحرّ العاملي (١٠٣٣ - ١١٠٤)١. والمولى محسن الفيض الكاشاني (١٠٠٧ - ١٠٨٢)٢.

أما وبعد هذا الدور فيأتي دور الانحطاط والاسترسال في نقل الحديث وفي رواية الأخبار، وأصبح أهل الحديث منذ «القرن الحادي عشر» مجرد نَقْلَة الآثار وحفظة

(١) هم: الكازراني والكاشاني والعلوي والخراساني والخامس هو النوري. وسنذكر أن لا مستند في ذلك.

(٢) هي: الكافي للكليني (٣٢٩). من لا يحضره الفقيه للصدوق (٢٨٠). التهذيب والاستبصار، كلاهما للطوسي (٤٦٠). وهي الكتب الأربعة للمحدثين الثلاثة وقد اعتمدتها الطائفة.

(٣) صاحب الموسوعة الحديثية الكبرى «وسائل الشيعة» التي جاء فيها ما يسدّ حاجة الفقيه في استنباط احكام الشريعة من الفروع.

(٤) صاحب التآليفات القيمة التي منها: «الوافي» الجامع لأحاديث الكتب الأربعة في نظم بديع.

الأخبار، من غير اكتراثٍ لا بالأسانيد ولا بصحّة المتون. فقد زالت الثقة بأحاديث ينقلها هؤلاء (الأخباريون) المسترسلون، بعد انتهاء دور (المحدّثين) المتقين: إنهم اهتموا بضخامة الحجم أكثر من الدقة في النقل، ومن ثمّ لم يأبهوا بمن يأخذون وعلى أيّ مصدر يعتمدون. إنّما المهمّ عندهم حشد الحقائق وملء الدفاتر بنقول وحكايات هي أشبه بقصص القصّاصين وأساطير بني إسرائيل. ومن ثمّ واكبوا إخوانهم الحشويّة الذين سبقوهم في هذا المضمار، وساروا على منهجهم في الابتذال والاسترسال.

فإن كانت محنة أهل السنة قد جاءتهم من قبل أهل الحشو في الحديث، فكذلك جاءتنا البليّة من قبل هؤلاء (الأخباريين) المسترسلين. وأوّل من طرح مسألة التحريف على منصّة البحث والتدليل عليه، هو علّم هذه الفئة المتطرّفة وشاخصهم اللّائح السيد نعمة الله الجزائري (١١١٢) في كتابه «منيع الحياة» وضعه لتقويض دعائم أصول التحقيق في مباني الشريعة الفراء. وانطلقت وراءه مجموعات غير عميقة الرأي، وأخيراً رائدهم النوري (١٣٢٠) في كتابه «فصل الخطاب» الذي وضعه نقضاً لدلائل الكتاب ونفي حجّيته القاطعة الثابتة عند أهل الصواب.

آراء جماعة العلماء

وإذ قد وقفت على هذا التفصيل من جماعة علماء الشيعة، فاعلم أنهم - بأسرهم سواء المحققون والمحدّثون - أجمعوا على رفض احتمال التحريف في كتاب الله الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^١. وإليك سرد أسماء من صرّح بنفي التحريف وكان من أعلام الطائفة بالذات:

(١) فصلت: ٤٢.

- ١ - شيخ المحدثين أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق (٣١٨ هـ). فقد عدّ رفض التحريف من ضرورات المذهب الاعتقادية للشيعة^١.
- ٢ - عميد الطائفة: محمد بن محمد بن النعمان المفيد (٤١٣ هـ). صرّح بذلك في كتابه «أوائل المقالات». ويبيّنه بتفصيل في أجوبة المسائل السروية^٢.
- ٣ - الشريف المرتضى علم الهدى علي بن الحسين (٤٣٦ هـ). أكّد القول في ذلك وشنّع على القائلين بالتحريف من الحشوية والأخبارية، في أجوبة المسائل الطرابلسيات^٣.
- ٤ - شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ). عدّ احتمال شبهة التحريف واهياً مجمعاً على بطلانه^٤.
- ٥ - أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨ هـ). قال: أمّا الزيادة فمجمع على بطلانها. وأما القول بالنقيصة فالصحيح من مذهب أصحابنا الإمامية خلافه^٥.
- ٦ - جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف، ابن المطهر الحلي (٧٢٦ هـ). جعل القول بالتحريف متناقياً مع ضرورة تواتر القرآن بين المسلمين^٦.
- ٧ - المولى المحقق أحمد الأردبيلي (٩٩٣ هـ). جعل العلم بنفي التحريف ضرورياً من المذهب^٧.
- ٨ - شيخ الفقهاء الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء (١٢٢٨ هـ). كذلك جعله من ضرورة المذهب بل الدين وإجماع المسلمين وأخبار النبي والأئمة الطاهرين^٨.

(١) في رسالته التي وضعها لبيان معتقدات الإمامية. راجع المطبوعة مع شرح الباب الحادي عشر: ٩٣ - ٩٤.

(٢) أوائل المقالات: ٥٤ : ٥٦. والرسالة مطبوعة ضمن رسائل نشرتها مكتبة المفيد: ٢٢٦.

(٣) راجع: مجمع البيان ١ : ١٥. (٤) في مقدمة تفسيره الأثري «التيان» ١ : ٣.

(٥) مجمع البيان ١ : ١٥.

(٦) في أجوبة المسائل المهتوية م ١٣ : ١٢١. طبعت بقم سنة ١٤٠١ هـ.

(٧) في موسوعته الفقهية الكبرى «مجمع الفائدة» ٢ : ٢١٨.

(٨) من كتابه «كشف الغطاء» كتاب القرآن من الصلاة: ٢٩٨ - ٢٩٩. وراجع كتابه «الحق المبين» في ابطال =

٩- الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء (١٣٧٣ هـ). جعل رفض احتمال التحريف أصلاً من أصول الشيعة^١.

١٠- شيخ الإسلام، بهاء الملة والدين، محمد الحسين الحارثي العاملي (١٠٣١ هـ).

١١- المولى المحدث العارف المحقق محمد بن المحسن الفيض الكاشاني (١٠٩٠ هـ) فصل البيان في ردّ مزعومة التحريف تفصيلاً شافياً، في مقدّمة تفسيره الصافي (م ج ٦ ص ١ ص ٣٣- ٣٤). وفي كتابه الوافي (ج ٢ ص ٢٧٣- ٢٧٤ ط ١). وأكمل الاستدلال عليه في كتابه الذي وضعه لبيان اصول الدين والكلام عن إعجاز القرآن الكريم^٢.

١٢- محمد بن الحسن الحرّ العاملي (١١٠٤ هـ) في رسالة كتبها ردّاً على سفاسف بعض معاصريه^٣.

١٣- المولى المحقق التبريزي (١٣٠٧ هـ) في تعليقاته التفصيلية على رسائل الشيخ الأعظم مرتضى الانصاري في الاصول، مما ينبؤك عن رأي شيخه المحقق بلا رب^٤.

١٤- الشيخ محمد الجواد الحجة البلاغي (١٣٥٢ هـ) الاستاذ المحقق المفسّر، شيخ أهل التفسير والتحقيق في العصر الأخير. والذي برأ ساحة الشيعة الإمامية من هذه التهمة بكل جدّ وصرامة تحقيق^٥.

١٥- المحقق البغدادي السيد محسن الأعرجي (١٢٢٧ هـ). له في شرح الوافية كلام وافي بإثبات صيانة القرآن من التحريف^٦.

١٦- قاضي القضاة المحقق الكركي الشيخ عبدالعالي (٩٤٠ هـ). له رسالة في نفي

(١) أصل الشيعة وأصولها: ١٣٣.

= مزعومة الأخباريين: ١١.

(٢) وهو: كتاب علم اليقين ١: ٥٦٥.

(٣) راجع الفصول المهمة في تأليف الأمة للامام شرف الدين العاملي: ١٦٦.

(٤) أوئق الوسائل بشرح الرسائل: ٩١.

(٥) راجع مقدمة تفسيره آلاء الرحمان الأمر الخامس ١: ٢٥- ٢٧.

(٦) باب حجّة ظواهر الكتاب. مخطوط.

- ١٧- الإمام السيد شرف الدين العاملي (١٣٨١ هـ). استوعب البحث عن ذلك^٢.
 - ١٨- السيد محسن الأمين العاملي (١٣٧١ هـ). له ردّ لطيف على نسبة القول بالتحريف الى الشيعة الإمامية الأبرياء^٣.
 - ١٩- العلامة الأميني صاحب كتاب «الغدير». ردّاً على افتراءات ابن حزم وأذنبه^٤.
 - ٢٠- السيد العلامة الطباطبائي صاحب تفسير «الميزان» (١٤٠٢ هـ). له بحث وافٍ بإثبات صيانة القرآن من التحريف^٥.
 - ٢١- سيدنا الاستاذ الإمام الراحل الخميني صاحب النهضة الإسلامية المباركة (١٣٢٠ - ١٤٠٩ هـ) في تقريراته الأصولية^٦.
 - ٢٢- سيدنا الاستاذ الإمام الخوئي (١٤١٣ هـ) الذي استوفى البحث عن ذلك وكان رصيدنا الرافي في كل ما كتبناه بهذا الشأن^٧.
- هؤلاء هم أعلام الأمة وأعضاء الملة، ممّن دارت بهم رحى الشريعة، وقويت أركان الدين الحنيف. وقد عرفت إطباقهم، من مُجتهدين ومُحدّثين، على رفض شبهة التحريف عن كتاب الله العزيز الحميد. لا الشرذمة القليلة من الأخبارية المتطرّفة، أذنب الحشوية البائدة نبعت في عهد متأخر، لا سابقة لهم في تحقيق ولا عمق لهم في تفكير، سوى تشويه سمعة الدين، والخطّ من كرامة كتاب الله المجيد، وقد خاب ظنّهم ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾.
- ومن ثمّ فإننا نربأ بأمثال كاتبنا المعاصر «الدكتور يلماز» أن يأخذ من ترّهات هؤلاء

(١) ذكره السيد شارح الوافية.

(٢) في الفصول المهمة: ١٦٣. وكذا في أجوبته لمسائل موسى جار الله البغدادي: ٢٨.

(٣) أعيان الشيعة ١: ٤١. (٤) الغدير ٣: ١٠١.

(٥) تفسير الميزان ١٢: ١٠٦ - ١٣٧.

(٦) في تهذيب الاصول ٢: ١٦٥ وتعليقته على كفاية الاصول.

(٧) راجع: البيان: ٢١٥ - ٢٥٤.

الأذئاب، دليلاً على عقائد ونظرات الأطياب.

أما الذين سَمَّاهم - على حساب علماء الشيعة ما بين القرن الرابع والقرن الرابع عشر - فلا مستند فيهم بالذات! ومن المؤسف أنه لم يراجع كتبهم، وإنما وسمهم بذلك عفواً، تقليداً لما زعمه الاستاذ محمد حسين الذهبي صاحب كتاب «التفسير والمفسرون»، وكانت له نظرة سيئة بالنسبة الى الشيعة الإمامية، ساعياً في اتهان موضعهم بالذات من القرآن والتفسير، ممّا يجعل موقف الرّجل معادياً للشيعة في ظاهر الحال، فلا ينبغي الركون إليه في معرفة مواضع الشيعة في أيّ جهة كان. الأمر الذي تغافل عنه أمثال كاتبنا «يلماز»!

واليك بعض التعرّفة بشأن من سَمَّاهم:-

١ - المولى عبداللطيف الكازراني، صاحب تفسير «مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار». هكذا عبّر الاستاذ «يلماز» تقليداً وتبعاً للاستاذ محمد حسين الذهبي^١. ونسب اليه عفواً من غير تحقيق أنه جرّم بأنّ القرآن الذي جمعه عليّ عليه السلام وتوارثه الأئمة بعده هو القرآن الصحيح، وما عداه وقع فيه التغيير والتبديل^٢.

وهذا المعنى هو من استنباط الاستاذ الذهبي، استنبطه من المقدمة الثانية التي جاءت في التفسير المزبور^٣ حسبما زعم.

أما من هو المولى عبداللطيف الكازراني؟ فقد ذكر آغا بزرگ الطهراني: أنّه من اشتباه مباشر الطبع^٤، حيث عدم اطلاعه باسم المؤلف، فنسب المقدمة اليه عفواً من غير دراية.

وقد نسبها الطهراني الى المولى الشريف أبي الحسن الفتّوني النباطي، المتوفى

(١) راجع: التفسير والمفسرون ٢: ٤٦.

(٢) المصدر: ٧٧.

(٣) راجع: مرآة الأنوار - المقدمة الثانية: ٣٦.

(٤) النسخة المطبوعة بطهران سنة ١٣٠٣ هـ. وصحّحت على النسخة الجديدة في الطبعة سنة ١٣٧٤.

حدود (١١٤٠ هـ).^١

ومن غريب الأمر أن النسبة الأولى - حسبما ذكره المولى حسين النوري - جاءت من قبل كلام المؤلف في خطبة الكتاب: «يقول العبد الضعيف الراجي لطف ربّه اللطيف..» فحسب مباشر الطبع أنه إشارة الى اسم المؤلف، المجهول..^٢ ولكن من أين جاءت النسبة الى «كازران»؟ الأمر الذي بقي مجهولاً كسائر الجهالات بأصل الكتاب ومؤلفه! وعلى أيّ تقدير، فإن هذا الكتاب نموذج آخر من كتب الأخباريين المسترسلين غير المعروفين، أمثال كتب الجزائري والنوري من المتأخرين غير الملتزمين بطريقة الشيعة الإمامية المجتهدين والمحدثين منهم سواء، فلا يجوز أن تقع موضع دراسة لفهم آراء الشيعة بالذات فضلاً عن العلماء الاعلام.

٢- المولى محسن الفيض الكاشاني (توفي سنة ١٠٩٠ هـ). نسب اليه الكاتب - تبعاً للاستاذ الذهبي - أنه يصرح بأن القرآن الذي جمعه علي عليه السلام هو القرآن الكامل الذي لم يتطرق اليه تحريف ولا تبديل.

وهذا أيضاً استنباط استنبطه الاستاذ الذهبي، بحجة أنه ساق أحاديث تنم عن التحريف.^٣

لكن المولى الفيض شكك أولاً في صحة أسناد تلك الروايات، ثم على فرض صحتها - فرضاً غير واقع في أكثرها - فهي صالحة للتأويل بأن التحريف إنما وقع في المعنى. يقول رحمه الله: «فيكون التبديل من حيث المعنى، أي حرّفوه وغيروه في تفسيره وتأويله، بأن حملوه على خلاف ما يراد منه...»^٤.

وقد نوّهنا عن رأي هذا المحقق المضطلع بأحاديث أهل البيت، الذي كان في الصف

(١) راجع: الذريعة ٢٠: ٢٦٤ رقم ٢٨٩٣.

(٢) راجع: تعليقه النوري في هامش مستدركه ط ٣: ٣٨٥.

(٣) راجع: التفسير والمفسرون ٢: ١٥٦ - ١٥٩.

(٤) راجع المصدر: ١٥٨ - ١٥٩. والمقدمة السادسة من تفسير الصافي ١: ٣٤.

المقدّم في الدفاع عن قدسيّة القرآن الكريم، وأنه محفوظ عن التغير والتبدل أبداً. أثبت ذلك بدلائل واضحة وشواهد لائحة، في أمهات كتبه التحقيقية أمثال «علم اليقين» و«الوافي» و«الصابي» وغيرها^١.

٣- وأما السيد عبد الله شبر، فهو من أعلام المحدثين في القرن الثالث عشر (توفي سنة ١٢٤٢ هـ) كان يرى رأي أصحابه الأخباريين، وكانت عبارته في التفسير^٢ واردة وفق المأثور عندهم^٣. الأمر الذي لا يأخذ به سائر اعلام الإمامية ولا سيما القدامى منهم والمحققين المجتهدين إطلاقاً.

٤- وأما السلطان محمد الخراساني، صاحب كتاب «بيان السعادة في مقامات العبادة» (١٣١١ هـ).. فقد عرفت أنه القطب الصوفي زعيم الفرقة «النعمة اللّهيّة» الملقب في الطريقة بـ«سلطان علي شاه». ومن عبث حاول أهل الشغب في الرأي نسبته الى الشيعة الإمامية المتبرئين عن مسالك الدراويش المبتدعين.

٥- وهكذا الحاجي حسين النوري - حسب تعبيرهم - صاحب كتاب «فصل الخطاب» (١٣٢٠ هـ) الذي حاول فيه إثبات تحريف الكتاب، على غرار أخيه السلفي الحشوي ابن الخطيب في كتابه «الفرقان».

إن أمثال هؤلاء الشواذ لا يؤخذ بشيء من أقوالهم وأقلامهم ما دامت حائدة عن طريقة العقل الرشيد، وقد نبذ آراءهم الأئمة في أي صقع من الاصقاع كانوا وفي أي حقب من حقب التاريخ عاشوا.

ملخص دلائلنا على نفي التحريف

وبعد.. فإنّ لعلمائنا الاعلام دلائل وافية بإثبات صيانة القرآن الكريم عن التبدل

(١) راجع: علم اليقين ١: ٥٦٥. والوافي ٢: ٢٧٣. والصابي ١: ٣٣.

(٢) راجع: تفسيره المختصر: ٢٦٦ عند تفسير الآية رقم ٩ من سورة الحجر ١٥: «وأنّا له لحافظون، عند أهل الذّكر.. او في اللوح.. وقيل: الضمير للنبي».

(٣) كما كان الحال عند المحدث النوري في كتابه المعروف «فصل الخطاب»: ٣٦٠. وهو من نفس الطبعة.

والتحريف طول تاريخ الاسلام المجيد نلخصها فيما يلي:

١ - بديهة التاريخ

إذ من بديهة العقل أن مثل القرآن الكريم الذي كان منذ أول يومه موقع عناية المسلمين قاطبة، أن يسلم عن أي تغيير أو تبديل في نصّه أو تحريف في لفظه. فالأمة برمتها، وعلى مختلف نزعاتها واتجاهاتها في مسائل الاصول والفروع، كانت تقدّس شأن هذا الكتاب العزيز، وتعظّم من مقامه الكريم. درساً وعناية، قرءة وتلاوة، فهماً ومراجعة، في كل آونة حياتها، وفي مختلف مسائلها السياسية والادارية والاجتماعية وغيرها.. ومن ثم دأب الجميع على حراسته والحفاظ عليه بتمام الوجود وكمال العناية والوعي.. ولم يسبق في التاريخ كتاب له عناية بالغة من امة كبيرة بشأنه كالقرآن.. فيا ترى كيف يمكن للأغيار التطاول عليه، وهو في المحلّ الأرفع؟!

هكذا استدل الشريف المرتضى والشيخ الكبير كاشف الغطاء على سلامة القرآن عن طوارق الحدّثان^١.

٢ - ضرورة تواتر القرآن

من الدلائل ذوات الشأن، الداحضة لشبهة التحريف هي: ضرورة تواتر القرآن في مجموعه وأبعاضه، في سورة وآياته، وكلماته وحروفه، بل وحتى في هجائه وقراءته، حرفاً حرفاً وكلمة كلمة، وحركة وسكوناً.. هكذا تلقّته الأمة بدءاً بيد سليمان عن أي تغيير أو تبديل.

وإذا كان من الضروري لثبوت قرآنية كل حرف وكلمة ولفظ وحركة أن يثبت تواتره منذ عهد الرسالة إلى مطاوي القرون وفي جميع أدوار التاريخ، فإن ذلك لمّا يرفض احتمال التحريف نهائياً. لأنّ ما قيل بسقوطه، إنما نقل بخبر الواحد، وهو غير حجة في هذا الشأن، حتى ولو كان صحيح الإسناد حسب مصطلحهم.

(١) راجع: مجمع البيان ١: ١٥. وكشف الغطاء: ٢٩٨ - ٢٩٩. والحق المبين: ١١.

إذا فكل ما ورد بهذا الشأن، بما أنه خبر واحد، مرفوض ومردود على قائله.
هكذا استدلل العلامة الحلي في كتابه «نهاية الوصول إلى علم الأصول». وعلى غرار
سائر الأصوليين كالسيد المجاهد في كتابه «وسائل الأصول». والمحقق الأردبيلي في
«شرح الارشاد». والجنود العاملي في موسوعته القيمة «مفتاح الكرامة». وغيرهم^١.

٣- مسألة الإعجاز:

مما يتنافى واحتمال التحريف في كتاب الله هي مسألة الإعجاز القرآني، التي تحدّي
بها أبدأ. والإعجاز كما هو قائم بمعناه في أصول معارفه ومباني تشريعاته، كذلك قائم
بلفظه في جملته وتراكيبه، وفي تناسب نظمته ونغمه، في انتقاء كلماته وحروفه، بحيث إذا
أبدل حرف منه أو كلمة، ثم قُتشت بها لغة العرب كلّها، على أن يوجد في مثل موضعها
الخاص، لم يوجد، كما صرح به علماء البيان.

وكلام هذا شأنه، كيف يا ترى يمكن تبديل كلمة منه أو تغيير تعبير فيه، بما يجعل
الوضع غير وضعه الأول، فهل هذا الأكسر لشوكة التحدي الذي صرخ به القرآن
الكريم؟!^٢

إذن فكيف يجزؤ مسلم أن يتفوّه بهكذا كلام يكون نقضاً صريحاً لمسألة الإعجاز؟!^٣

٤- صريح القرآن:

ومن الدلائل على نفي التحريف، هي صراحة القرآن الكريم في مواضع من آياته،
منها: آية الحفظ. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْفِظُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^٤. فقد ضمن تعالى
حراسة القرآن وسلامته عبر الخلود، لا فوق أطباق السماوات ولا في صدور الخواص
من الأولياء، إذ لا مباهاة بذلك.. وإنما هو على أيدي الناس وبين أظهرهم، رغم وفرة
الدواعي على تقويض دعائمه، وهذا هو الإعجاز المباهي به بشأن هذا الكتاب العزيز.

(١) راجع: البرهان للبروجردى: ١١١ و١٢٠. ومجمع الفائدة: ٢: ٢٨٠. ومفتاح الكرامة: ٢: ٣٩٠.

(٢) سورة الحجر: ٩.

ومنها: آية نفي الباطل عنه: ﴿وَإِنَّ لِكِتَابٍ عَزِيزٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^١ والباطل المنفي هو الضياع والفساد، فهو مصون عن النقض والتحريف وتناول أهل العبث والطيش، حفظاً مع الأبد وسلامة مع الخلود.^٢
وآيات غيرهما ذكرناها في رسالة «صيانة القرآن من التحريف»، وتعرضنا لشبهات دارت حولها ومناقشات تكلمنا فيها بالتفصيل.^٣

٥- نصوص الروايات

هناك وفرة من روايات صحيحة وصريحة في عدم إمكان وقوع التحريف في كتاب الله:

منها: روايات العرض على كتاب الله. الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام الأمرة بعرض الأحاديث على كتاب الله، فما وافق كلامه نمانى فهو حق، وما خالف فهو زخرف وباطل^٤.. وفي ذلك دلالة واضحة على سلامة المعيار، ليكون مقياساً تاماً لتمييز الغث من السمين.. فإن المشتبه لا يوثق به ذاتاً، فكيف يوثق به معياراً؟^٥

هكذا استدلّ المحقق الكركي والسيد الطباطبائي بحر العلوم على سلامة القرآن^٦.
ومنها: نصوص صادرة عن أئمة أهل البيت صريحة في نفي التحريف عن كتاب الله. وهي كثيرة ناصّة على نفي التحريف إما تصريحاً أو تلويحاً، نذكر منها نماذج:-

١- جاء في رسالة الإمام أبي جعفر عليه السلام الى سعد الخير: «وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده»^٧.

(٢) راجع: البيان للإمام الخوئي: ٢٢٦.

(١) سورة فصلت: ٤١ و٤٢.

(٣) الصيانة: ٤٣ - ٥٠.

(٤) راجع: الكافي ١: ٦٩ باب وجوب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب.

(٥) انظر: البرهان للبروجردى: ١١٦ - ١٢٠.

(٦) رواها ثقة الاسلام الكليني بإسناد صحيح في روضة الكافي ٨: ٥٣ رقم ١٦.

وهذا تصريح بأن الكتاب العزيز لم ينله أي تحريف في نصّه «أقاموا حروفه». وإن كانوا قد فسروه على غير وجهه تاويلاً باطلاً، وهو تحريف معنوي - على ما أسبقنا - ومن ثم فإنهم «حرّفوا حدوده». والمراد من تحريف الحدود هو تضييعها، كما ورد في حديث آخر: «ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيع حدوده»^١.

٢ - سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾^٢ وما يقوله الناس: ما باله لم يسمّ عليّاً وأهل بيته؟

فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ لهم ثلاثاً ولا أربعاً. حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر لهم ذلك^٣.

فقد قرّر عليه السلام أنه لم يأت ذكرهم في الكتاب نصّاً، وإن كانوا مقصودين بالذات فحوى على خلاف ما يقوله أهل التحريف في زعم سقوط أساميهم لفظاً.

٣ - روى المفيد بإسناده إلى جابر عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وآله ضرب فساطيط لمن يعلم الناس القرآن، على ما أنزل الله جلّ جلاله فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم، لأنه يخالف فيه التأليف»^٤.

فكانت صعوبة حفظ القرآن ذلك اليوم، إنما لأجل مخالفته للتأليف الراهن، أي من حيث النظم والترتيب لا شيء سواه.

ومن ثمّ قال سيدنا الاستاذ الإمام الخوئي طاب ثراه: كانت أمثال هذه الأحاديث، الصحيحة الاسناد، الصريحة المفاد، حاكمة على كل ما روه بشأن إثبات التحريف في كتاب الله. إذ قد تبين بوضوح: أنّ المقصود من التحريف الواقع في كلام الأئمة، هو التحريف المعنوي، وأنّ المخالفة هي في النظم والترتيب، لا ما زعمه أهل الزيغ والتحريف^٥.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

(١) اصول الكافي ٢: ٦٢٧ رقم ١.

(٤) الارشاد: ٣٦٥. بحار الانوار ٥٢: ٣٣٩ رقم ٨٥.

(٣) اصول الكافي ١: ٢٨٦.

(٥) راجع البيان: ٢٥١.

قصة: وَالْبَحَى بِرَبِّ النَّهَارِ

الشيخ عبد المجيد فرج الله «الوراق»

تصفّح ملامحه المتموجة في طيّات الماء الأزرق. وراح يمسح شاربيّه بزهر كبير، وهو يتذكّر رعباً من بطولات الأمس، سطرها على أحداق الايام.. على طول قامته الممتدة بعيداً على وجه الماء، كان يراقب انحناءات صورته، التي سرعان ما بدت مهزوزة مرتعشة، وكأنها أنفاس ضفادع أسنة في مستنقع مسموم. وما بين شاربيه الطويلين، وبين صدره المضطرب على صفحات المرأة الزرقاء، كانت خيول الامس تعبت بحوافرها القاسية، تارة ثمرغهما بوحل قديم واخرى تركل صدره المتكسر..

تنهّد بكبرياء، ولملم رداءه بعصية، ثم استدار راكباً جواده الابيض، قاصداً قلب الصحراء الممتدة الى أشفار عيون الافق الغائم. تلقّفته الكثبان الرملية، وهو غائر بفروسه بعيداً عن جنوده المبهورين بشجاعته وفروسيته وقامته الطويلة الممتلئة، وبريق عينيه السوداوين. كانت الشمس الصغرى قد اشرفت على الغروب، وفي كلّ لحظة يستطيل ظلّه على وجع الكثبان الرملية..

توقّف حتى غابت تماماً، وهو يتأمل انكسارات ظلّه القاتمة. ...إنّه الظلام، يتسلّل خلف عروق الشمس، ليقطع العالم عن نورها الجميل .. وغطّ في تفكير عميق.

إنّه يواجه ظلامين .. ويفارق شمسين، وليس إلا هذه الليلة ..

ترى، إلى أي مآلٍ تصير الأمور؟..

أحسّ بشاريه يتآزران مع الظلامين القاسيين، فيطوّقان عنقه الغليظ، لعلّه ينسى
ضياء الشمس.

لم يستطع اعتقال الشمس، فهي أسمى من أن تُعتقل .. لكنه حاصر العالم من حولها،
وهي تنطلق مشرقة حانية في الأرجاء. وبين فينة وأخرى تجود عليه بالنفثات ندية تُنبئ
مزيداً من العشب والعشق في روحه القائظة.

هربت من رثيه عشرات الزفرات، لتأخذ لها حيزاً بين اللهاث المرّ، فيما ظلّت ألسنة
اللهب تستعر في ضلوعه العرجاء.

الشيء العجيب الذي أنهك تفكيره، هو سرّ خلود الشمس، وألقى نفسه منبهراً من
ضحالة حلك الليل مهما ادلهمّ أمام الذاكرة المليئة بخيوط النهار.

تركزت ألوان الصورة في روحه أكثر فأكثر، متجسّمة في شبح هزيل ميّت في كل
ميلادٍ جديدٍ له، أمام نورٍ متدفّقٍ البهجة والحياة والعطاء، على طول الزمن وعرضه.
أوجعه المشهد كثيراً، وهو يرى حشرات الأرض تتجمّع بأعدادٍ هائلةٍ قبيحة،
لتحجب ضياء الشمس المنبعث من خلف نافذة الغروب وإلى آخر ساعة من العتمة
ليلتحق ثانية بركب النهار.

أذهلته المفاجأة، وهو يرى نفسه خنفساء مقرّزة تدور حولها ألف ذبابة، هي مجموع
فرقة البائسة.

لم تزل الشمس محتفظة بهدوئها وابتسامتها الوادعة، فيما تعالّى لغط الحشرات
الغبية في دائرة تافهة الصغر، أمام النور العملاق.

أحسّ باضطراب كبير يتفجّر هذه المرّة من كل ذرّة في روحه وجسمه.

انتفض أخيراً ... حطّم القالب الخنفسائي المقرّر، وانطلق إلى الخفاش الكبير قائلاً

بتشّنج:

- أمقاتل أنت هذه الشمس؟..

أجاب الخفّاش:

- نعم .. قتالاً أيسره أن تطيح فيه الرؤوس، وتتقطع فيه الأيدي.

ارتعش جسمه خاشعاً، وهو يحدّق بالنور الباسم.

اقتربت منه حشرة، أذهلها العجيب من ارتعاشه وهو البطل المغوار، فسألته بتلك:

- أهو الجبن يا سيدي؟.

فقال مغضباً:

- وبلك، إني أخير نفسي ما بين النور والظلمة، ما بين الجنة والنار ... ويحك كأنتي

أرى الجنة ومن ينعم بها، وأرى النار ومن يعذب بها .. والله لا أختار على الجنة بدلاً.

ثم انطلق بفروسه يريد الجانب الآخر من الحياة.

في محراب الضراعة والتوبة، انحنى نادماً باكياً معتذراً، من غفلته المهزومة، حينما

ظن أن بإمكانه أن يحاصر الشمس.

لمسته أشعة دافئة منها، فنهض مستأذناً ليقا تل على ضوءها الحشرات التي لا

تستحق العيش في النهار.

تمكّن أن يسحق منها أعداداً، ولكن أعداداً أخرى استطاعت أن تمرّق جسده.

التفت الى الشمس مسلماً، فأرسلت اليه أشعة دافئة حانية، ومنتحة جناحين ليطيّر

بهما في سماء الحرية، وكان النور يهمس في قلبه:

أنت كما سمّتك أمك .. حرّ في الدنيا، وسعيد في الآخرة.

الأخلاق في القرآن الكريم

(٢)

القرآن الكريم والكمال البشري

مباحث الشيخ محمد تقي مصباح الزيدني

إعداد: السيد منذر الحكيم

عرفنا أن لكل نظام أخلاقي نظرية أخلاقية يعتمد عليها ويستمد قيمته منها، وعرفنا أيضاً أن لكل نظرية مبادئ تبني عليها وتنطلق منها. والمبادئ هذه منها ما هو عام تشترك فيه كل النظريات الأخلاقية، ومنها ما تختص به كل نظرية لنفسها. وعرفنا أن المبادئ العامة لكل النظريات الأخلاقية هي:

- ١- إن الإنسان كائن حر في سلوكه.
 - ٢- لكل إنسان هدف أقصى يسعى إليه في الحياة.
 - ٣- قدرة الإنسان على الوصول إلى الكمال اللائق به.
 - ٤- إن مصير الإنسان من سعادة أو شقاء معلولان لسلوكه الاختياري.
- وقد عرفنا موقف القرآن الكريم من حرية الإرادة الإنسانية، ونريد الآن أن نعرف موقف القرآن الكريم من الكمال البشري كمبدأ أساسي من مبادئ النظرية الأخلاقية القرآنية، وموقفه من تعيين الكمال اللائق بالإنسان:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُفَوَّقُونَ أَلْفَ شَرٍّ يَلْقَوْنَ فِيهَا سُلَاسِيًّا فَاصْبِرُوا صَبْرًا حَسْبًا * وَمَا أَصَابَكُمْ مِنَ النَّارِ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاصْبِرْ وَارْجُ رَبَّكَ إِنَّكَ بِعَيْنِ رَبِّكَ أَشْفَعٌ﴾

عطاءً غير مجدود^(١).

وقال: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢).

وقال: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٣).

للكمال البشري مفهوم واحد واضح لا يختلف فيه اثنان، كما لا يختلف الناس في فهم معنى الوجود والنور. وإنما الاختلاف كل الاختلاف في مصاديق الكمال. فقد يرى البعض شيئاً مصداقاً للكمال، ولا يراه الآخر مصداقاً لذلك.

إن لكل إنسان مثلاً أعلى في الحياة يسعى حثيثاً للوصول إليه، فهو يستهدفه في حياته، ويكون جامعاً لآماله، ويكون هو الدافع العميق والأصيل في وجوده في كل تصرفاته وطموحاته.

فالكمال هو القمة التي يتحرك باتجاهها الإنسان في حياته. ولا نكاد نجد إنساناً ليس له طموح في الحياة، أوله طموح لأمر مجهول في قرارة نفسه.

إن كل إنسان مفطور على حب ذاته، فهو يحب أن يكون سعيداً وفائزاً في كل شؤون الحياة. ولهذا يصح أن نقول إن كل إنسان - مهما كانت رؤيته نحو الكون والحياة - يريد الفوز والفلاح في الحياة.

إذا الفوز والسعادة والفلاح كلمات تعبّر عن مفهوم مشترك يقصده كل إنسان حينما يبدأ حياته الشعورية، ويبدأ سعيه الحثيث نحو الكمال (نحو ما يراه كمالاً له وسعادة وفلاحاً).

إن الكمال مطلوب لكل إنسان، ولا يمكن أن تتصوّر من يغفل عن ذلك أو يتنازل عنه.

(٢) المائدة: ١١٩.

(١) هود: ١٠٥ - ١٠٨.

(٣) التوبة: ٨٨ - ٨٩.

إنَّ الناس بالرغم من اختلاف درجات ثقافتهم واتجاهاتهم وعقائدهم في الحياة، فإنَّهم لا يختلفون في امتلاك هذا الطموح نحو الكمال.

إنَّ الطموح نحو الكمال مع المثل الأعلى الذي يختاره الإنسان في حياته هو الذي يفسّر لنا كل عمل يصدر من الإنسان باختياره، ويكون هو الداعي القريب أو البعيد لاجاده.

وقد أوضح لنا القرآن الكريم موقفه من هذا المبدأ من خلال:

١ - تعليله لضرورة اكتساب الإيمان بالله تعالى، والعمل الصالح في الحياة الدنيا بأنَّهما معاً ينتجان الفوز والفلاح الأبديين، وتعليله لضرورة اجتناب الكفر والشرك والنفاق والفسق بأنَّها توجب الخيبة والخسران والشقاء الأبدى.

٢ - وهكذا تعليله لوجوب الصوم بأنَّه يحقق للمؤمن ملكة التقوى، ثمَّ تعليله للزوم تحصيل التقوى بأنَّه يؤدّي الى الفلاح. بينما لم يعلّل القرآن ضرورة تحصيل الفلاح أو ضرورة التخلص من الشقاء.

إنَّ تعليل الأحكام الإلهية وتعليل السلوك البشري وتوجيهه وجهة تؤدّي الى الفوز والفلاح وتبعده عن الخسران والشقاء... إلى جانب السكوت عن تعليل لزوم تحصيل السعادة... كلّ هذا يفيدنا ما يلي:

١ - إنَّ مطلوبة السعادة والفوز والفلاح التي هي تعبير آخر عن الكمال المنشود لكل إنسان لا تحتاج الى تعليل لأنَّها مطلوبة ذاتية. فإن كل إنسان ذي شعور وعقل وإرادة إنَّما يكدح في الحياة لأجل تحصيل الكمال الذي يتجسّد في السعادة والفوز والفلاح. والكدح لغير هذا يكون لغواً وعبثاً. وإن اختلف الناس في تصوّرهم لمصداق السعادة والفلاح.

٢ - والقرآن الكريم باعتباره كتاب هداية وإرشاد، فمن الطبيعي أن يرشد الإنسان إلى ما يكون فلاحاً له، ويُعَدّ فوزاً حقيقياً وسعادة واقعية له، ما دامت الرؤى حول واقع

السعادة وحقيقة الفلاح والفوز غير متقاربة ولا متحدة.

٣- إن سلوك الإنسان يحتاج إلى توجيه وترشيد وتعليل. وإن الداعي الجدير بالتركيز عليه هو حب السعادة والفلاح وكراهة الشقاء والخسران، وهذان الداعيان أصيلان وفطريان ويستمدان فاعليتهما من عمق وجود الإنسان.

٤- إن الإنسان قد لا يكتشف ما هو كماله اللائق به بسهولة وبسرعة في بداية الشوط من حياته، وإن اكتشف ذلك فقد لا يقتنع به ولا يؤمن به إيماناً كاملاً. ومن هنا فالعقبة التي تقف عادة أمام وصول الإنسان إلى كماله اللائق به تتلخص في أحد أمرين:

أ- الجهل بالكمال اللائق بالإنسان، أو عدم الإيمان به باعتباره كمالاً لاثقاً به.

ب- الجهل بما يؤدي إلى الوصول إلى هذا الكمال اللائق، أو عدم الإيمان به. ومن هنا يتصدى القرآن بشكل حثيث ليوضح للإنسان مصداق كماله اللائق به. ويحاول -بشتى الأساليب- أن يصوره له بنحو ينتج الإيمان به.

كما إنه يتصدى لتوجيه سلوكه الاختياري توجيهاً منبعثاً من حبه للكمال والسعادة، أو بغضه وخوفه من الشقاء والخسران، وبهذا لا يتحكم في السلوك الاختياري للإنسان بلسان القانون الجاف، بل يحاول إيجاد الداعي المؤثر، وبهتئ الظروف الكافية لتحصل للإنسان المفكر والواعي القناعة الكافية بلزوم اختيار هذا النوع من السلوك الذي يراه القرآن الكريم محققاً للسعادة الواقعية ومبعداً عن الشقاء الحقيقي.

ولأجل أن نستلهم رؤية القرآن في هذا المجال يجدر بنا أن ندقق في الآيات التي أشرنا إليها في بداية البحث، وهي نموذج واحد من مجموعة النماذج التي قدمها القرآن الكريم، وأكدها بشتى أنواع التأكيد، ليحصل الإنسان على الأهداف المرسومة له بملء إرادته وكامل اختياره.

لاحظ قوله تعالى في سورة هود: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ *

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ... وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ...^١

فلكل إنسان مصيره ونهايته (التي يحققها له عمله الاختياري وسلوكه الإرادي) كما صرح بذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^٢ وقوله: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^٣ وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^٤ وقوله: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ وَأِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾^٥.

والشقاء الحقيقي يتجسد في استحقاق النار (فما خيرٌ بخيرٍ بعده النار) والسعادة الحقيقية تتجسد في استحقاق الجنة (وما شرٌ بشرٍ بعده الجنة).

أما كيف يحقق سلوك الإنسان للإنسان مصيره النهائي؟ فلنلاحظ قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^٦.

وقوله تعالى حكاية وتقريراً لكلام إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^٧.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾^٨ وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^٩.

إن التعبير عن السعادة العظمى بالفلاح وبالفوز العظيم يستحق الإنباه. وقد جمع القرآن الكريم بين الفلاح والفوز العظيم في قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^{١٠}.

(١) هود: ١٠٥ - ١٠٨.

(٢) التحريم: ٧، والطور: ١٦.

(٣) الإسراء: ٧.

(٤) الشعراء: ٨٧ - ٨٩.

(٥) الشمس: ٩.

(٦) النجم: ٣٩.

(٧) المدثر: ٣٨.

(٨) المائدة: ١١٩.

(٩) الأعلى: ١٤ - ١٥.

(١٠) التوبة: ٨٨ - ٨٩.

هذا هو موقف القرآن الكريم من طموح الإنسان نحو الكمال، ومن الكمال اللائق بالإنسان ليطمح إليه بكل قواه ووجوده. والمصطلحات التي ترشدنا هنا لموقف القرآن الكريم من هذا المبدأ هي:

- ١- السعادة والشقاء ومشتقاتهما وما يفيد مفادهما.
 - ٢- الفوز ومشتقاته وما يقابله.
 - ٣- الفلاح ومشتقاته وما يقابله.
 - ٤- الآخرة.
 - ٥- المنتهى.
 - ٦- المصير.
 - ٧- الجزاء.
 - ٨- الربح والخسران والخزي.
 - ٩- كل الآيات التي تكفلت تطبيق المصير أو السعادة أو الفوز على المصاديق التي يرتضيها خالق الإنسان للإنسان.
 - ١٠- كل الآيات التي علّلت أنواع سلوك الإنسان، وأبرزت نتائج كل صنف بلام التعليل أو لعل المفيدة للترجي... مثل قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءُ رَبَّكُمْ تَوَقُّونَ﴾ و﴿لَعَلَّكُمْ تَسْلِمُونَ﴾.
- إذن تشخيص الكمال اللائق بالإنسان وتعيين مصداقه الواضح بحيث لا يبقى للإنسان إبهام عند تصوّره هو من أهم ما تکرّم به القرآن الكريم في عطائه للإنسان الذي أراد له الهداية والوصول إلى كماله المنشود.

عضة وعبرة:

بِأَمْرٍ مُلَبَّةٍ

أسامة البصري (العراق)

رغم الحرمان الشديد الذي كان يعاني منه (ثعلبة بن حاطب) والظروف الحياتية القاهرة التي يمرُّ بها.. إلّا أنّه كان ملتزماً بكل ما أوجبه الله تعالى عليه من فرائض وحدود، وكان من السّباقيين لحضور صلاة الجمعة والجماعة والاشتراك فيها مع بقية المسلمين، مضافاً إلى أنّه كان من المواظمين على ارتياد مجالس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والحضور فيها بشكل دائم ومستمر. وقد عهد المسلمون منه الأخلاق الحسنة والهدي الطيّب والمشاركة في فعل الخيرات.

وكان لـ (ثعلبة بن حاطب) صديق من مثل طبقته تعود أن يمرّ عليه يوماً قبيل أوقات الصلاة ليصطحبها ويذهباً سوياً إلى مسجد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لأداء صلاة الجماعة مع المسلمين.

وذات يوم وبينما كان الصديقان يسيران في طريقهما إلى المسجد النبوي دار بينهما حديث مسهب تناولا فيه الحالة المعيشية المضنية التي يمرّان بها، فقال ثعلبة: الحمد لله الذي رزقنا نعمة (الايمان) وجعلنا بها من أغنى الناس، فصحيح أنّنا لا نملك ثروة طائلة وأموالاً كثيرة، إلّا أنّنا نمتلك ما هو أثمن وأغلى من ذلك وهو (القناعة) و(الايمان).

فإنّ الانسان إذا لم يكن قنوعاً وراضياً بما قسم الله تعالى له، فإنه لا يشبع بالقليل ولا بالكثير من المال، وإذا لم يكن يملك الإيमान فإنه لا يعيده الأمور ولو كانت قناطر

فلا يضرنا إذا الفقر إذا كانت عاقبتنا هي النعيم المقيم، ولا ينفع غير القانعين الغنى إذا كان مصيرهم هو العذاب الدائم الأليم!!

فتمتم الصديق قائلاً بصوت خافت:

- الحمد لله على كل حال، نسأل الله تعالى أن يبقينا على هذه الحال من الصبر والقناعة والطاعة، وأن لا يسلب منا ما نحن فيه، وأن يمن علينا بحسن العاقبة والمصير. فالتفت (ثعلبة) إلى صاحبه متسائلاً باستغراب:

- وهل تشك في ذلك يا أخي ونحن نؤدي فرائض الله تعالى في مثل هذه الحالة من البؤس والحرمان والشقاء، ونحافظ على حدود الله تعالى وتتعاهد الجمعة والجماعة، ونشارك المسلمين في السراء والضراء؟؟؟

فهل يمكن أن يتردئ حالنا إلى أكثر من هذا الذي نحن فيه، وهل يمكن أن نتحدر إلى مستوى أسوأ من الذي نمُرُّ به من قساوة ظروف الحياة وجشوبة العيش!! فقال الصديق بهدوء واطمئنان:

- أنا اعتقد أنه لا فرق بين الغني والفقير في الابتلاء، وأن الله تعالى يعرض الاثنين إلى الاختبار والامتحان كلٌّ بحسب ما هو عليه، ولعلَّ شخصاً يجتاز مرحلة البلاء بنجاح في حالة العسر والضيق ولا يستطيع ذلك في حالة السعة والرخاء. فقال ثعلبة مخالفاً صديقه الرأي:

- أمّا أنا فلا أعتقد ذلك، وأرى بأننا إذا تعرّضنا إلى الرخاء ووسّع الله علينا أرزاقنا فإنَّ عبادتنا ستكون أفضل وأحسن من دون شكٍّ أو ريب ... إنَّ الفقر يهيم على حياتنا ويمنعنا عن تحقيق الكثير من الطاعات والخيرات والإحسان إلى الآخرين! وبعد فترة صمتٍ وجيزة أردف ثعلبة يقول:

- لقد سئمت هذه الحال، وجزعتُ من الفقر والحرمان!!

فقال له الصديق:

- لا يا أخي ثعلبة، إنه من الواجب علينا أن ندعو الله سبحانه وتعالى بحسن العاقبة في مختلف الظروف والاحوال، ونحن لا ندري فيما لو رزقنا الله تعالى مالاً هل نبقي على إيماننا وبقيننا أو لا.

فقال ثعلبة:

- أمّا أنا فأعلم من نفسي أنّ الله تعالى إذا آتاني مالاً وبيعاً فسوف أأخذ منه مقدار كفايتي ومووتتي، وأنفق المتبقي على الفقراء والمساكين، ولا أفعل كما يفعل هؤلاء الأثرياء المجحفون، وسترى إن شاء الله ..
- أسأل من الله أن يكون ذلك!

قال (الصديق) ذلك متهمكاً من الطريقة التي يفكر فيها (ثعلبة) الذي أردف قائلاً:
- نعم، أنا مطمئنٌ ممّا أقول ووجداني خير شاهد ودليل، ولا أظن أنني بحاجة إلى أوضح من هذا الدليل وأكثر جلاءً منه لإثبات صحة ما أقول!!
قال (الصديق):

- لا بأس عليك، ولكن تذكر هذه الآية فقط وضعها نصب عينيك:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ * أَنْ رَأَى اسْتَعْفَى﴾.

وأخذ الصديقان يسيران فترةً من الزمان من دون أن يتحدث أحدهما بشيء، إلى أن حانت من (ثعلبة) إلتفاتة إلى صاحبه وكأنه عثر على حقيقة جديدة أو ظفر بدليل آخر يعرّز ما سبق منه من حديث فبادر قائلاً:

- لقد فكرت كثيراً في أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدعو الله تعالى لي بالغننى والثروة، عسى الله تعالى أن يخفف عني أعباء هذه الفاقة الشديدة التي أثقلت كاهلي وكسرت ظهري ... إن هذه الفكرة كانت وما زالت تراودني دائماً، وسوف أقوم بتنفيذها هذا اليوم، وأطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك، لكي أثبت لك صحة ما

وفي هذه الاثناء وصل إلى مسامع الرجلين نداء المؤذن للصلاة من داخل المسجد بعد أن كانا قد اقتربا منه ... فدخلوا وصلياً، وما إن انتهت (ثعلبة) من أداء الصلاة حتى دلف الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ما زال جالساً في محرابه مشغولاً بالتعقيب والدعاء.

جلس (ثعلبة) بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بتذلل وخضوع قائلاً:

- يا رسول الله! ادعُ الله أن يرزقني مالاً وفيراً!

فأدرك النبي الأكرم صلى الله عليه وآله السر الذي دفع (ثعلبة) إلى هذا السؤال فأجابه صلى الله عليه وآله:

- ويحك يا ثعلبة! قليل تؤذي شكره خير من كثير لا تطيقه.

فقال ثعلبة:

- يا رسول الله! إن الحالة التي أمر بها لا يمكن أن تُطاق وإني لمطمئن من أدائي لكل حقوق الله التي أوجبها عليّ.

ثم أضاف:

- يا رسول الله، إن أغلب المسلمين هم أحسن حالاً وأكثر مالاً مني، فأني فارق بيني وبينهم؟ ... لقد رأيت من الفقر ما فيه الكفاية فادعُ الله لي باليسر والفرج يا رسول الله!!

فأجابه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

- يا ثعلبة! أما لك في رسول الله أسوة حسنة، والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت.

رجع ثعلبة بن حاطب من عند رسول الله خائباً وفي نفسه شيء، فهو يعلم أن أبسط دعاء من رسول الله صلى الله عليه وآله سوف يقلب معادلة حياته ويمنّ عليه باليسر والسعة ويغنيه عن كثير من المصاعب والمتاعب والمشاق.

فلم ييأس أو يتراجع عما يروم تحقيقه، ولم يقتنع بما قاله له النبي الاكرم صلى الله عليه وآله من حكمة بالغة وقول سديد ونصيحة إنسانية رفيعة ..

رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم آخر وجلس إليه وهو يكفكف دموع عينيه، ويظهر له ألوان التضرع والخضوع وهو يقول:

- يا رسول الله! ادع الله أن يرزقني مالاً، والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطي كل ذي حق حقه.

فما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن تعرض إلى هذا الإلحاح والإحراج الشديد إلا أن رفع يديه بالدعاء قائلاً:

- «اللهم ارزق ثعلبة مالاً».

وأشار النبي الاكرم صلى الله عليه وآله على (ثعلبة) بأن يتخذ غنماً فإن الله سبحانه وتعالى سوف يجعل له فيها البركة وينميها بفضل وبركة هذا الدعاء.

بادر (ثعلبة) في اليوم الآخر إلى اتخاذ بعض الشويكات ورعايتها كما أوصاه رسول الله صلى الله عليه وآله، ولاحظ أنها بدأت تتكاثر وتنمو بصورة سريعة وملفتة للنظر.. إلى أن أصبح يمتلك عدداً غفيراً من الاغنام بمرور الليالي والايام.

وكان أن وصل الأمر به إلى درجة أنه لم يعد يجد لأغنامه المتكاثرة هذه مكاناً وموضعاً داخل (المدينة) فأخذ (ثعلبة) ينأى بأغنامه عن فناء (المدينة) ويبعد بها خارجاً في صبيحة كل يوم، ليعود إلى بيته منهاكاً آخر المساء.

لقد أصبحت هذه الاغنام الشغل الشاغل (لثعلبة) عن كل شيء، وأصبح همه الأول والأخير إطعامها ورعايتها وإحصاء عوائدها في كل يوم.

وكان الصديق يمرّ عليه كعادته صباحاً ومساءً من أجل أن يرافقه الخروج إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله ومجالسه، إلا أن (ثعلبة) يعتذر إليه من الخروج يوماً بذريعة طلب الرزق، وإن هذه هي بداية الأمر وتحتاج إلى عناء استثنائي متميز وجهد إضافي قد

يمنعه بضعة أيام من التردد على مسجد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ورؤيته.
مرّت الايام متسارعة لاهثة وما كان (ثعلبة) يزداد مع مرورها إلا ابتعاداً وانشغالاً في الدنيا وهمومها، حتى أن صديقه لم يعد يجد له أثراً في البيت كما كان يحصل سابقاً لأنه أخذ يخرج بأغنামه منذ الصباح الباكر خارج فناء (المدينة) ويقيم معها هناك إلى آخر المساء ولعلّه لا يعود إلى بيته لبضعة أيام.

عندها يتذكّر الصديق حديثه السابق مع (ثعلبة)، ويتذكّر نصيحة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله له وحديثه معه، فيتمتم قائلاً عند استعراض شريط هذه الذكريات:
- اللهم ارزقنا القناعة وحسن العاقبة والمصير، واجعلنا ممن يتأسى برسول الله صلى الله عليه وآله بالفعل والقول!

وظلّ هذا الصديق يتردد على مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله منفرداً، فيراه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ويسأله عن حال (ثعلبة) وأوضاعه، فيجيبه في كل مرة:
- إنه مشغول بأمواله وأغنামه يا رسول الله!

فيردّ رسول الله صلى الله عليه وآله: - «قليل تؤذي شكره خير من كثير لا تطيقه».
وصادف أن جاء (ثعلبة) الساعة ذات يوم لطلب الزكاة، وسأله أن يدفع لهم ما أوجبه الله تعالى عليه في هذه الأغنام من حق لكي يقسم على الفقراء والمساكين.. فأبى (ثعلبة) أن يدفع إليهم هذه الفريضة الإلهية وزجرهم قائلاً:
- ما هذه إلا أخت الجزية!!

لقد تمادى (ثعلبة بن حاطب) كثيراً في غيّه وعناده واستبدّ وطغى وترك الواجبات الدينية والفرائض الإسلامية التي كان مواظباً عليها أيام فقره وحاجته، ولم يعد يُعرف بين المسلمين إلا رجلاً حريصاً شحيحاً متعلقاً بأموال الدنيا وأهدابها وقشورها.
إنه نسي أو تناسى ما وعدّه به رسول الله صلى الله عليه وآله من البرّ والاحسان وعمل الخيرات والإنفاق على الفقراء والمساكين.

وصل خبر (ثعلبة) الأخير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فتأسف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عليه وآله عليه كثيراً وأخذ يقول:
- يا ويح ثعلبة! يا ويح ثعلبة!!
وأردف صلى الله عليه وآله:

- يا قوم!! إنه قد نزل عليّ في (ثعلبة) هذه الآيات: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿فَاعْقِبْهُمْ يَفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^١ صدق الله العليّ العظيم.



قَالَ الْأَئِمَّةُ الضَّادِيُّ (ع) :

« اخْتَبِرُوا إِخْوَانَكُمْ بِخِصْلَتَيْنِ فَإِنْ كَانَا فِيهِمْ وَإِلَّا فَأَعْرَبْ
مِمَّ أَعْرَبْ مِمَّ أَعْرَبْ : الْحَافِظَةُ عَلَى الصَّالِحِينَ فِي
مَرْقَبَتِهَا وَالْبَرِّ بِالْأَخْوَانِ فِي الْعُسْرِ وَالْبُسْرِ »

اصول الكافي ٢٣ ص ٦٧٢

«يا ويح ثعلبة»

جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ويحك يا ثعلبة، قليل تؤذي شكره خير من كثير لا تطيقه» ثم أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أما لك في رسول الله أسوة حسنة؟ والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت» ثم أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً فوالذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً». قال: فاتخذ غنماً، فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها، وهي تنمو كما ينمو الدود، فكان يصلي مع النبي صلى الله عليه وآله الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات، ثم كثرت ونمت حتى تباعد بها عن المدينة فصار لا يشهد إلا الجمعة، ثم كثرت فنمت فتباعد أيضاً حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة... فذكره رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم فقال: ما فعل ثعلبة؟ قالوا: يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنماً يسعها وإذ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة...».

تفسير البغوي (معالم التنزيل) ١٠: ٣١٢

الْحُبُّ إِلَى اللَّهِ

فِي الدِّعَةِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

(٤)

حُبُّ اللَّهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كيف نحُبُّ الله؟

ذكرنا أنَّ الله تعالى يتحبَّب إلى عباده بالنعمة، وهذه حقيقة ثابتة لا حاجة للحديث عنها، والذي يهمنا هنا هو أن نقول: إنَّ وعي النعمة هو العامل الأساسي والرئيسي في حبِّ الله.

وإذا أنعم الله على عبد بنعمة فتلقاها عن وعي كان لهذا الوعي أثران مباشران في علاقته بالله تعالى:

أحدهما: الشكر، والثاني: الحب، وكلاهما يرفعان الإنسان إلى الله، وطريقان يسلكهما الإنسان إلى الله.

والعلاقة بين (الشكر) و(النعمة) علاقة تبادلية جدلية، كلما أنعم الله على عبد استدعته النعمة إلى الشكر، وكلما شكر العبد ربه زاده الله تعالى من نعمه، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^١ وزيادة النعم تستدعي مزيد الشكر، وهكذا يتم الصعود إلى الله تعالى.

وأما إذا تلقى الإنسان النعمة من غير وعي، فإنها تورثه البطر والرياء والغرور والطفغان ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾^٢.

والنعمة هي النعمة تمنح الإنسان تارة حبَّ الله وشكره، وتثير في نفسه تارة أخرى

الغرور والبطر والرياء والطفیان.

والفرق بين هذا وذاك (الوعي)، ولذلك يحرص القرآن على التذكير بنعم الله تعالى، وهذا التذكير يشغل مساحة واسعة من القرآن.

ف نجد أنَّ القرآن يحاول أن يفتح عقل الإنسان وقلبه على طائفة واسعة من نعم الله التي يغفل عنها الإنسان عادة. فإنَّ الإنسان يألف هذه النعم في حياته اليومية كثيراً، ومن طبيعة هذه الألفة أن يتبلد الذهن، فلا يحس الإنسان بقيمة هذه النعم وجمالها، نحو نعمة الزوجية، وتكرور الليل والنهار، والمراكب التي يستخدمها الإنسان في البر والبحر، وما جعل الله تعالى للإنسان فيهما من نعمة ورزق... وهي عملية توعية وتذكير واسعة وهادفة بنعم الله تعالى، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^١ ويقول تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^٢.

وقد روي عن عائشة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله فسر هذه الآية الكريمة بقوله: ﴿من لم يعلم فضل الله عز وجل عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قصر علمه ودنا عذابه﴾^٣. والتذكير بالنعمة توعية للنعمة. وإذا وعى الإنسان النعمة انقلبت النعمة في حياته حباً وشكراً، وإذا تجرّدت النعمة عن الوعي انقلبت غروراً وطفیاناً ورياءً في حياة الإنسان. وإلى هذا المعنى الدقيق في قيمة (الحمد) وتوعية الله لعباده بنعمه يشير الإمام علي بن الحسين عليه السلام في الدعاء الأول من أدعية الصحيفة، يقول عليه السلام: «والحمد لله الذي لو حبس عن عباده معرفة حمده، على ما أبلاه من مننه المتتابعة، وأسبغ عليهم من نعمه الظاهرة... لتصرفوا في مننه فلم يحمده، وتوسعوا في رزقه فلم يشكروه، ولو كانوا كذلك لخرجوا من حدود الإنسانية إلى حدّ البهيمية، فكانوا كما وصف في محكم كتابه: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^٤.

(١) النحل: ١٨.

(٢) لقمان: ٢٠.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي ٢: ١٠٥.

(٤) الصحيفة السجادية: ٢٤ بمقدمة السيد الشهيد الصدر، والآية: الفرقان: ٤٤.

وفي النصوص الإسلامية توجيه متكرر لتوظيف (نعم الله) في اتجاه حب الله، وتوجيه الناس إلى حبه تعالى بسبب نعمه وآلائه.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله عز وجل، وأحبوا أهل بيتي لحيي»^١.

وقد مرّ في الحديث القدسي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «قال الله عز وجل لداود عليه السلام: أحبني وحبيني إلى خلقي، قال: يا رب نعم أنا أحبك، فكيف أحبك إلى خلقك؟ قال: اذكر أياديّ عندهم، فإنك إذا ذكرت ذلك لهم أحبوني»^٢.

وفي نصوص الأدعية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام نجد اهتماماً بالغاً في التأكيد على إحصاء نعم الله تعالى وآلائه أولاً، وفي التأكيد على الحمد والشكر لله تعالى ثانياً.

وهاتان عمليتان هادفتان في منهاج التربية الإسلامية تؤدّيان إلى:

١ - توعية الإنسان وتذكيره بالنعمة.

٢ - توجيهه إلى حمد الله تعالى وشكره وحبّه.

وفيما يلي نذكر نماذج من التذكير والتوعية بالنعم في نصوص أدعية أهل البيت عليهم السلام أولاً، ثمّ في توجيه الإنسان من خلال هذه التوعية وهذا التذكير إلى شكر الله تعالى ثانياً.

نماذج من التذكير والتوعية بالنعم:

في دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة:

«اللهم إني أرغب إليك وأشهد بالتبويّة لك، مُقَرِّراً بِأَنَّكَ رَبِّي وَإِلَيْكَ مَرَدِّي، ابْتَدَأْتَنِي بِنِعْمِكَ قَبْلَ أَنْ أَكُونَ شَيْئاً مَذْكُوراً وَخَلَقْتَنِي مِنَ الثَّرَابِ ثُمَّ أَسْكَنْتَنِي الْأَصْلَابَ آمِناً لِرَبِّ الْمَتُونِ وَاخْتِلَافِ الدُّهُورِ وَالسَّنِينَ فَلَمْ أَزَلْ ظَاعِناً مِنْ صُلْبٍ إِلَى رَحِمٍ فِي تَقَادُمِ الْأَيَّامِ

(١) بحار الأنوار ٧٠: ١٤.

(٢) بحار الأنوار ٧٠: ٢٢.

الماضية والقرون الخالية لم تُخرجني لראيتك بي ولطفك لي وإحسانك إليّ في دولة
 ائمة الكفر الذين نقضوا عهدك وكذبوا رسلك لكنك أخرجتني للذي سبق لي من الهدى
 الذي له يسرتني وفيه أنشأتني ومن قبل ذلك رزقت بي بجميل صنيعك وسوايع نعمك
 فابتدعت خلقي من ميني يمني وأسكنتني في ظلمات ثلاث بين لحم ودم وجلد لم
 تشهد لي خلقي ولم تجعل إليّ شيئاً من أمري ثم أخرجتني للذي سبق لي من الهدى إلى
 الدنيا تاماً سورياً وحفظتني في المهدي طفلاً صبيّاً ورزقتني من الغذاء لبناً مريّاً وعطفت
 عليّ قلوب الحواصن وكفلتني الأمهات الرواحم وكلاّتني من طوارق الجان وسلمتني
 من الزيادة والتقصان فتعاليّت يا رحيم يا رحمن حتى إذا استهلكت ناطقاً بالكلام أتممت
 عليّ سوايع الإنعام ورزقتني زائداً في كلّ عام حتى إذا اكتملت فطرتي واعتدلت مرّتي
 أوجبت عليّ حجتك بأن ألهمتني معرفتك ورزقتني بعجايب حكمك وأيقظتني لما
 ذرأت في سمائك وأرضك من بدائع خلقك وبهتنتي لشكرك وذكرك وأوجبت عليّ
 طاعتك وعبادتك وفهمتني ما جاءت به رسلك وتسرت لي تقبل مرضائك ومننت عليّ
 في جميع ذلك بعونك ولطفك ثم إذ خلقتني من خير الثرى لم ترض لي يا إلهي نعمة
 دون أخرى ورزقتني من أنواع المعاش وصنوف الرزاق بمك العظيم الأعظم عليّ
 وإحسانك القديم إليّ حتى إذا أتممت عليّ جميع النعم وصرفت عني كلّ النقم لم
 يمنعك جهلي وجراتي عليك أن دللتني إلى ما يقربني إليك ووقفتني لما يزلّني لذيتك
 فإن دعوتك أجبتني وإن سألتك أعطيتني وإن أطمعتك شكرتني وإن شكرتك زدّني كلّ
 ذلك إكمالاً لأنعمك عليّ وإحسانك إليّ فسبحانك سبحانك من مبدئي معبد حميد
 مجيد تقدّست أسماؤك وعظمت الأوك فأيّ نعمك يا إلهي أخصي عداً وذكراً أم أيّ
 عطايك أقوم بها شكراً؟ وهي يا رب أكثر من أن يحصيها العادون أو يبلغ علماً بها
 الحافظون ثم ما صرفت وذرأت عني اللهم من الضرّ والضراء أكثر مما ظهر لي من العافية

نماذج من التوجيه الى الحمد والشكر:

في دعاء الامام علي بن الحسين عليهما السلام في يوم عرفة:

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا يَدُومُ بِدَوَامِكَ وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا خَالِدًا بِبِعَمَّتِكَ وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا
يُوازِي صُنْعَكَ وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا يَزِيدُ عَلَى رِضَاكَ وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا مَعَ حَمْدِ كُلِّ حَامِدٍ
وَشُكْرًا يَقْصُرُ عَنْهُ شُكْرُ كُلِّ شَاكِرٍ حَمْدًا لَا يَنْبَغِي إِلَّا لَكَ وَلَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَّا إِلَيْكَ حَمْدًا
يُسْتَدَامُ بِهِ الْأَوَّلُ وَيُسْتَدْعَى بِهِ دَوَامُ الْآخِرِ حَمْدًا يَتَضَاعَفُ عَلَى كُرُورِ الْأَزْمِنَةِ وَيَتَزَايِدُ
أَضْعَافًا مُتَرَادِفَةً حَمْدًا يَفْعِزُ عَنْ إِحْصَائِهِ الْحَفَظَةُ وَيَزِيدُ عَلَى مَا أَحْصَيْتَهُ فِي كِتَابِكَ الْكُتُبَةُ
حَمْدًا يُوَاظِنُ عَرْشَكَ الْمَجِيدَ وَيُعَادِلُ كُرْسِيَّكَ الرَّفِيعَ حَمْدًا يَكْمُلُ لَدَيْكَ ثَوَابُهُ وَيَسْتَفْرِقُ
كُلَّ جَزَاءٍ جَزَاؤُهُ حَمْدًا ظَاهِرُهُ وَفَقُّ لِبَاطِنِهِ وَبَاطِنُهُ وَفَقُّ لِيَصْدِقِ النَّبِيِّ حَمْدًا لَمْ يَحْمَدَكَ خَلْقٌ
مِثْلَهُ وَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ سِوَاكَ فَضْلَهُ حَمْدًا يُعَانُ مِنَ اجْتِهَادِهِ فِي تَعْدِيدِهِ وَيُوَثِّدُ مَنْ أَغْرَقَ نَزْعًا
فِي تَوْفِيقِهِ حَمْدًا يَجْمَعُ مَا خَلَقْتَ مِنَ الْحَمْدِ وَيَنْتَظِمُ مَا أَنْتَ خَالِقُهُ مِنْ بَعْدِ حَمْدًا لَا حَمْدَ
أَقْرَبُ إِلَيَّ قَوْلِكَ مِنْهُ وَلَا أَحَمَدَ مِمَّنْ يَحْمَدُكَ بِهِ حَمْدًا يُوجِبُ بِكَرَمِكَ الْمَزِيدَ بِوُفُورِهِ
وَتَصْلَهُ بِمَزِيدٍ بَعْدَ مَزِيدٍ طَوْلًا مِنْكَ حَمْدًا يُجِبُ لِكَرَمِ وَجْهِكَ وَيُقَابِلُ عِزَّ جَلَالِكَ^٢.

وفي دعاء الامام علي بن الحسين عليه السلام وهو الدعاء الاول من الصحيفة السجادية:
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا عَرَّفَنَا مِنْ نَفْسِهِ وَالْهَمْنَا مِنْ شُكْرِهِ وَفَتَحَ لَنَا مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ
بِرُبوبِيَّتِهِ وَدَلَّنَا عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ لَهُ فِي تَوْحِيدِهِ وَجَنَّبَنَا مِنَ الْإِلْحَادِ وَالشُّكِّ فِي أَمْرِهِ حَمْدًا
تُعَمَّرُ بِهِ فِيمَنْ حَمْدُهُ مِنْ خَلْقِهِ وَتُسَبِّحُ بِهِ مَنْ سَبَقَ إِلَى رِضَا وَعَفْوِهِ حَمْدًا يُضِيءُ لَنَا بِهِ
ظُلُمَاتُ الْبُزْخِ وَيُسَهِّلُ عَلَيْنَا بِهِ سَبِيلَ الْمُبْعَثِ وَيُشْرِفُ بِهِ مَنَازِلَنَا عِنْدَ مَوَاقِفِ الْأَشْهَادِ
يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ

درائتک

يُنْصَرُونَ حَمْدًا يَرْتَفِعُ مِنَّا إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ حَمْدًا تَقَرُّ بِهِ
عُيُونُنَا إِذَا بَرَقَتِ الْأَبْصَارُ وَتَبَيَّنَّ بِهِ وُجُوهُنَا إِذَا اسْوَدَّتِ الْأَبْشَارُ حَمْدًا نَعْتَقُ بِهِ مِنَ الْيَمِّ نَارِ
اللَّهِ إِلَى كَرِيمِ جَوَارِ اللَّهِ حَمْدًا نُزَاجِمُ بِهِ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ وَنُضَامُ بِهِ أَنْبِيَائِهِ الْمُرْسَلِينَ فِي
دَارِ الْمُقَامَةِ الَّتِي لَا تَزُولُ، وَمَحَلِّ كِرَامَتِهِ الَّتِي لَا تَحُولُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَارَ لَنَا مُحَاسِنَ
الْخَلْقِ، وَأَجْرَى عَلَيْنَا طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ، وَجَعَلَ لَنَا الْفَضِيلَةَ بِالْمَلَكَةِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَكُلُّ
خَلْقِيَّتِهِ مُتَقَادَّةٌ لَنَا بِقُدْرَتِهِ، وَصَائِرُهُ إِلَى طَاعَتِنَا بِعِزَّتِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَغْلَقَ عَنَّا بَابَ
الْحَاجَةِ إِلَّا إِلَيْهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ بِكُلِّ مَا حَمَدَهُ بِهِ أَذْنِي مَلَائِكَتِهِ إِلَيْهِ وَأَكْرَمُ خَلْقِيَّتِهِ عَلَيْهِ،
وَأَرْضَى حَامِدِيهِ لَدَيْهِ حَمْدًا يُفْضَلُ سَائِرُ الْحَمْدِ كَفَضْلِ رَبَّنَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، ثُمَّ لَهُ
الْحَمْدُ مَكَانَ كُلِّ نِعْمَةٍ لَهُ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ الْمَاضِينَ وَالْبَاقِينَ عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ
مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، وَمَكَانَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً أَبَدًا سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ حَمْدًا لَا مُتَنَهَى لِحَدِّهِ وَلَا حِسَابَ لِعَدِّهِ وَلَا مَبْلَغَ لِغَايَتِهِ وَلَا انْقِطَاعَ لِأَمَدِهِ حَمْدًا
يَكُونُ وَصْلَةً إِلَى طَاعَتِهِ وَعَقْرٍ وَسَبَبًا إِلَى رِضْوَانِهِ وَذَرِيعَةً إِلَى مَغْفِرَتِهِ وَطَرِيقًا إِلَى جَنَّتِهِ
وَخَفِيرًا مِنْ نِقْمَتِهِ وَأَمْنًا مِنْ غَضَبِهِ وَظَهِيرًا عَلَى طَاعَتِهِ وَحَاجِرًا عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَعِزًّا عَلَى
تَأْيِيدِهِ حَقُّهُ وَوُظَائِفِهِ حَمْدًا نَسْعُدُ بِهِ فِي السُّعْدَاءِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَنُصِيرُ بِهِ فِي نَظْمِ الشُّهَدَاءِ
بِسُيُوفِ أَعْدَائِهِ إِنَّهُ وَلِيُّ حَمِيدٍ^١.

ونقرأ هذا المسلسل من الحمد في دعاء الافتتاح:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ بِجَمِيعِ مُحَامِدِهِ كُلِّهَا، عَلَى جَمِيعِ نِعَمِهِ كُلِّهَا،
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا مُضَادَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ، وَلَا مُنَازِعَ لَهُ فِي أَمْرِهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا شَرِيكَ
لَهُ فِي خَلْقِهِ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ فِي عَظَمَتِهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ أَمْرُهُ وَحَمْدُهُ، الظَّاهِرُ
بِالْكَرَمِ مَجْدُهُ، الْبَاسِطُ بِالْجُودِ يَدُهُ، الَّذِي لَا تَنْقُصُ خَزَائِنُهُ وَلَا تَزِيدُهُ كُنُوزُ الْعَطَاءِ إِلَّا جُودًا

وَكَرَمًا، إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْوَهَّابُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ قَلِيلًا مِنْ كَثِيرٍ مَعَ حَاجَةٍ بِي إِلَيْهِ عَظِيمَةٍ،
وَعِنَاكَ عَنْهُ قَدِيمٌ، وَهُوَ عِنْدِي كَثِيرٌ وَهُوَ عَلَيْكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ، اللَّهُمَّ إِنَّ عَفْوَكَ عَنْ ذَنْبِي،
وَتَجَاوُزَكَ عَنْ خَطِيئَتِي، وَصَفْحَكَ عَنْ ظُلْمِي، وَسِتْرَكَ عَلَى قَبِيحِ عَمَلِي، وَحِلْمَكَ عَنْ
كَثِيرِ جُرْمي، عِنْدَمَا كَانَ مِنْ خَطَايَ وَعَمْدِي، أَطْمَعَنِي فِي أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَا أَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ،
الَّذِي رَزَقْتَنِي مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَرِزْتَنِي مِنْ قُدْرَتِكَ، وَعَرَفْتَنِي مِنْ إِجَابَتِكَ، فَصِرْتُ أَذْهَوَكَ
أَمِنًا، وَأَسْأَلَكَ مُسْتَأْسَأً، لَا خَافَةً وَلَا وَجَلَ، مُدِلًّا عَلَيْكَ فِيمَا قَصَدْتُ فِيهِ إِلَيْكَ، فَإِنْ أَبْطَأَ
عَنِّي عَتَبْتُ بِجَهْلِي عَلَيْكَ، وَلَعَلَّ الَّذِي أَبْطَأَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لِي، لِعَلِّمَكَ بِعَاقِبَةِ الْأُمُورِ، فَلَمْ
أَرِ مَوْلَى كَرِيمًا أَصْبَرَ عَلَى عَبْدٍ لَنِيمٍ مِنْكَ عَلَيَّ يَا رَبِّ، إِنَّكَ تَدْعُونِي فَأُولِي عَنكَ،
وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَاتَّبَعْتُ إِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلَا أَقْبُلُ مِنْكَ، كَأَنَّ لِي التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ ثُمَّ لَمْ
يَمْتَنِعْكَ ذَلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ لِي، وَالْإِحْسَانِ إِلَيَّ، وَالتَّفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، فَارْحَمْ
عَبْدَكَ الْجَاهِلَ وَجُدْ عَلَيْهِ بِفَضْلِ إِحْسَانِكَ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ الْمُلْكِ،
مُجْرِي الْأَفْئَلِ، مُسَخِّرِ الرِّيحِ، فَالِقِ الْإِصْبَاحِ، دَيَّانِ الدِّينِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ
عَلَى حُلُمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ أَنَاثِهِ فِي
غَضَبِهِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى مَا يُرِيدُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْخَلْقِ، بَاسِطِ الرِّزْقِ، فَالِقِ الْإِصْبَاحِ ذِي
الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَالْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ، الَّذِي بَعْدَ فَلَا يُرَى، وَقَرَّبَ فَشْهَدَ التَّجَوُّى، تَبَارَكَ
وَتَعَالَى، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُنَازِعٌ يُعَادِلُهُ، وَلَا شَيْءٌ يُشَاكِلُهُ، وَلَا ظَهِيرٌ يُعَايِضُهُ، فَهَرَّ
بِعِزَّتِهِ الْأَعْرَاءَ، وَتَوَاضَعَ لِعَظَمَتِهِ الْمُظْمَاءَ قَبْلَ بَقْدَرَتِهِ مَا يَشَاءُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُجِيبُنِي
حِينَ أَنَادِيهِ، وَيَسْتُرْ عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَةٍ وَأَنَا أَغْصِيهِ، وَيُعْظِمُ النِّعْمَةَ عَلَيَّ فَلَا أَجَازِيهِ فَكَمْ مِنْ
مَوْهِبَةٍ هَبْتَهُ قَدْ أَعْطَانِي، وَعَظِيمَةٍ مَخُوفَةٍ قَدْ كَفَانِي، وَبَهْجَةٍ مُؤْنَقَةٍ قَدْ أَرَانِي، فَأُثْنِي عَلَيْهِ
حَامِدًا، وَأَذْكُرُهُ مُسَبِّحًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُهْتَكُ حِجَابُهُ، وَلَا يُغْلَقُ بَابُهُ، وَلَا يَرُدُّ سَائِلُهُ،
وَلَا يُخَيِّبُ أَمَلُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُؤْمِنُ الْخَافِقِينَ، وَتُنَجِّي الصَّالِحِينَ، وَتَرْفَعُ
الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَيَضَعُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَيُهْلِكُ مُلُوكًا وَيَسْتَخْلِفُ آخَرِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

قَاصِمِ الْجَبَّارِينَ، مُبِيرِ الظَّالِمِينَ، مُذْرِكِ الْهَارِبِينَ، نَكَالِ الظَّالِمِينَ، صَرِيخِ الْمُسْتَظْرِعِينَ، مُوَضِّعِ حَاجَاتِ الطَّالِبِينَ، مُعْتَمِدِ الْمُؤْمِنِينَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ خَشْيَتِهِ تَرَعَدَ السَّمَاءُ وَشُكَّاتِهَا، وَتَرْجُفُ الْأَرْضُ وَعُمَارُهَا، وَتَمْوجُ الْبِحَارُ وَمَنْ يَسْبَحُ فِي غَمَرَاتِهَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَخْلُقُ وَلَمْ يَخْلُقْ، وَيَزِدُّ وَلَا يَزِيدُ، وَيُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، وَيُمِيتُ الْأَحْيَاءَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى... الخ^١.

نتائج وآثار حب الله في حياة الإنسان:

لحب الله نتائج وآثار عظيمة في حياة الإنسان:

- ١ - ومن أهمها الإتيان والطاعة، فإن الإنسان إذا أحب الله تعالى يطيع الله ورسوله ويتبعهما بطبيعة الحال، وطاعة الله ورسوله تستتبع حب الله ومغفرته، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^٢.
- ٢ - ومنها أن حب الله تعالى يطهر القلب مما يرين عليه، ومن الأدرا، ومن التعلق بالدينا، فإن حب الله هو العامل الأقوى والأكثر نفوذاً في قلب الإنسان، والعامل الأقوى يصفي العوامل المعاكسة والمضادة.

وقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله:

«حُبُّ اللَّهِ نَارٌ لَا يَمُرُّ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا احْتَرَقَ، وَنُورُ اللَّهِ لَا يَطْلُعُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَضَاءَ»^٣.

فهو نار ونور، يطهر القلب، ويضيئه، ويمنحه النور والبصيرة.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «حُبُّ اللَّهِ إِذَا أَضَاءَ عَلَى سَرَّ عِبْدِ أَخْلَاهُ عَنْ كُلِّ شَاغِلٍ، وَكُلِّ ذِكْرٍ سِوَى اللَّهِ عِنْدَهُ ظِلْمَةٌ، وَالْمَحَبُّ أَخْلَصَ النَّاسَ سَرّاً لِلَّهِ وَأَصْدَقَهُمْ قَوْلاً،

(٢) آل عمران : ٣١.

(١) دعاء الافتتاح، مفاتيح الجنان.

(٣) بحار الأنوار ٧٠ : ٢٣.

وأوفاهم عهداً، وأزكاهم عملاً، وأصفاهم ذكراً، وأعبدتهم نفساً، تتباهى الملائكة عند مناجاته، وتفتخر برويته...^١

٣- ومن نتائج حب الله الذكر، فإن قلب المحب ذاكراً، والقلب الساهي واللاهي لا يدخله الحب، ولا يمكن أن يغفل ويسهو المحب عن حب.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «علامة حب الله تعالى حب ذكر الله، وعلامة بغض الله تعالى بغض ذكر الله عز وجل»^٢.

فإن الإنسان إذا أحب شيئاً ذكره، وإذا أكثر من حب شيء أكثر من ذكره، وإذا لم يحب شيئاً غفل عنه أو تغافل عنه، ومن الذكر قيام الليل، وإطالة السجود، والقيام بين يدي الله، ومداومة العبادة.

وقد روي عن الإمام علي عليه السلام: «القلب المحب لله يحب كثيراً النصب لله، والقلب اللاهي في الله يحب الراحة»^٣.

وروي أنه كان فيما أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام: «كذب من زعم أنه يحبني، فإذا جئته الليل نام عتي، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه؟ ها أنا ذا يا ابن عمران مطلع على أحبائي، إذا جئتهم الليل حوّلت أبصارهم من قلوبهم، ومثلت عقوبيتي بين أعينهم، يخاطبونني وقد جللت عن المشاهدة، ويكلموني وقد عززت عن الحضور»^٤.

٤- ومن نتائج حب الله الرضا بأمر الله، والرضا بأمر الله مرتبة فوق مرتبة التسليم، فإن الإنسان قد يستسلم لأمر وهو غير راض عنه، والرضا بأمر الله وقضائه وقدره من أسمى مراتب أولياء الله.

ففي الدعاء الذي علمه أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد: «اللهم إني أسألك سؤال خاضع متذلّل خاشع، أن تسامحني وترحمني، وتجعلني بقسمك راضياً قانعاً، وفي

(١) بحار الأنوار ٧٠: ٢٣.

(٢) كنز العمال: ح ١٧٧٦.

(٣) تنبيه الخواطر: ٣٢٢.

(٤) لقاء الله، الشيخ جواد ملكي: ١٠١.

جميع الأحوال متواضعاً^١.

وفي الدعاء في زيارة أمين الله: «اللهم فاجعل نفسي مطمئنة بقدرك، راضية بقضائك، مولعة بذكرك ودعائك، محبة لصفوة أوليائك، محبوبة في أرضك وسمائك»^٢.
والرضا بأمر الله من خصائص وتناجح حب الله، فإن الإنسان إذا أحب الله رضي بأمره وقضائه وقدره.

وفيما أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «يا داود من أحب حبيباً صدق قوله، ومن رضي بحبيب رضي فعله، ومن وثق بحبيب اعتمد عليه، ومن اشتاق إلى حبيب جد في السير إليه»^٣.

٥ - ومن نتائج حب العبد لله حب الله للعبد، وهو نتيجة حتمية.
وتشير إلى هذا المعنى الآية الكريمة: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^٤.
وسوف نخص هذه النقطة بالحديث قريباً إن شاء الله.

٦ - ومن نتائج حب الله «الحب في الله والبغض في الله» وهو أثر طبيعي لحب الله، فإن الإنسان إذا أحب شيئاً يحب فيه ويبغض فيه.

وفي النص الآتي نلتقي جملة من آثار ونتائج «حب الله» في حياة الإنسان عن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام: «إن أولي الألباب الذين عملوا بالفكرة حتى ورثوا منه حب الله، فإن حب الله إذا ورثه القلب، واستضاء به أسرع إليه اللطف، فإذا نزل اللطف صار من أهل الفوائد.... فإذا بلغ هذه المنزلة جعل شهوته ومحبهته في خالقه، فإذا فعل ذلك نزل المنزلة الكبرى، فعاين ربه في قلبه، وورث الحكمة بغير ما ورثه الحكماء، وورث العلم بغير ما ورثه العلماء، وورث الصدق بغير ما ورثه الصديقون، إن الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت،

(١) دعاء كميل بن زياد النخعي عن علي عليه السلام: مفاتيح الجنان.

(٢) زيارة أمين الله في مفاتيح الجنان.

(٣) بحار الأنوار ٧٧: ٤٢.

(٤) آل عمران: ٣١.

وإنَّ العلماء ورثوا العلم بالطلب، وإنَّ الصَّديقين ورثوا الصدق بالخشوع وطول العبادة، فمن أخذ بهذه المسيرة إما أن يسفل وإما أن يرفع، وأكثرهم الذي يسفل ولا يرفع إذا لم يرع حق الله، ولم يعمل بما أمر به، فهذه صفة من لم يعرف الله حق معرفته، ولم يحبَّه حق محبَّته، فلا يفرِّقك صلاتهم وصيامهم ورواياتهم وعلومهم، فإنهم حمر مستنفرة^١.

العلاقة التبادلية بين حبِّ الله ونتائجه:

ولا بدَّ هنا من أن نشير إلى حقيقة مهمّة في هذا البحث، وهي أنَّ العلاقة بين حبِّ الله وجملة من النتائج المترتبة على حبِّ الله علاقة تبادلية وجدلية، كلُّ منهما يؤدي إلى الآخر، فإنَّ الحبَّ يؤدي إلى الذكر.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «علامة حبِّ الله، حبُّ ذكر الله والذكر يؤدي إلى الحب»^٢.

عن الامام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أكثر ذكر الله أحبه»^٣.

وحبُّ الله يؤدي إلى تفرغ القلب من الشواغل والتعلُّق بالدنيا.

عن الصادق عليه السلام: «حبُّ الله إذا أضاء على سرِّ عبد أخلاه عن كلِّ شاغل»^٤.

وتفرغ القلب من الشواغل ومن التعلُّق بالدنيا يؤدي إلى حبِّ الله.

عن الصادق عليه السلام: «إذا تخلَّى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حبِّ الله، وكان عند أهل الدنيا كأنَّه قد خولط، وإنَّما خالط القوم حلاوة حبِّ الله فلم يشتغلوا بغيره»^٥.

والحب في الله والبغض في الله من نتائج حب الله، ولكنه في نفس الوقت يؤدي إلى حب الله، فإنَّ من أحب في الله يتأكَّد حبه لله تعالى، ومن أحب الله أحبه الله، ومن أحبه

(١) بحار الأنوار ٧٠: ٢٥ عن مصباح الشريعة المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار: ٩٣: ١٦٠.

(٣) المصدر ٧٣: ٥٦.

(٤) كنز العمال: ح ١٧٧٦.

(٥) المصدر ٧٠: ٢٣.

ولهذه العلاقة التبادلية نظائر كثيرة في الثقافة الإسلامية، وهي تسير العبد في خطّ تصاعدي إلى الله، فإنّ الذكر يكرّس الحب، والحب يكرّس الذكر مثلاً، وهكذا يتضاعف (الحب) و(الذكر) في هذه العلاقة التبادليّة باتجاه القرب إلى الله.

تبادل الحبّ بين الله تعالى وعبده

تحدّثنا عن العلاقة المتبادلة بين حبّ الله لعباده وحب العبد لله، وذكرنا أنّ هذه العلاقة متبادلة، وكلّ منهما يؤدي إلى الآخر، وبالتالي تكون منطقاً لحركة تصاعدية إلى الله في حياة الإنسان.

والقرآن الكريم يذكر هذا الحب المتبادل بين الله وعباده في سورة المائدة، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^١.

والعلاقة بين هذا الحب وذاك (حب الله لعبده، وحب العبد لله) علاقة تبادلية، وإذا أراد الإنسان أن يعرف حبّ الله تعالى له، فلينظر إلى نفسه، فهي مرآة ومقياس دقيق يستطيع الإنسان أن يعرف بها منزلته عند الله تعالى، وحب الله تعالى له.

روي عن الصادق عليه السلام: «من أحب أن يعلم ما له عند الله، فليعلم ما لله عنده»^٢. وروي عنه عليه السلام: «من أراد أن يعرف كيف منزلته عند الله، فليعرف كيف منزلة الله عنده، فإنّ الله ينزل العبد مثل ما ينزل العبد الله من نفسه»^٣.

وعن الإمام علي عليه السلام: «من أراد منكم أن يعلم كيف منزلته عند الله، فلينظر كيف

(٢) بحار الأنوار ٧٠: ١٨.

(١) المائدة: ٥٤.

(٣) المصدر ٧١: ١٥٦، وهذا التماثل في النسبة وليس في الكم.

منزلة الله منه عند الذنوب كذلك منزلته عند الله تبارك وتعالى^(١).

وعنه عليه السلام أيضاً: «من أحب أن يعلم كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن كل من خیر له أمران: أمر الدنيا وأمر الآخرة، فاختار أمر الآخرة على الدنيا فذلك الذي يحب الله، ومن اختار أمر الدنيا فذلك الذي لا منزلة لله عنده»^(٢).

وفي النص التالي نلتقي صورة معتبرة ودقيقة للعلاقة المتبادلة بين الله تعالى وعبد، وما أكرم الله تعالى عباده به من قرب به وجبه وجواره وفضله إذا أقبلوا عليه، وأحبوه وطلبوه. ونجد صورة رائعة من كرم الربوبية وسعة رحمته، وفضله، وعطائه الجم، تبارك وتعالى في هذا النص: «كان فيما أوحى الله تعالى إلى داود: يا داود أبلغ أهل أرضي أنني حبيب من أحبني، وجليس من جالسي، ومؤنس لمن أنس بذكري، وصاحب لمن صاحبني،... ما أحبني أحد أعلم ذلك يقيناً من قلبه إلا قبلته لنفسي، وأحبته حباً لا يتقدمه أحد من خلقي، من طلبني بالحق وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني، فارفضوا يا أهل الأرض ما أتمم عليه من غرورها، واهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي ومؤانستي، وأنسوني أو نسكم وأسارع إلى محبتكم»^(٣).

إذا أحب الله عبداً

وإذا أحب الله تعالى عبداً فتح عليه خزائن رحمته، ورزقه من فضله ورحمته في الدنيا والآخرة من غير حساب، وفتح قلبه على معرفته، ورزقه الإيمان والبصيرة واليقين والحب، وأولاه إليه وشوقه إلى جنبه، وأنسه بحضرته وأشرب قلبه حبه، وأدناه وقربه، وأعطاه رضاه، ورضوان الله أكبر.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أحب الله عبداً ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقهه في

(٢) المصدر ٧٠ : ٢٥.

(١) بحار الأنوار ٧٠ : ١٨.

(٣) المصدر ٧٠ : ٢٦.

الدين، وقواه باليقين، فاكتمى بالكفاف، واكتسى بالعفاف، وإذا أبغض الله عبداً حبَّب إليه المال، وبسط له، وألهمه ديناه، ووكله الى هواه، فركب العناد، وبسط الفساد، وظلم العباد^١.
وعن الإمام علي عليه السلام: «إذا أحب الله عبداً ألهمه حسن العباد»^٢.
وعنه عليه السلام: «إذا أحب الله عبداً حبَّب إليه الأمانة»^٣.
وعنه عليه السلام أيضاً: «إذا أحب الله عبداً زينه بالسكينة والحلم»^٤.
وعنه عليه السلام أيضاً: «إذا أحب الله عبداً ألهمه الصدق»^٥.
وعنه عليه السلام أيضاً: «إذا أحب الله عبداً ألهمه رشده ووفقه لطاعته»^٦.
وعنه عليه السلام أيضاً: «إذا أحب الله عبداً خطر عليه العلم»^٧.
وعنه عليه السلام أيضاً: «إذا أحب الله عبداً بَغَضَ إليه المال، وقَصَرَ عنه الآمال»^٨.
وعنه عليه السلام أيضاً: «إذا أحب الله عبداً رزقه قلباً سليماً، وخلقاً قوياً»^٩.

كيف نتحبَّب الى الله؟

ذكرنا قبل هذا أَنَّ الله تعالى يتحبب الى عباده «تتحبب إلينا بالنعم، ونعارضك بالذنوب»
ومن شقاء العبد ويؤسه أن يتحبب الله تعالى اليه، وهو الغني عن عباده، ولا يتحبب العبد
إلى مولاه، وهو الفقير إليه عزَّ شأنه.

إذن تتساءل كيف يتحبب العبد إلى ربه؟

يبين أيدينا نص من الحديث القدسي بالغ الأهمية، وقد استفاضت رواية هذا النص
عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن طريق ثقات المحدثين. ولست أشك في صحة رواية

(١) بحار الأنوار ١٠٣: ٢٦.

(٢) غرر الحكم للأمدى.

(٣) غرر الحكم للأمدى.

(٤) غرر الحكم للأمدى.

(٥) غرر الحكم للأمدى.

(٦) غرر الحكم للأمدى.

(٧) غرر الحكم للأمدى.

(٨) غرر الحكم للأمدى.

(٩) غرر الحكم للأمدى.

(٢) غرر الحكم للأمدى.

(٤) غرر الحكم للأمدى.

(٦) غرر الحكم للأمدى.

(٨) غرر الحكم للأمدى.

هذا الحديث القدسي عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله، نظراً لتواتر روايته في كتب الفريقين المعتمدة. وهذا النص يوضح لنا كيف تتحجب إلى الله. وإليك النص برواية البرقي عن الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو بعض طرق هذا النص: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تعالى: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه»، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذته، وما ترددت في شيء أنا فاعله كترددني في قبض نفس المؤمن يكره الموت، وأكره مساءته»^(١).

وهذا النص يتضمن مجموعة من النقاط، نشير إليها إجمالاً:
وأولى هذه النقاط: أن أكثر وأبلغ ما يتقرب به العبد، ويتحجب به إلى الله هو الفرائض. وهذه خصوصية للفرائض من صلاة، وصوم، وحج، وزكاة، وخمس، وما عدا ذلك من الفرائض، لا توجد في غيرها.
والنقطة الأخرى دور (النافلة) في تقريب العبد إلى الله، وتحبيبه إليه، وهو يأتي في سلسلة أسباب القرب والحب، بعد دور (الفريضة).

ولا يزال العبد يواظب على (التوافل)، ويستمر عليها حتى يحبه الله.
والنقطة الثالثة في هذا النص عن نتائج وآثار حب الله تعالى لعبده. «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به» ولا ينال هذه المرتبة من الرزق إلا ذو حظ عظيم عند الله، فيكون الله عينه التي بها يبصر، ولسانه الذي به ينطق، ويده التي بها يبطش. ومن يكون الله عينه التي بها يبصر، كانت لعينه بصيرة نقّاذة لا تخطئ ولا تزيف، ومن يكن الله تعالى لسانه الذي به ينطق، فلا يقول إلا الحق، ولا يتحرك لسانه في لغو أو باطل، ولا يفتر لسانه عن

(١) منتخب الأحاديث القدسية: ٤٨ ط: منظمة الإعلام الإسلامي.

(٢) ونحيل تفصيل القول فيها إلى رسالة خاصة بهذا الموضوع كتبناها في شرح هذا الحديث الشريف قبل سنين، لعل الله تعالى يوفقني لإعدادها للنشر.

ذكر الله، ومن يكن الله يده التي بها يبطش، فلا يُغلب ولا يُقهر، ومن يكن الله تعالى سمعه الذي به يسمع، وعينه التي بها يبصر، فلا يلتبس عليه الحق بالباطل، ويرى الحق حقاً، ويرى الباطل باطلاً، ويسمع الكلام، فيميز حقه من باطله، وصدقه من كذبه، وهذاه من ضلاله، ويرى الناس فيميز المؤمنين منهم عن المنافقين، والصادقين عن الكاذبين، ويسير في حياته كلها بنور الله وهديه، وهدايته ودلالته، فلا يضل ولا يضل.

والنقطة الرابعة في هذا الحديث الشريف استجابة الله تعالى لدعائهم «إذا دعاني أجبت، وإذا سألتني أعطيت».

وفي أولياء الله وعباده الصالحين من لا يرد الله تعالى لهم دعاءً، ولا يخيب لهم ظناً، ولا يكلهم لأنفسهم طرفة عين، يعصمهم ويسددهم، يأخذ بأيديهم، ويمنحهم البصيرة والهدى، ويسيرهم على صراطه المستقيم، ويملا قلوبهم نوراً وهدى... أولئك الذين يحبون الله فيحبهم الله.

حُجُبُ الحُبِّ وموانعه

تحدثنا عن أسباب حب الله، وموجباته وآثاره، ونتائجه في حياة الإنسان. ومن الحق أن نتحدث إلى جنب ذلك عن الموانع والحجب التي تحجب قلب العبد عن حب الله تعالى ليستطيع الإنسان أن يتلافها ويتجنبها. وأهم حجابين يحجبان القلب عن حب الله تعالى هما الذنوب والمعاصي التي ترين على القلب أولاً، وحب الدنيا والتعلق بها ثانياً. أما الذنوب والمعاصي فإنها ترين على القلب، وتفقد نقاءه وصفاءه وشفافيته، وتكدّر القلب وتعكره.

يقول تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^١.

وإن الإنسان ليذنب الذنب، فيكون الذنب نقطة سوداء في قلبه، فإذا واصل المعصية،

ولم يتب ولم يقلع عن الذنب اتسعت هذه النقطة السوداء حتى تشمل القلب كله، ويفقد القلب نقاءه وشفافيته، وهو أثر تكويني للذنب غير الذي توعد الله تعالى المذنبين من عقاب وعذاب في الآخرة.

روى ابن أبي عمير عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «ما أحب الله عز وجل من عصاه».

ثم تمثّل فقال:

تعصي الإله وأنت تُظهر حبه هذا محال في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع^١

والحجاب الآخر الذي يحجب حب الله عن قلب العبد هو حب الدنيا والتعلق بها، فإن الله تعالى لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾^٢، فإذا خلا القلب لله تعالى أقبل العبد على حب الله بكل قلبه، وتفرغ القلب لحب الله، وإذا شغله شاغل من هم أو حب أو تعلق بشأن من شؤون الدنيا انصرف بمقداره عن حب الله، فإذا انصرف قلب الانسان الى الدنيا، وشغلتها شواغل الدنيا وهمومها، انسلخ بشكل كامل عن حب الله، وفقد لذة حب الله، وتبدد وأصبح لا يتذوق حلاوة حب الله وذكره.

والى هذا المعنى تشير النصوص الإسلامية، وفيما يلي نذكر طائفة من هذه النصوص:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «حب الدنيا وحب الله لا يجتمعان في قلب أبداً»^٣.
روي أنه قيل لعيسى بن مريم عليه السلام: علمنا عملاً واحداً يحبنا الله عليه، قال: «أبغضوا الدنيا يحبكم الله»^٤.

(١) أمالي الصدوق: ٢٩٣، ط: الحجرية.

(٢) تنبيه الخواطر: ٣٦٢.

(٣) الأحزاب: ٤.

(٤) بحار الأنوار: ١٤: ٣٢٨.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إذا تخلّى المؤمن من الدنيا سماً، ووجد حلاوة حب الله، وكان عند أهل الدنيا كأنه قد خولط، وإنما خالط القوم حلاوة حب الله، فلم يشتغلوا بغيره»^١.

والتعبير في الحديث دقيق، فإنّ حب الدنيا يفقد الإنسان الإحساس بحلاوة حب الله، ومن فقد الإحساس بحلاوة حب الله، لم يقبل قلبه على حب الله، ومن أخلى قلبه من حب الدنيا، وجد حلاوة حب الله.

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «كيف يدّعي حب الله من سكن على حب الدنيا»^٢.
وعنه عليه السلام أيضاً: «كما أنّ الشمس والليل لا يجتمعان، كذلك حبّ الله وحب الدنيا لا يجتمعان»^٣.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «والله ما أحبّ الله من أحب الدنيا ووالى غيرنا»^٤.
وعن الإمام عليّ عليه السلام: «من أحب لقاء الله سلا عن الدنيا»^٥.
وعنه عليه السلام أيضاً: «إن كنتم تحبون الله فأخرجوا من قلوبكم حبّ الدنيا»^٦.
وقد ورد في الدعاء كثيراً التضرّع الى الله تعالى أن يخرج الله حبّ الدنيا من قلب العبد، ففي دعاء الأسحار للإمام زين العابدين عليه السلام:

«سَيِّدِي أخرج حبّ الدنيا من قلبي، واجمع بيني وبين المصطفى وآله، وانقلني الى درجة التوبة اليك، وأعني بالبكاء على نفسي، فقد أفنيت بالتسويق والآمال عمري»^٧.
نسأل الله تعالى أن يرزقنا حبّه وحبّ من يحبه وأن يخرج حبّ الدنيا من قلوبنا، ويرزقنا الزهد فيها، وحبّ رسوله المصطفى وآله الطاهرين صلواته عليهم أجمعين.

(١) أصول الكافي ٢: ١٣.

(٢) غرر الحكم.

(٣) غرر الحكم.

(٤) بحار الأنوار ٧٨: ٢٢٦.

(٥) غرر الحكم.

(٦) غرر الحكم.

(٧) من دعائه عليه السلام برواية أبي حمزة الثمالي في مفاتيح الجنان، في أعمال شهر رمضان، أدعية السحر.

الكتاب الخامس

المؤلف: أحمد بن محمد بن خالد البرقي.

عدد الاجزاء: جزءان.

الناشر: المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

إعداد: الشيخ مجتبى المحمودي

قام المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بطبع وإخراج الأثر القيم وهو كتاب المحاسن للبرقي. ونظراً لأهمية الكتاب الفاتقة ومكانته التراثية أثرنا عرض تعريف موجز عن الكتاب ومؤلفه الجليل ليقف القارئ الكريم على أصالة الكتاب وتعدّد جوانبه.

مؤلف الكتاب

هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي البرقي المتوفى سنة ٢٨٠ للهجرة أو ما يقاربها. أصله كوفي. قتل يوسف بن عمر -والي العراق- جده محمد بن علي بعد قتل زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام، فهرب خالد وهو صغير مع أبيه عبد الرحمن إلى برق روذ -قرية في سواد قم- على وإد هناك يعرف بذلك، فتنسبوا إليها. وهم أهل بيت علم وفقه وحديث وأدب.

للمؤلف كتب ورسائل كثيرة جلّها داخل في موسوعته الكبيرة وهي كتاب المحاسن. قال النجاشي: وصنّف كتباً منها المحاسن وغيرها، وقد زيد في المحاسن ونقص، يقصد بذلك الزيادة والنقصان في الاجزاء والكتب المتكوّنة منها المحاسن.

وكتاب المحاسن من أجل الكتب والاصول المعتمدة عند العلماء والمحدثين. وقد اعتمد عليه الرواة ومشايخ الحديث. قال العلامة المجلسي في مقدمة البحار: وكتاب المحاسن للبرقي من الاصول المعتمدة. وقد نقل عنه الكليني وكل من تأخّر عنه من المؤلفين.

الكتاب بجزيئه يحتوي على أحد عشر كتاباً، ويتضمّن كل كتاب أبواباً عديدة، ويبلغ عدد أحاديث الكتاب ٢٧٠٥ حديثاً حسب ترقيم محقق الكتاب.

وأهم الكتب والابواب التي نستعرضها من الكتاب ما يلي:

١ - كتاب القرائن: وفيه السنن والحكم المرتبة حسب الاعداد. فيبدأ بباب الثلاثة وينتهي إلى باب العشرة. كما ويذكر فيه فضل قول الخير ووصايا النبي وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

٢ - كتاب ثواب الاعمال: يتألّف هذا الكتاب من أبواب مختلفة تبيّن ثواب الاعمال العباديّة كالطهر والصلاة والحج وغيرها، وفيها الاحاديث عن ثواب الاذكار المختلفة. وهناك عناوين متفرقة مثل ثواب من بلغه شيء فعمل به طالباً بذلك الثواب، وثواب التفكّر في الله.

ولا ريب في أنّ هذه الروايات من أكبر المحفّزات على الطاعات وأعمال الخير بدرجة لا يضاهيها أي دافع آخر. وقد جاء في باب صلة آل محمد عليهم السلام عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين فينادي مناد: من كانت له عند رسول الله يد فليقم، فيقوم عنق من الناس فيقول: ما كانت أياديكم عند

رسول الله؟ فيقولون: كنّا نصل أهل بيته من بعده، فيقال لهم: اذهبوا فطوفوا في الناس، فمن كانت له عندكم يد فخذوا بيده فأدخلوه الجنة. ١: ١٣٦.

٣ - كتاب عقاب الاعمال: أدرج المؤلف في هذا الكتاب الاحاديث عن عقاب الاعمال، وهو على أقسام مختلفة منها: عقاب ترك الطاعات والفرائض، وعقاب التهاون بالفرائض، وعقاب الذنوب ومساوئ الاعمال والسلوك.

وهذا كسابقه يعدّ من أفضل الوسائل لمنع المؤمن عن انتهاك حرّات الله، والسقوط في هاوية الشقاء. وتتضمّن هذا الكتاب أحاديث حول عقاب المنكرين لآل محمد عليهم السلام، وعقاب من لم يعرف إمامه، وعقاب من اتّخذ إمام جور. وجاء في هذا الاخير الحديث عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: أربع من قواصم الظهر، منها إمام يعصي الله ويطاع أمره: ١: ١٨٧.

٤ - كتاب الصفوة: أورد المؤلف في هذا الكتاب الاخبار الثابتة حول موضوع ولاية أهل البيت عليهم السلام. منها ما يتعلّق بضرورة المعرفة بالامام، وفرض المودة في قريبي النبي صلى الله عليه وآله، واصطفاء المؤمنين بولاية أهل البيت عليهم السلام وتمسّكهم بعصمة الهداية والنجاة دون سائر أهل الاهواء والآراء. وكذا فضل الموالاتة في الله تعالى والمعاداة فيه.

هذه الاحاديث الشريفة تزيد المؤمن بصيرة ونوراً واطمئناناً في عقيدته وسلوكه ومصيره. فقد جاء في باب الاهواء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما أحد أحبّ إليّ منكم، إن الناس سلكوا سبلاً شتّى، منهم من أخذ بهواه، ومنهم من أخذ برأيه، وإنكم أخذتم بأمر له أصل. ١: ٢٥٥.

٥ - كتاب مصابيح الظلم: أدرج البرقي في هذا الكتاب المصاييح التي جعلها الله سبحانه في سبيل هداية الانسان، منها العقل وإنه أحبّ ما خلق الله تعالى إليه، وإنّ العبد يثاب بالعقل ويعاقب به.

كما ويخصّص المؤلف أبواباً عديدة في هذا الكتاب يذكر فيها الاحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام حول المعالم التي وضعوها في طريق العمل والدعوة إلى الله، ونذكر نماذج منها:

- ١- النهي عن القول والفتيا بغير علم.
- ٢- النهي عن البدعة في الدين، وأن البدعة هي الضلالة والضلالة سبيلها إلى النار.
- ٣- النهي عن العمل بالرأي والمقاييس في الدين، وأن دين الله لا يصاب بالمقاييس.
- ٤- لزوم التثبت في الدين والوقوف في الشبهات، فإن الوقوف في الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات.
- ٥- القرآن هو الفصل، فيجب عرض الاحاديث المنقولة على القرآن. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما أتاكم عنا من حديث لا يصدقه القرآن فهو باطل».
- ٦- لزوم موافقة السنة المعصومة.
- ٧- فرض طلب العلم. عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اغد عالماً أو متعلماً وإياك أن تكون لاهياً». ١: ٣٥٥.
- ٨- لزوم أخذ الحق ولو من أهل الباطل.
- ٩- لزوم إظهار الحق. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا ظهرت البدعة في أمتي فليظهر العالم علمه، فإن لم يفعل فعليه لعنة الله». ١: ٣٦١.
- ١٠- القرآن تبيان كل شيء.
- ١١- لزوم تصديق الرسول صلى الله عليه وآله والتسليم له. عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قال: «الصلاة عليه، والتسليم له. في كل شيء جاء به». ١: ٤٢٢.
- ١٢- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

١٣ - فضيلة الصبر واليقين في الدين.

١٤ - فضل الاخلاص في العمل.

١٥ - فضل الإغضاء والمداراة، فإنهما أوقع في نفوس الناس وأنفع في هدايتهم.

١٦ - تحديد الدين. قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن للدين حداً كحدود بيتي هذا». وأوماً

بيده إلى جدار فيه. ٤٢٤: ١.

كما إنَّ هناك أبواباً أخرى مختلفة حول الشرائع والمستحبات والمكروهات. وجوامع من التوحيد والاستطاعة والاجبار والتفويض.

٦ - كتاب العلل: ويذكر فيه الروايات التي تتحدّث عن علل الاحكام الشرعية، وكذا القضايا الدينية مما يتعلّق بجوانب مختلفة. وهناك العديد من هذه الاحاديث المنقولة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في باب الصلاة والديّات والحدود والزّواج والمدة والحج وغيرها.

وهذا مما يثبت أن الاحكام الشرعية كلّها تبتني على حكم ومصالح واقعية، وإن لم يدرك كل الناس جميعها. وقد بيّن الأئمة عليهم السلام بعض الجوانب في هذا المجال. لاحظ الرواية المنقولة عن هشام بن سالم قال: قال ابن أبي العوجاء للأحول: ما بال المرأة الضعيفة لها سهم واحد وللرجل القوي الموسر سهمان؟ فذكرت ذلك لأبي عبد الله عليه السلام فقال: «إن المرأة ليس عليها عاقلة ولا نفقة ولا جهاد، وعدّد أشياء من نحو هذا، وهذا على الرجل، فلذلك جعل للرجل سهمان وللمرأة سهم». ٥٤: ٢.

٧ - كتاب السفر: وفيه كل ما يرتبط بالسفر من مقدّمات وآداب وشروط ممّا لا يستغني عنه الذي يسافر، ونذكر فيما يلي أهم ما تضمّنه الكتاب: فضل السفر، الاوقات المناسبة للسفر، ما يبتدأ به السفر من أدعية وأذكار وغيرها، حقّ الصاحب في السفر، ما يحمل المسافر معه، ارشاد الضال عن الطريق.

وقد ذكر في باب الاصحاب من الكتاب حديثاً عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم

السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجراً وأحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه». ١٠٢: ٢.

٨- كتاب المآكل: وقد جمع فيه الاحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام حول الطعام في جوانب عديدة. فمنها ما يتعلق بالطعام وفضله، واجتماع الايدي على الطعام، وفضل إجابة الدعوة. ومنها ما يرتبط بأداب الطعام كالوضوء قبل الطعام، والتسمية والدعاء لصاحب الطعام، والتواضع في الأكل، والاقتصاد في المأكل والمشرَب، وكراهة الأكل والشرب بالشمال، والأكل متكئاً وماشياً، وما إلى ذلك. وعقد أبواباً في الاطعمة المختلفة وفوائدها، وختم الكتاب ببعض ما يتعلق بخاتمة الأكل كالخلال والسواك.

٩- كتاب المياه: وفيه الكثير من الاحاديث الواردة حول الماء، وخصّص المؤلف أبواباً مختلفة حول الموضوع، وأهمها ما يلي: فضل الماء، فضل ماء زمزم وماء السماء، وماء الميزاب وماء الفرات. النهي عن إكثار شرب الماء. آداب شرب الماء، كالذكر عند شرب الماء، وشرب الماء وقوفاً، وشربه ثلاثة أنفاس، وغيرها. المياه المنهي عن شربها، النهي عن آنية الذهب والفضة. وقد نقل في هذا الباب الحديث عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قوله: «آنية الذهب والفضة متاع الذين لا يوقنون». ٤١١: ٢.

وقد عقد في نفس الكتاب أبواباً مختلفة حول الخبز وفضله، وكذا الملح.

١٠- كتاب المنافع: وفيه الابواب التالية:

باب الاستخارة: وفيه الاحاديث التي تحضّ المؤمن على أن يستخير الله في أعماله، ويسأله الخير في جميع أموره. وهناك روايات تتضمن الادعية المناسبة عند الاستخارة. باب الاستشارة: وفيه الحث على الاستشارة والشروط التي يجب أن تكون متوفرة في المستشار.

باب القرعة، باب كتمان الوجد، باب قبول النصيح، وجاء في هذا الاخير الحديث عن

أبي جعفر عليه السلام قال: «أتبع من يبيحك وهو لك ناصح ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش، وستردون على الله جميعاً فتعلمون». ٤٤٠ : ٢.

١١ - كتاب المرافق: وهذا هو الكتاب الأخير الذي حواه المحاسن بين دفتيه، ويتضمن الأحاديث الشريفة حول المرافق، وإرشاد المرء المسلم إلى الأصول الأخلاقية في اتخاذ الدار والسكن، وذلك من جهات مختلفة. فالبعض ينص على ضرورة الاكتفاء بقدر الحاجة في بناء المسكن، كما وإن البعض منها تعدّ سعة الدار من سعادة الإنسان. ولا تنافض بينهما. فإنّ السعة في الدار لا تعني الفخامة والتجاوز في البناء، والبعض الآخر يتحدث عن اتخاذ أئمة أهل البيت عليهم السلام المسجد في دارهم. والقسم الآخر ينهى عن تزويق البيوت ووضع التصاوير فيها. ويتضمن كذلك الأحاديث الآمرة بتحجير السطوح، وتنهى عن البيوتة على سطح غير محجّر، والقسم الأخير منها يأمر بتنظيف البيوت والأفنية.

كما وإنّ الكتاب يشتمل على أبواب متفرقة في الدواب والمراكب وما يناسبها، وبعض عناوينها كالآتي: باب رابطة الدابة والركوب. باب فضل الخيل وارتباطها. باب الأبل. باب الغنم.

تحقيق الكتاب

مرّ الكتاب من بداية العمل التحقيقي إلى نهاية الإخراج بمراحل مختلفة:

١ - قوبل الكتاب مع إحدى عشرة نسخة من كتاب المحاسن، منها عشر نسخ مخطوطة محفوظة في خزانات المكتبات المختلفة، ونسخة منها المطبوعة.

٢ - تسجيل موارد الاختلاف بين النسخ المعتمدة.

٣ - تخريج الآيات الكريمة.

٤ - يعدّ المحاسن من المصادر الرئيسية لكتاب بحار الأنوار، ولذا فقد حاول المحقق

استخراج الاحاديث من بحار الانوار وغيره.

وختاماً نشكر الاخوة الكرام السيد محسن الاميني والسيد محمد جواد الجلالى اللذين بادرا بتحقيق هذا الاثر القيم، والاخ السيد مهدي الرجائي الذي أتمّ التحقيق وقام بالمراجعة النهائية للكتاب، والسيد مهدي الحكيم الذي أخرج الكتاب بالصورة الانيقة الجيدة، والمسؤولين في إدارة المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام على ما بذلوه من جهود في سبيل إصدار هذا الكتاب.

نسأل الله العلي العزيز التوفيق والسداد للجميع، إنّه خير مجيب.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (ع) :

«إِيَّاكَ أَنْ تُحْمَلَ حَقَّ أَخِيكَ أَيْكَاكَ
عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَلَيْسَ لَكَ
بِأَخِيكَ أَضَعْتَ حَقَّهُ»

غفر الله له : الترمذي

أَصُولُ السَّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَنَظَرَاتُهَا فِي الْقَرْنَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي

للشيخ محمد هادي الموسوي

لا شك في الأهمية الكبرى التي كانت لأقوال النبي صلى الله عليه وآله وأعماله في حياته، وأكثر منها بعد وفاته.

ومن الطبيعي أن تورث هذه الأهمية عناية بتدوين تفاصيل حياته وجمع الأخبار والأحاديث عنه صلى الله عليه وآله، وطبعي أيضاً أن تكون القصص الشعبية عن سيرته موجودة في حياته، معتنى بها - كحال الناس في العناية بقصص الأنبياء من قبل - و طبيعي أن يكون بعض الصحابة قد تفوق على أقرانه في علمه بسيرته ومغازيه.

كتاب السيرة الأوائل:

إن أول من صنف فيها هو عروة بن الزبير بن العوام (ت ٩٢ هـ) وذكر ابن سعد في كتابه «الطبقات» ما يفيد: إن أول من تخصص فيها هو أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥ هـ)، روى بعضها عنه المغيرة بن عبد الرحمن. ثم تنبه إلى جمع أخبارها والتحديث بها وهب بن منبه اليماني (ت ١١٠ هـ) ثم عاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠ هـ) الذي يروي عنه ابن اسحاق بعض أخبار سيرته - كخبره عن دعاء النبي للإستسقاء في طريق تبوك، وكثرة النفاق - ثم شرحبيل بن سعد الشامي (ت ١٢٣ هـ) ثم عبد الله بن أبي بكر بن حزم القاضي (ت ١٣٥ هـ) الذي طلب منه عمر بن عبد العزيز أن يكتب إليه

ما عنده من الأحاديث فنشرها بين الناس. ثم موسى بن عَقبة (ت ١٤١ هـ) ثم مَعمر بن راشد (ت ١٥٠ هـ) ثم مُحَمَّد بن إِسحاق بن يسار المدني - وقيل بشار - بن خيار من سبي عين تَمَر بالعراق (ت ١٥٣ هـ) ثم راويته زياد بن عبد الملك البَكائي الكوفي العامري (ت ١٨٣ هـ) ثم مُحَمَّد بن عمر بن واقد المعروف بالواقدي صاحب كتاب المغازي (ت ٢٠٧ هـ) ثم راوية ابن زياد البَكائي عن ابن إِسحاق: عبد الملك بن هشام الجَميري اليميني البصري (ت ٢١٨ هـ).

ولم يصلنا من كُتب هؤلاء شيء سوى سيرة ابن إِسحاق برواية ابن هشام عن البَكائي عن ابن إِسحاق، ومغازي الواقدي، اللهمَّ إلا روايات في طَيِّبات أُمّهات المصادر التاريخية فيما بعد.

المؤرّخون الأوائل:

والى جانب هؤلاء ظهر مَنْ لم يقتصر على أخبار سيرة الرسول صلى الله عليه وآله، بل جمع إليها أخبار الجاهليّة قبل الإسلام، ثم أخبار الخلفاء بعده، أو جمع أخبار بعض الخلفاء، أو الأئمة من أهل البيت عليهم السلام فقط، فكانوا مؤرّخين بالمعنى العام. منهم: مُحَمَّد بن السائب الكلبي الكوفي النساب (ت ١٤٦ هـ) وأبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي الكوفي (ت ١٥٧ هـ) وهشام بن مُحَمَّد الكلبي الكوفي (ت ٢٠٦ هـ) ونصر بن مزاحم المنقري الكوفي (ت ٢١٢ هـ) وعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٤ هـ) وأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) وإبراهيم بن مُحَمَّد الثقفي الكوفي الاصبهاني (ت ٢٨٣ هـ) وأبو الفرج علي بن الحسين الأموي الاصبهاني (ت ٢٨٤ هـ) وأحمد بن واضح بن يعقوب البغدادي (ت ٢٩٢ هـ) ومُحمَّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) وعلي بن الحسين المسعودي البغدادي (ت ٣٤٦ هـ) ومُحمَّد بن مُحَمَّد بن الثيمان التَّلُكبري المفيد (ت ٤١٣ هـ).

الأثر الباقي في السيرة:

عرفنا أنَّ الكتابة في سيرة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله كانت قد حصلت في التابعين وتابعي التابعين، كما رأينا قائمة أسمائهم وتواريخ وفياتهم، ولكنها لم تكن كثيرة، بل هي مهما أطلنا الحديث عنها كانت قليلة جداً، لا تعدو أن تكون صُحفاً فيها بعض الأخبار عن سيرة المختار صَلَّى الله عليه وآله.

أما الكتاب الذي كتبت له الموقِّعة والنجاح وشهرة الإعتماد والوثوق فهو سيرة محمد بن إسحاق، التي ألفتها في أوائل أيام العباسيين.

يروون أنَّه دخل يوماً على المنصور وبين يديه ابنه المهدي، فقال له المنصور: أتعرف هذا يا ابن إسحاق؟ قال: نعم، هذا ابن أمير المؤمنين: فقال: اذهب فصنّف له كتاباً منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى يومنا هذا. فذهب ابن إسحاق فصنّف له الكتاب وأتاه به فلما رآه قال: لقد طوّله يا ابن إسحاق فاذهب فاختره. فاختره، وألقى الكتاب الكبير في خزانة الخليفة.

وفي هذا المعنى روي عن ابن عديّ الرجاليّ المعروف أنَّه كان يقول في ابن إسحاق: «لو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلّا أنَّه صرف الملوك عن الإشتغال بكتب لا يحصل منها شيء للإشتغال بمغازي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ومبعثه ومبتدأ الخلق لكانت هذه فضيلة سبق بها ابن إسحاق، وقد فتّشت أحاديثه الكثيرة فلم أجد ما تهين أن يقطع عليه بالضعف، ورُبّما أخطأ وأنّهم في الشيء كما يخطئ غيره. ولم يتخلّف في الرواية عنه الثقات والأئمة الأثبات، أخرج له مسلم في المبيعات، واستشهد به البخاري في مواضع، وروى له أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة».

ثم أصبح ابن إسحاق في الحقيقة عمدة المؤلفين في السيرة، فما من كاتب في السيرة إلّا وهو مستمدّ منه وراوٍ عنه، اللهم إلّا ما نأتي عليه من مغازي الواقدي ورواية كاتبه ابن سعد عنه، وما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكذلك أصبح كتاب ابن

إسحاق عمدة الكتب في السيرة لقرائها منذ أن كتبه إلى يومنا هذا - ولا سيما بعد تهذيبها من قبل ابن هشام - بحيث أنك لا تكاد تجد رجلاً يدرس سيرة الرسول الكريم إلا وكتاب ابن إسحاق كتابه الأول والأم في ذلك.

عمل ابن هشام في سيرة ابن إسحاق:

وقد جاء بعده عبد الملك بن هشام الحميري البصري (ت ٢١٨ هـ) بنصف قرن تقريباً، فروى سيرة ابن إسحاق برواية زياد بن عبد الملك البكائي العامري الكوفي (ت ١٨٣ هـ) ولكنه لم يروها كما هي بل تناولها بكثير من التمرير والإختصار والإضافة والنقد أحياناً، والمعارضة بروايات أخر لغيره، عبّر عن أعماله هذه بقوله في صدر سيرته: «وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم، ومن ولد رسول الله من ولده، أولادهم لأصلابهم الأول فالأول من إسماعيل إلى رسول الله، وما يعرض من حديثهم - وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل للإختصار - إلى حديث سيرة رسول الله. وتارك بعض ما يذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شيء. وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيراً له ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الإختصار، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به (!) وبعض يسوء بعض الناس ذكره (!) وبعض لم يُقر لنا البكائي بروايته (!) ومُسْتَقْص - إن شاء الله تعالى - ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به»^١.

إذاً فقد أسقط ابن هشام من عمل ابن إسحاق: تأريخ الأنبياء من آدم إلى إبراهيم، ومن ولد إسماعيل من ليس في عمود النسب النبوي الشريف، كما حذف من الأخبار ما يسوء بعض الناس! ومن الشعر ما لم يثبت لديه. ولكنه زاد فيه مما ثبت لديه من رواية، ولذلك تُسببت السيرة إليه وعُرفت به، حتّى لا يكاد يذكر ابن إسحاق معه، فقد عُرفت

(١) سيرة ابن هشام ٤: ١.

سيرة ابن إسحاق بين العلماء منذ عهد بعيد باسم سيرة ابن هشام، لما له فيها من رواية وتهذيب، وبهذا الصدد قال ابن خلكان في ترجمة ابن هشام: «وابن هشام هذا هو الذي جمع سيرة رسول الله من المغازي والسير لابن إسحاق وهذبها ولخصها، وهي السيرة الموجودة بأيدي الناس المعروفة بسيرة ابن هشام».

ولم تنقطع العناية بالتأليف في السيرة إلى يومنا هذا، إلا أن الموضوع في ذاته ليس أمراً يقوم على التجارب، أو فكرة يقيمها برهان وينقضها برهان، شأن النظريات العلمية التي نرى تجديدها وتغييرها على مر السنين، وإنما هو من العلوم النقليّة لا العقليّة، فكان المشتغلون به أولاً محدّثين ناقلين، ثم جاء من بعدهم جامعين مبوّرين ثم ناقلين معلّقين.

ولم يكن قابلاً للتجديد في جوهره، إلا بمقدار قليل حسب النقد الدقيق، وإنما كان التجديد في أشكاله وصوره شرحاً أو اختصاراً، أو شيئاً من النقد قليلاً مشيراً إلى ما فيه من أخطاء.

ولعلّ الذين تناولوا السيرة بالتلخيص والاختصار، إنما خففوا من ثقل الكتاب بعض أخباره التي استبعدوها غير مؤمنين بصحتها، ناقلين من الأخبار ما يرون فيها القرب من الحق، ومستبعدين ما لا يجري في ذلك مع فكرتهم وعقيدتهم معقّدين إيّاه راّدين له. ولعلّ من علل انتشار أخبار ابن إسحاق ثم كتابه في السيرة كثرة رحلاته، فالراجع في تأريخ مولده في المدينة أنّه كان سنة ٨٥ هـ، ولا يرتاب الرجاليون وأصحاب الطبقات في أنّه أمضى شبابه في المدينة فتىً جميلاً «فارسي الخلقة» جذّاب الوجه له شمعة حسنة، ولذلك حكى ابن النديم بشأنه في فهرسته: أنّه اتهم بأنّه يجلس في مؤخر المسجد للصلاة فيغازل بعض النساء، فأمر أمير المدينة بإحضاره وضربه أسواطاً ونهاه عن الجلوس في مؤخر المسجد. ولعلّه لهذا لم يزوّج عنه من أهل المدينة غير راوٍ واحدٍ

هو إبراهيم بن سعد فحسب^١.

ولعلّه لهذا رحل منها سنة ١١٥ هـ. أي في الثلاثين من عمره إلى الإسكندرية في مصر، ويظنّ أنّها أولى رحلاته، فانفرد بروايته أحاديث عن عدّة من رجال الحديث بها. ثم رحل إلى الكوفة والحيرة، ولعلّه بها التقى بالمنصور فصنّف لابنه المهدي كتاب السيرة كما سبق، فرواها عنه زياد بن عبد الملك البكائي العامري وغيره، ورحل إلى الجزيرة أي الموصل، والرّي حتّى إذا بُنيت بغداد فرجع إليها وفيها ألقى عصا الترحال، وله من كلّ هذه البلدان رواة كثيرون. وعاش في بغداد حتّى توفّي بها فدفن في مقابر الخيزران.

وقد كان ابن إسحاق يُعدّ في طبقة تلامذة عبد الملك بن شهاب الزّهري وأقرانه، وله عنه روايات، ونقل أصحاب الطبقات أنّ شيخه ابن شهاب الزّهري لم يكن يتهمه بشيء بل كان يؤثقه، وتبعه في توثيق ابن إسحاق من الفقهاء الأئمة سفيان الثوري وشعبة، بالإضافة إلى رواية زياد بن عبد الملك البكائي عنه. وإن كان هشام بن عروة بن الزبير من رواة السيرة، ومالك بن أنس من أئمة الفقهاء يتحاملان عليه بالجرح والتضعيف ويتهمانه بالكذب والدجل والتدليس، والقول بالقدر، والنقل عن غير الثقات، وأخطاء في الأنساب. ولكن لعلّه لأنّ ابن إسحاق كان يطعن في نسب مالك وعلمه ويقول: إيتوني ببعض كتبه حتّى أبين لكم عيوبه، فأنا يبطار كتبه! إذاً فالحملة متقابلة من الطرفين، والتضعيف ضعيف لأنّه معلوم الوجه والعلّة «الشخصيّة».

مغازي الواقدي:

أمّا الواقدي محمّد بن عمر بن واقد مولى بني سهم، فقد ذكر تلميذه ابن سعد في (الطبقات الكبرى) أنّه ولد في المدينة سنة ١٣٠ هـ أي بعد خروج ابن إسحاق منها

(١) وانظر تهذيب التهذيب ٩: ٤٤.

بخمسة عشر عاماً، ولذلك لم يَزوَ عنه وإن كان قد روى عن سائر رواة الأخبار عن الزهري، مع تشابه كبير بين فقرات كتاب السيرة لابن إسحاق وكتاب المغازي للواقدي، ولذلك زعم مستشرقان هما (فلهوزن وهورفتس) أنه سرق منه ولم يسنده إليه، وفند زعمهما مُستشرق آخر هو (مارسدن جونس) محقق المغازي كما في مقدّمته للكتاب^١، ثمّ احتمل أن يكون الواقدي قد أعرض عن الرواية عن ابن إسحاق نظراً إلى عدم توثيق علماء المدينة له.

ثمّ قال: يبدو واضحاً للقارئ الحديث أنّ من أهمّ السمات التي تجعل الواقدي في منزلة خاصّة بين أصحاب السير والمغازي تطبيقه المنهج التاريخي العلمي الفني، فإنّنا نلاحظ عند الواقدي - أكثر ممّا نلاحظ عند غيره من المؤرّخين المتقدّمين - أنّه كان يرتّب التفاصيل المختلفة للحوادث بطريقة منطقية لا تتغيّر، فهو مثلاً يبدأ مغازيه بذكر قائمة طويلة من الرجال الذين نقل عنهم تلك الأخبار، ثمّ يذكر المغازي واحدةً واحدةً مع تأريخ محدّد للغزوة بدقّة، وغالباً ما يذكر تفاصيل جغرافية عن موقع الغزوة، ثمّ يذكر المغازي التي غزاها النبي بنفسه، وأسماء الذين استخلفهم على المدينة أثناء غزواته، وأخيراً يذكر شعار المسلمين في القتال، كلّ ذلك بالإضافة إلى وصفه لكلّ غزوة بأسلوبٍ موحد: فيذكر أولاً اسم الغزوة وتاريخها وأميرها.

وكثيراً ما يقدّم لنا الواقدي قصّة الواقعة بإسناد جامع، أي يجمع الرجال والأسانيد في متن واحد، وإذا كانت الغزوة قد نزل فيها آيات كثيرة من القرآن الكريم، فإنّ الواقدي يفردها وحدها مع تفسيرها ويضعها في نهاية أخبار الغزوة، وفي المغازي المهمّة يذكر الواقدي أسماء الذين استشهدوا فيها.

وإنّ ما أورده في الكتاب من التفاصيل الجغرافية ليُوحى بجهده ومعرفته للدقائق في الأخبار التي جمعها في رحلته إلى شرق الأرض وغربها طلباً للعلم^٢. وقد روى ابن

(١) مغازي الواقدي: ٢٩.

(٢) مقدّمة المحقّق للمغازي: ١: ٣١.

عساكر والخطيب البغدادي وابن سيّد الناس^١ عن الواقدي أنّه قال: ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا سألته: هل سمعت أحداً من أهلك يُخبرك عن مشهده وأين قُتل؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعابنه، وما عَلِمْتُ غزاة إلا مضيت إلى الموضع فأعابنه، حتّى لقد مضيت إلى «المريسيع» فنظرت إليها.

وروا عن هارون الغروي قال: رأيت الواقدي بمكّة ومعه ركوة قفلت: أين تريد؟ قال: أريد أن أمضي إلى حنين حتّى أرى الموضع والوقعة.

ويشهد لنباهة الواقدي بهذا الشأن ما قصّه تلميذه وراويته ابن سعد في الطبقات: أنّ هارون الرشيد ويحيى بن خالد البرمكي حين زارا المدينة في حَجَّتَهما، طلبا من يدلّهما على المشاهد وقبور الشهداء، فدَلّوهما على الواقدي، فصحبهما في زيارتهما فلم يدع موضعاً من المواضع ولا مشهداً من المشاهد إلا مرّ بهما عليه. فمنحه هارون الرشيد عشرة آلاف درهم، فصرفها في قضاء ديون كانت قد تراكت عليه وزوّج بعض ولده وبقي في يسر وسعة^٢.

ولكنّه يعود فيقول: إنّه لحقه دين بعد ذلك فذهب إلى العراق سنة ١٨٠هـ. ويفصّل الخطيب عن الواقدي يقول: كانت للناس في يدي مئة ألف درهم أضارب بها في الحنطة، وتلفت الدراهم، فشخصت إلى العراق فقصدت يحيى بن خالد البرمكي^٣. ويفصّل ابن سعد عنه أيضاً يقول: ثمّ إنّ الدهر أعَضَّنَا، فقالت لي أمّ عبدالله: يا أبا عبد الله ما قعودك وهذا وزير أمير المؤمنين قد عرفك وسألك أن تسير إليه حيث استقرّت به الدار. فرحلت من المدينة. ولمّا دخل بغداد وجد الخليفة والبلاط قد انتقلوا إلى الرقة بالشام فرحل إليهم حتّى لحق بهم^٤. فيقول: صار إليّ من السلطان ستمئة ألف درهم ما

(١) تاريخ مدينة دمشق ١١: ٥، وتاريخ بغداد ٣: ٦، وعيون الأثر ١: ١٨.

(٢) انظر الطبقات ٥: ٣١٥.

(٣) الطبقات ٧: ٧٧.

(٤) تاريخ بغداد ٣: ٤.

وجبت عليّ فيها الزكاة^١، ثم رجع معهم إلى بغداد وبقي بها، حتّى قدمها المأمون فجعله قاضياً لعسكر المهدي^٢، وكان العسكر في الجانب الشرقي وكان الواقي في الجانب الغربي فلما انتقل حمل كتبه على عشرين ومئة وقر^٣، فولّي القضاء مدّة أربع سنوات قبل وفاته، وأوصى إلى المأمون فنقذ وصيّته وأرسل إليه بأكفانه وقضى دينه^٤.

ذكر ابن سعد - وهو تلميذه وكتابه روايته - يقول: مات ببغداد ليلة الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلّت من ذي الحجة سنة سبع ومائتين ودُفن يوم الثلاثاء في مقابر الخيزران، وهو ابن ثمانٍ وسبعين سنة^٥.

مكانة الواقي في الرواية والعلم:

وتجلّى مكانته في الرواية والعلم في وصف كاتبه وتلميذه ابن سعد له يقول: كان عالماً بالمغازي والسيرة والفتوح واختلاف الناس في الحديث والأحكام، واجتماعهم على ما أجمعوا عليه، وقد فسر ذلك في كتب استخراجها ووضعها وحدّث بها^٦.

وقال عنه ابن النديم في الفهرست: إنّه كان عنده غلامان يعملان ليلاً ونهاراً في نسخ الكتب، وقد ترك عند وفاته ستمئة قَمَطَر من الكتب يحتاج كلّ منها إلى رجلين لحمله^٧.

ونقل الخطيب البغدادي عن عليّ بن المديني: إن ما جمع الواقي من الأحاديث بلغ عشرين ألف حديث^٨، ونقل ابن سيّد الناس عن يحيى بن معين أنّه قال: أغرب الواقي على رسول الله في عشرين ألف حديث. ثم قال ابن سيّد الناس: وقد رويتنا عنه من تتبّع آثار مواضع الوقائع وسؤاله من أبناء الشهداء والصحابة ومواليهم عن أحوال

(١) تاريخ بغداد: ٣: ٢٠.

(٢) الطبقات: ٧: ٧٧.

(٣) تاريخ بغداد: ٣: ٥٠، وعيون الأثر: ١: ١٨، والوافي بالوفيات: ٤: ٢٣٨، وسير أعلام النبلاء: ٧: ١١٨.

(٤) الطبقات: ٥: ٣١٥، وتاريخ بغداد: ٣: ٢٠، وتاريخ دمشق: ١١: ٣، والوافي بالوفيات: ٤: ٢٣٨.

(٥) الطبقات: ٧: ٧٧.

(٦) الطبقات: ٥: ١٤٤.

(٧) الفهرست: ١٤٤.

(٨) تاريخ بغداد: ٣: ١٣.

سلفهم ما يقتضي انفراداً بالروايات وأخباراً لا تدخل تحت الحصر^١. ونقل الذهبي عن إبراهيم الحربي أنه كان يقول عنه: إنه كان أعلم الناس بأمر الإسلام، فأما أمر الجاهلية فلم يعلم منها شيئاً، ثم ذكروا له زهاء ثلاثين كتاباً.

ونرى في قائمة كتبه كتاب الطبقات، ولنا أن تتمثله في كتاب الطبقات الكبرى لتلميذه وكتابه محمد بن سعد، فقد نقل عنه كثيراً ولا شك أنه صنفه على غرار كتاب شيخه وروى فيه عن غيره أيضاً.

ومن كتبه كتاب الردة، ذكر فيه ارتداد العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، ومحاربة الصحابة لطلحة بن خويلد الأسدي ومسيلمة الكذاب وسجاح في اليمامة والأسود العنسي في اليمن. وقد نقل عنه تلميذه ابن سعد في الطبقات والطبري في تأريخه أخبار الأحداث التي تلت وفاة النبي، وإنما هو من كتبه في الردة.

ويمكن القول بأن ما نقله ابن سعد، والطبري عنه عن الواقدي من أخبار الجاهلية فهو من كتاب سموه: كتاب التاريخ والمغازي والمبعث، هكذا بتقديم المغازي على المبعث وتأخير المبعث عن المغازي، الذي عدّوه غير كتاب المغازي. والطبري ينقل المغازي عن الواقدي مباشرة، ولكنه حين يُورد أخبار الجاهلية وما قبل الإسلام فإنه يرويها عن ابن سعد عن الواقدي، مما يدل على أنه اعتمد في المغازي على كتاب المغازي للواقدي، وأما في أخبار الجاهلية فهي من كتاب آخر له لعله هو التاريخ والمبعث.

ومن كتبه فتوح الشام وفتوح العراق، وقد نقل البلاذري في كتابه «فتوح البلدان» عن الواقدي كثيراً، وهو من تلامذة ابن سعد كاتب الواقدي، فهو قد روى كتاب شيخه له، ورواه البلاذري كما نقل ابن كثير في (البداية والنهاية) كثيراً من حوادث سنة ٦٤ هـ، والطبري نقل عنه كثيراً من حوادث النصف الثاني من القرن الثاني أي التي عاشها

(١) عيون الأثر ١: ٢٠.

(٢) سير الأعلام ٧: ١١٧.

حول تشييع الواقدي وابن إسحاق:

قال ابن النديم في فهرسته عن الواقدي: كان يتشييع، حسن المذهب، يلزم التقية، وهو الذي روى أن علياً كان من معجزات النبي صلى الله عليه وآله كالعصى لموسى وإحياء الموتى لعيسى بن مريم عليهما السلام، وغير ذلك من الأخبار^١.

ونقل هذا القول عنه السيد الأمين العاملي صاحب (أعيان الشيعة) وترجم له^٢. وكذلك ذكره آقا بزرگ الطهراني في (الذريعة إلى تصانيف الشيعة)^٣ عند الحديث عن تأريخ الواقدي. بينما لم يذكره الشيخ الطوسي في فهرسته ولا رجاله ولا ذكر كتاباً من كتبه حتى مقتل الحسين عليه السلام.

وابن أبي الحديد حينما ينقل فقرة طويلة عن الواقدي ثم يورد رواية أخرى مختلفة عن الأولى يبدوها بقوله: «وفي رواية الشيعة»^٤ مما يدل على أنه لم يعتبره شيعياً ولا ممثلاً لهم.

ومن الطريف أن يلاحظ أن ابن إسحاق أيضاً كان يُتهم بالتشييع^٥.

ولعل السبب في وصفهما بالتشييع لا يرجع إلى عقيدتهما الشخصية، بل إلى ما ورد في كتابيهما من الأخبار التي يعرضانها مما تقتضيه طبيعة التأليف في مثل هذه الموضوعات لا عن عقيدة صحيحة بها، وإلى ما أوردها في بعض المواضع من كتابيهما بشأن جماعة من الصحابة منهم بعض الخلفاء فيذكرانهم بعبارات لا تضعهم في الموضع المعتبر لهم عند كثير من المسلمين.

(١) الفهرست: ١٤٤.

(٢) أعيان الشيعة ٤٦: ١٧١.

(٣) الذريعة ٣: ٢٩٣.

(٤) شرح نهج البلاغة ٣: ٣٣٩.

(٥) معجم الأدباء: ١٨: ٧.

دراسات

ولذلك فإن أكثر النقاد من المحدثين الأوائل كانوا يضعفون الواقدي في الحديث. فقد قال البخاري والرازي والنسائي والدارقطني: إنه متروك الحديث، ولكنهم لم يجمعوا على ذلك، فقد وصفه الدراوردي بأنه: أمير المؤمنين في الحديث. وقال يزيد بن هارون: الواقدي ثقة.

ووثقه مصعب الزبيري، ومجاهد بن موسى، والمسيب وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو بكر الصغاني^١.

وقال إبراهيم الحربي: هو آمن الناس على أهل الإسلام^٢. وقال ابن التديم: كان عالماً بالمغازي والسير والفتوح واختلاف الناس في الحديث والفقه والأحكام والأخبار^٣.

أما بالنسبة لابن إسحاق: فقد عقد الخطيب البغدادي في كتابه (تأريخ بغداد) وكذلك ابن سيّد الناس في كتابه (عيون الأثر) فصلين فنّدا فيهما جميع المطاعن التي وجّهت إليه. وبالنسبة لتشيعه وقوله بالقدر قالا ما ملخصه: أما ما رمي به من التدليس والقدر والتشيع فلا يوجب ردّ روايته، ولا يوقع فيها كبير وهن، أما التدليس فمنه القادح وغير القادح، ولا يحمل ما وقع هنا من مطلق التدليس على التدليس المقيّد بالقادح في العدالة، وكذلك القدر والتشيع لا يقتضيان الردّ إلا بضميمة أخرى لم نجدها هنا. والعجيب أنك لا تجد شيئاً من هذا التشكيك في عبد الملك بن هشام مهذّب سيرة ابن إسحاق، فلو كان العيب في هذا الباقي من سيرة ابن إسحاق لشمّل الشكّ ابن هشام أيضاً.

وعندئذٍ نطمئنّ إلى أنّ العيب ليس في هذا الباقي بل فيما قال عنه ابن هشام: «وتارك بعض ما يذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب... أشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء

(٢) عيون الأثر: ١: ١٨.

(١) تهذيب التهذيب ٩: ٣٦٤.

(٣) الفهرست: ١٤٤.

بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته، ومستقص ما سوى ذلك». وعندئذ تجد محور اتِّهام التشيع أيضاً. وقد رأينا أننا إذا استثنينا هذين المتهَمين بالتشيع لم يبقَ لعامة المسلمين شيء يُذكر في السيرة ولا المغازي. وعندئذ ندرك أيضاً أنَّ السابقين الأولين إلى تدوين سيرة الرسول ومغازيه أي الصدر الأول من تاريخ الإسلام هم من شيعة أئمة أهل البيت عليهم السلام أو المقارئين لهم المتهَمين بهم.

قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى :

«يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»

(سورة الصف آية ٨)

اِسْتِظْلَاعُ اِسْمَاءِ اَشْعَارِ اَسِيَا اَلْوُسْطَى

مَدْرَسَةُ

اِسْتِظْلَاعُ اُسْلُوبِ تَنْجَوِّلٍ مِنْ خِلَالِهِ فِي عَالَمِ الْوَاقِعِ وَالْاَفْكَارِ، يَتِمُّ فِيهِ تَجْمِيعُ مَوْضُوعِي الْمَعْلُومَاتِ وَاسْتِفْهَامِ عَامِ لَلْآرَاءِ فِي مَسَائِلٍ مُحَدَّدَةٍ، يَهْدَفُ إِلَى إِثَارَةِ اَهْتِمَامِ اَبْنَاءِ اَلْاِسْلَامِ وَرَجَالِهِ بِمَا يَجْرِي حَوْلَهُمْ مِنْ اَحْدَاثٍ، وَمَا يَتَدَاوَلُ فِي اَوْسَاطِهِمْ مِنْ اَفْكَارٍ وَادْوَارٍ، لِتُظْهِرَ حَصِيلَةَ ذَلِكَ عَلَى صَفَحَاتِ هَذِهِ الْمَجْلَةِ، اِرْسَاءً لِلصَّحْوَةِ اَلْاِسْلَامِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ وَسِيْرًا بِهَا عَلَى طَرِيقِ ذَاتِ الشُّوْكَةِ.

وَقَدْ بَدَأْنَا فِي الْعِدَّةِ الثَّالِثَةِ بِنَشْرِ مَا وَصَلْنَا مِنْ آرَاءِ قَرَأَتِنَا الْكَرَامِ حَوْلَ الْمُسْتَقْبَلِ اَلْاِسْلَامِيِّ لِشُعُوبِ دَوْلِ اَسِيَا اَلْوُسْطَى، وَنَظَرًا لِأَهْمِيَّةِ الْمَوْضُوعِ وَمَا تَصَلَّنَا مِنْ دَرَسَاتٍ وَتَقَارِيرٍ حَوْلِهِ، نَوَاصِلِ نَشْرٍ مَا وَرَدَنَا فِي هَذَا الْبَابِ، وَقَدْ وَصَلَتْنَا رِسَالَةٌ مِنَ الدُّكْتُورِ فَرِيدِ حَيْدَرِ آلِ سُلْمَانَ مِنْ تَتَارِسْتَانَ تَضَمَّنَتْ مَجْمُوعَةً مِنَ الْاِثَارَاتِ وَالْمَطَالِبِ كَانَتْ جَدِيدَةً بِالنَّأْتَلِ وَابْحَثٍ، فَدَفَعْتُ أَحَدَ كُتَّابِنَا لِتَقْدِيمِ دَرَسَةِ اِسْتِظْلَاعِيَّةٍ عَنْ تَتَارِسْتَانَ التَّابِعَةِ حَالِيًّا لِرُوسِيَا نَقْدَمُهَا لِقَرَأَتِنَا الْأَعْزَاءِ.

«التحرير»

بَاقِي الْمَوَاقِعِ «الْبَاقِي»

لَقَدْ كَانَتْ الْمَعْلُومَاتُ النَّادِرَةُ الَّتِي تَتَسَرَّبُ حَوْلَ أَوْضَاعِ الْمُسْلِمِينَ فِي دَوْلِ اَسِيَا اَلْوُسْطَى قَبْلَ اِنْحِلَالِ اَلْاِتِّحَادِ السُّوْفِيَّةِيِّ، تَأْتِي مِنْ مَصْدَرِ سُوْفِيَّةِيِّ رَسْمِيٍّ، وَيُقْتَصَرُ فِي الْغَرْبِ وَالْبُلْدَانِ اَلْاِسْلَامِيَّةِ عَلَى تَرْدِيدِ مَا تُؤَكِّدُهُ وَسَائِلُ اَلْاِعْلَامِ الدَّعَائِيَّةِ، اَلْمُثِيرَةُ لِمَعْلُومَاتٍ مُقْتَضِيَّةٍ تَعَكْسُ الْوَضْعَ الْمَأسَاوِيَّ الْمُرِيرَ لِلْمُسْلِمِينَ، لَا بِقَصْدِ اَلْاِهْتِمَامِ وَإِبْرَازِ الْحَقَائِقِ، بَلْ بِقَصْدِ التَّوْهِينِ وَالْحُطِّ مِنْ مَكَاتِبِهِمْ. وَطَالَمَا تَرَدَّدَتْ هَذِهِ الْجَمْلُ الْقَصَارُ الَّتِي تُخْفِي بَيْنَ طَيَاتِهَا سُمُومَ الْعَدَاءِ وَالْحَقْدِ الدَّفِينِ لَلْاِسْلَامِ: «لَقَدْ

مات الإسلام بينهم وانحدر إلى مرتبة المخلفات الفولكلورية»، «أصبحوا سوفيت»، «أصبحوا شيوعيين»^١. هكذا كانت تروّج تلك الوسائل الإعلامية التي لا همّ لها سوى المتاجرة بمصائر الشعوب المستضعفة. أما الآن فقد أصبحت الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي المنحل - المحكمة الإغلاق سابقاً - قابلة للتنفيذ يتسرب منها نور جديد حول هؤلاء المسلمين السوفيت - بعددهم البالغ ٤٥ مليون نسمة والذين يتنامون بسرعة، والمؤهلين بموقعهم الإستراتيجي في آسيا العليا - لأن يقوموا بدور مهم في المسرح التاريخي خلال الأعوام القادمة إن شاء الله تعالى.

ومن الجمهوريات الإسلامية في الإتحاد السوفيتي المنحل والتي كانت ولا تزال تعيش تحت وطأة الإضطهاد الروسي، جمهورية تتاريا «تتارستان» ويطلق عليها ما يسمى بالمستقلة استقلالاً ذاتياً. ولعل ندرة المعلومات والأخبار الواصلة عن هذه الجمهورية قد أدّت إلى جهل الكثير من المسلمين بوجود هكذا جمهورية على الخارطة السياسية والعالمية، فضلاً عن العلم بأوضاع وأحوال وتاريخ الشعب المسلم في تتارستان، وذلك بسبب الطوق الحديدي المضروب على تلك الجمهوريات، وخنق النَفَس الإسلامي فيها، وممارسات المسخ الفكري والروحي على المسلمين هناك. لنسلط الضوء مع شيء من التفصيل حول هذه الجمهورية ذات الأغلبية المسلمة. ويتمحور البحث حول عدة نقاط:

١ - معلومات إحصائية:

تشكّلت جمهورية التتر (تتارستان) في ٢٧/أيار/١٩٢٠ كجمهورية مستقلة ذاتياً تقع في حوض نهر الفولغا، يغطّي إقليمها مساحة ٦٨٠٠٠ كم^٢، وعدد السكان الإجمالي طبقاً

(١) مجلة المسلمون في الشرق السوفيتي، العدد ٤ : ١٥.

لآخر إحصائية عام ١٩٧٩م ٣٤٣٦٠٠٠ نسمة^١، عاصمتها (قازان) وهي مركز صناعي هام، بلغ عدد سكان العاصمة فقط قرابة مليون نسمة عام ١٩٧٩م معظمهم من الروس. تمثل جمهورية التتر المستقلة ذاتياً طليعة الإسلام الشمالية المتقدمة والإقليم المسلم الأقرب إلى موسكو أيضاً.

ووفقاً لإحصائية عام ١٩٧٩م ذكرت المصادر الرسمية أن المسلمين يشكلون نسبة ٤٧,٦% فقط من مجمل سكان الجمهورية، أي ١٦٤١٠٠٠ نسمة، وتؤشر هذه النسبة إلى انخفاض ملحوظ بالنسبة لإحصائيات عام ١٩٧٠م، إذ كان نصيبهم فيها ٤٩% والتي شكّلت إنخفاضاً ملحوظاً لما قبلها من إحصائيات، وقد أشارت بعض الإحصائيات إلى أن عدد المسلمين بلغ ٢٣٠٠٠٠٠ - ٢٥٠٠٠٠٠ نسمة. إن التدني في نسبة المسلمين في هذه الجمهورية يوضح مدى الترويس الذي مورس ضدها أي تحويلها إلى غالبية روسية، وذلك عن طريق تشجيع الهجرة إليها، حيث السيل الجديد من المهاجرين الروس باتجاه المراكز الصناعية في تاتاريا.

ومن هذا يتضح سبب كون العاصمة (قازان) تضم سكاناً روس بالدرجة الأولى. مقابل هذا فقد دلت الإحصائيات على وجود نسبة عالية من التترين تعيش خارج تاتارستان بلغ عددهم الإجمالي في الاتحاد السوفيتي المنحل ٦٣١٧٠٠٠ نسمة^٢ عام ١٩٧٩م، بينما كان العدد ٥٩٣٠٠٠٠ نسمة عام ١٩٧٠م حسب الإحصائيات الرسمية، أي أن زيادتهم منخفضة جداً بالنسبة للروس، إذ تبلغ ٦,٥% فقط وهي أقل نسبة بين جميع الشعوب المسلمة في الاتحاد السوفيتي السابق. إن ربع التتر فقط يستوطنون جمهوريتهم الوطنية، والباقي مبعثرون بين الجمهوريات المستقلة حديثاً على شكل جاليات.

(١) وطبقاً لإحصائية سنة ١٩٩١م المنشورة في مجلة آفاق الإسلام العدد الأول آذار ١٩٩٣م بلغ عدد السكان في تاتارستان ٥٦٧٨٠٠٠ نسمة.

(٢) مجلة التوحيد العدد ٥ موضوع الإسلام في الاتحاد السوفيتي، الدكتور س. أكبيري.

إن تتر الفولغا^١ هم الشعب التركي المسلم الوحيد في دول آسيا الوسطى الذي أصبح منذ القرن التاسع عشر شعباً مشتتاً خارج وطنه الأم. فقد أكره التتر على الهرب من قسوة الأنظمة المسكوفية، فشكّلوا جاليات متفرقة ولكل جالية جامعتها ومدارسها تستخدمها أيضاً مراكز لنشر الثقافة الإسلامية.

وطبقاً لإحصائيات عام ١٩٧٩م وهي آخر إحصائية رسمية يمكن الرجوع إليها فإن أكثر من المليون تتر يعيشون في جمهوريات آسيا الوسطى منهم ٦٤٩٠٠٠ في أوزبكستان، و٣١٤٠٠٠ في قازاخستان، و٨٠٠٠٠ في طاجيكستان و٧٢٠٠٠ في قرغيزيا، و٤٠٠٠٠ في تركمنستان، بالإضافة إلى ٣٢٠٠٠ في أذربيجان، و٩٠٠٠٠ في أوكرانيا.

كذلك توجد أعداد أخرى في بعض الأقاليم لم نقف على إحصائياتها بشكل دقيق. وبالنسبة إلى لغة التترين فهي لغة تنتسب إلى أسرة اللغات التركية، ويطلق عليها التارية^٢، وهي اللغة القومية الأولى التي يتفاهم بها التتاريون سواء في جمهوريتهم أو خارجها، حيث بقيت هذه اللغة حية بين السكّان بالرغم من الحملة التروسية التي تشنها روسيا لتغيير لغة القوم إلى الروسية. ماعدا بعض الجاليات التترية خارج الوطن الأصلي فتمتاز بعدم تمتعها باستقلال ثقافي ذاتي، فهي محرومة من المدارس والمطبوعات التي تتعامل بلغتها القومية، لذلك فإن اللغة الروسية تحلّ محلّ اللغة الأصلية الأم، بالإضافة إلى لغات أخرى مثل التركية والبولونية والبلوروسية والليتوانية وغيرها.

(١) نسبة إلى نهر الفولغا، وهو نهر في روسيا ٣٦٩٠ كم أطول نهر في أوربا ينبع في آسيا الوسطى (جبال ألتاي) ويمر في فولغا غراد - ستالين غراد سابقاً - واستراخان ويصب في بحر قزوين - محور حركة الملاحه في روسيا - حيث تقع جمهورية التتر في المجرى الأوسط من نهر الفولغا ورافده نهر كاما (المنجد في الاعلام).

(٢) موسوعة المورد ١٧٧: ٩.

٢- إنتشار الإسلام في جمهورية تاتارستان:

إنتشر الإسلام عن طريق التجار والسفراء المسلمين الذين حملوا الإسلام إلى مملكة بلغار الفولغا الأوسط - تاتارستان حديثاً - منذ القرن التاسع الميلادي، واعتنقت هذه المنطقة بمعظمها الإسلام في القرن العاشر وبالتحديد في سنة ٩٢٢م وتحول ملكها المسمى ألاماز عن النصرانية وأسلم واتخذ اسماً إسلامياً هو جعفر، في أيام الخليفة العباسي المقتدر^١، ومنها انتشر الإسلام إلى بقية البقاع المجاورة في آسيا الوسطى، في القرنين الحادي عشر والثاني عشر بفضل التجار المسلمين من عرب وفرس وأتراك حتى امتد في الأورال الذي يشكل جمهورية بشكيريا اليوم - أحد الجمهوريات المستقلة ذاتياً في الإتحاد السوفيتي المنحل - ثم في سهوب قازاق في شمال (سير - داريا)، ثم في جبال قرغيزيا^٢ إلى أن وصل إلى سينغيانغ في الصين^٣.

لقد شهدت منطقة بلغار فولغا انتعاشاً وازدهاراً وتطوراً منذ دخول الإسلام إليها، سيما وأن دخوله كان بشكل سلمي، حيث تقبلت هذه المنطقة الإسلام بلا أية صعوبة، حتى حلت سنة ١٢٢٦م^٤ وبدأ الغزو المغولي للعالم الإسلامي، فكانت أقاليم آسيا

(١) مجلة الفكر الجديد، العدد الخامس، المسلمون في الإتحاد السوفيتي (سابقاً) واتحاد الجمهوريات المستقلة: ١٤٦.

(٢) التوحيد: العدد ٥، موضوع الإسلام في الإتحاد السوفيتي، س. اكثير: ١٠١.

(٣) سينغيانغ: إحدى المقاطعات الواقعة في شمال غرب الصين، سكانها الأصليون كلهم مسلمون، يبلغ عددهم اليوم ما يقرب من ٨٠٧٥٠٠٠ نسمة، ومساحتها ١٦٤٦٨٠٠ كم^٢، وعاصمتها أورستي. كانت أصلاً جزءاً من تركستان المسلمة، وتسمى أيضاً تركستان الصينية، احتلتها الصين بالقوة وتطلق عليها اليوم «مقاطعة يونان» لتتسيها أصلها. وكان أباطرة الصين ورؤساؤها يضطهدون مسلمي هذه المنطقة. غير أن أشد اضطهاد حل بهم كان منذ بداية عهد ماوتسي تونغ تطبيقاً للعقيدة الشيوعية في محاربة الإسلام والقضاء عليه، وقد لجأت السلطات الشيوعية الصينية إلى جلب الملايين من الصينيين الشيوعيين أسكنتهم بينهم ونقلت الملايين منهم إلى مناطق صينية بعيدة، لتبعثرهم وتنسيبهم دينهم. عن مجلة الفكر الجديد، العدد الخامس: ١٤٧، ١٥٣.

(٤) مجلة الفكر الجديد، العدد الخامس، المسلمون في الإتحاد السوفيتي (سابقاً) واتحاد الجمهوريات المستقلة: ١٤٧.

الوسطى الإسلامية مسرحاً لهذا الغزو وهي لا تزال حديثة عهد بالإسلام. لقد كان بين أوائل المغول الذين غزوا آسيا الوسطى عدد كبير من البوذيين والمسيحيين النسطوريين لذلك فقد اتخذ الغزو اتجاهاً معادياً للإسلام. ودخل المغول أراضي بلغار فولغا بعد حوالي ١٠ سنين من غزو آسيا الوسطى وسموها (تتارستان) وأطلق على شعب بلغار فولغا بالشعب التتاري (التتري أو تتر الفولغا) وإلى الآن يعرف بهذا الاسم. ويفعل نشاطات الجماعات الإسلامية التي نشأت في المنطقة ترسخ الإسلام بين أوساط الناس وأضفي عليه طابع شعبي، وتعمقت جذوره بين الطبقات المحرومة على الخصوص، وأصبح الدين الشعبي للبلاد، وفي تلك الأثناء كان المغول قد اهتموا إلى الإسلام، وبالتحديد في مطلع القرن الرابع عشر، أيام حكم أزيك خان (١٣١٢ - ١٣٤٢م)^١ وأفاد ملوكهم من الدخول في الإسلام، حيث أصبح تقدمهم واندفاعهم بعنوان نشر الإسلام أيسر من السابق، ودخل الإسلام على يدهم إلى الكثير من الأقاليم والبقاع.

٣- التوسع الروسي والهجوم المضاد على الإسلام:

في عام ١٥٥٢م غزت دولة مسكوفيا^٢ بزعامة إيفان الرهيب - ضمن حملة التوسع الروسي باتجاه الأقاليم الإسلامية - إقليم تتر الفولغا^٣.

(١) مجلة التوحيد: العدد ٥: ١٠١ (الإسلام في الاتحاد السوفيتي) الدكتور س. أكينر.
(٢) دولة مسكوفيا القديمة، وكانت تقتصر على إمارة موسكو فقط. وتجدر الإشارة إلى أنّ مساحة الإتحاد السوفيتي المنحلّ ككل كانت تبلغ ٢٢٤٠٠٠٠٠ كم^٢. ولم تكن الأراضي الروسية منها تتجاوز مليوني كيلو متر مربع، أي أنّ أكثر من عشرين مليون كم^٢ هي أقاليم إسلامية أصلاً حين بدأ الروس غزوها منذ عام ١٥٥٢م وإخضاعها للسيطرة الروسية ودمجها بأراضيها وإضاعة كيانات السكان المسلمين الدينيّة والقومية بقوة السلاح والإرهاب والأيادة.

إنّ هذه الأقاليم الإسلامية الواسعة - الجمهوريات المستقلة حديثاً - التي كانت تشكل جزءاً من جمهوريات الإتحاد السوفيتي السابق، لم تكن في الحقيقة غير مستعمرات روسية احتلت منذ عام ١٥٥٢م.

(٣) المسلمون في الإتحاد السوفيتي، بينغسن - لمرسييه، تعريب الدكتور إحسان حقي: ٢٣.

وقد مارس الروس بحق الشعب التتري أبشع حالات الإضطهاد والقسوة خلال أربعة قرون تقريباً، حتى بلغ عدد القتلى فقط في سنة ١٥٥٢م أكثر من ٢٥٠٠٠٠ نسمة من المسلمين من أبناء قزان ونواحيها، وهدم أكثر من ٤٢٠ مسجداً في قزان فقط، وقد استهدف المحتلون الروس في الأغلب صرف التتريين عن الدين الإسلامي وردهم إلى المسيحية. وتبنى القياصرة منذ عام ١٥٥٥م سياسة الإرتداد عن الدين الإسلامي إلى النصرانية بالقوة حتى بلغ عدد ضحايا سياساتهم التنصيرية إلى منتصف القرن الثامن عشر أكثر من ٢٨٠٠٠٠ قتيل وتشريد أكثر من ٥٠٠٠٠٠ من المسلمين فرّوا إلى بولونيا وألمانيا وتركيا وبلغاريا ورومانيا والصين.

لكن المقاومة المظفّرة لهذا الضغط كانت ظاهرة تاريخية بلا سابقة، وقد شكلت جزءاً من التاريخ الديني والقومي للشعب التتري، وما يزال هذا الشعب المسلم حتى اليوم متمسكاً بشدة بالإسلام الذي أصبح يمثل بالنسبة إليه أساس الشعور الوطني أكثر من أي شيء آخر، وهذا لا يعني أنّ التتريين لم يتأثروا بالغزو المسكوفي، ووقوعهم تحت السيطرة الروسية لعدة قرون، سيّما وأنّ المحتلّ الروسي كان يريد اجتثاث جذور الإسلام من الأصل، والنيل من المسلمين ومعتقداتهم، فارتدّ البعض من التتر إلى المسيحية (وكان أكثر هؤلاء المرتدّين من الوثنيين) وقد عرفوا باسم (ستاروكرياشن)^١ وكان ذلك في أيام حكم القيصرية «آنا» خلال أعوام (١٧٣٨ - ١٧٥٥م) حيث كانت هذه الفترة من أشدّ الفترات على المسلمين التتر، فقد أغلقت الجوامع في القولغا الأوسط، وصودرت أملاك الأوقاف وحولت إلى الدولة، وهي أوقاف كانت عائداتها تخصص

(١) الكرياشن: تعني بالتترية (المُعتمد) وهم أحفاد إمارة قازان الذين ارتدّوا إلى المسيحية الارثوذكسية على موجتين، في النصف الثاني من القرن السادس عشر والنصف الثاني من القرن الثامن عشر، ويسمى الأولون «ستاروكرياشن» أو المرتدون القدماء وما يزالون مسيحيين حتى اليوم ويبلغ عددهم قرابة ١٠٠٠٠٠ نسمة، والآخرين «نونوكرياشن» أو المرتدون الجدد الذين عاد معظمهم إلى الإسلام بعد عام ١٩٠٥م ويقدر عددهم اليوم حوالي ١٥٠٠٠٠ نسمة.

لأعمال الإحسان والتربية، وحورب رجال الدين المسلمون، وأصبحوا أمام خيارين: إمّا الموت وإمّا السير في ركب الإمبراطورية الروسية^١، بالإضافة الى القسوة والإرهاب والإضطهاد، فقد استخدم القياصرة أسلوباً آخر وهو إرسال مبشرين روس يعملون على تنصير المسلمين بأساليب مختلفة، ولكن دون جدوى. فاستمرّ ترسخ الإسلام وانتشاره، وقد سجّل تقدّماً جديداً في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أيام حكم القياصرة كاترين الثانية^٢، حيث بدأت عام ١٧٦٤م بانتهاج سياسة تسامح ديني إلى حدّ كبير، فمنحت تتر الفولغا حرّيتهم الدينية المطلقة وحقّهم ببناء الجوامع والمدارس القرآنية، وأصبح تجار تتر الفولغا وسطاء بين روسيا وآسيا الوسطى، وكانوا يتصرّفون أيضاً كدعاة للإسلام بينون الجوامع والمدارس ويحملون الإسلام الى الشعوب التي مازالت شبه وثنية في بشكيريا وسيبيريا الغربية وسهوب القازاخ^٣. غير أنّ الأوضاع لم تستقرّ على ما هي عليه فتغيّر بتغيّر القيصر وتبدّل الحكومة، ففي أيام القيصر الكسندر الأوّل غير المبالي بالإسلام، سلب التتر ودفعوا عن مناطقهم فلم تبق أمامهم غير وسيلة واحدة للحياة، هي الهجرة إلى الإمبراطورية العثمانية. ويقدر أنّ أكثر من مليوني تتر غادروا وطنهم بين أعوام ١٧٨٣ و١٨٩٣م ليستقروا في تركيا والأقاليم التي كانت آنذاك عثمانية مثل رومانيا وبلغاريا.

٤- الحركات السياسيّة والإسلامية في تترستان:

نتيجة للسياسات الجائرة وتصرفات القياصرة الطائشة برزت ردود فعل مختلفة من قبل الشعب التتري في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قبيل الثورة البلشفية، تمثلت في نشوء حركات عرقية وقومية وسياسية ودينية وانتشرت من تتراريا

(١) المسلمون المنسبون في الإتحاد السوفيتي، ألكسندر، لوميرية: ١٨.

(٢) مجلة التوحيد، العدد ٥: ١٠٥.

(٣) ن. آشبيرون، تطوّر الإسلام في الإتحاد السوفيتي: ٦٥.

إلى الأقاليم الأخرى، فظهرت عدة حركات إسلامية منها:

١ - الحركة القومية الإسلامية: وظهرت لأول مرة في نهاية القرن التاسع عشر بقيادة تتر الفولغا وانتشرت بسرعة في الأقاليم الإسلامية الأخرى وكانت حركة أهلية محلية تولدت عفواً بين مسلمي تارستان في روسيا، وقد نفذت إليها إيديولوجيات أجنبية عديدة مثل الرومانتيكية الألمانية، والتحررية البريطانية، وإيديولوجية الثورة الفرنسية، وإيديولوجية تركيا الفتاة وغيرها، وكانت تتسم بالتحررية المعتدلة المنفتحة على المسلمين كافة ولكن بقيادة التتر.

٢ - حركة الرابطة الإسلامية المشتركة: نشأت هذه الحركة بين برجوازي تتر الفولغا على شكل حركة سياسية إسلامية هدفها توحيد المجتمع الإسلامي في إمبراطورية القيصرية، مع إضفاء طابع الكفاح من أجل تعميق الرابطة الإسلامية بين المسلمين. فقد كان الزعماء التتر لهذه الحركة يعرفون أن الإسلام ما يزال ضعيفاً فلا يمكنه أن يخوض حرباً معلنة ضد إمبراطورية القيصرية، لذلك فقد ظلوا حتى عام ١٩٠٥م معتدلين ومخلصين للدولة القيصريّة الروسية بحيث لم تكن مطالبهم تتجاوز المساواة في الحقوق الشخصية مع الروس، متصورين أن انفصالهم عن الإمبراطورية مضرّ حتماً بالمسلمين، لكنهم غيروا بعد ذلك سياستهم بعد اندحار روسيا عام ١٩٠٥م على يد اليابان، حيث أصبحت روسيا واهنة ضعيفة مما أهاج الأمل بالإنتقام والتحرر من قبل الشعوب الخاضعة للإمبراطورية بما فيها الشعوب المسلمة. وهكذا تطوّرت حركة الرابطة الإسلامية في سنة ١٩٠٥م وعقدت مؤتمرات إسلامية سرية اشترك فيها مئات التترين قدّمت فيها مطالب سياسية وحقوقية جديدة، كان ذلك عام ١٩٠٦م في مدينة (نيجني نوفغورود).

٣ - حزب اتحاد المسلمين: نشأ هذا الحزب في عام ١٩٠٥م وتحول إلى حزب سياسي عام ١٩٠٦م وكان هذا الحزب المحاولة الوحيدة لتوحيد جميع الشعوب

المسلمة في روسيا تحت رعاية التتر.

وسرعان ما انحَلَّ هذا الحزب نتيجة لعدم اتفاقه ومواجهته لحزب الدستوريين الديمقراطيين الروسي مما سبَّب له مشاكل كثيرة، فقررت اللجنة المركزية للإتحاد حُلُّه عام ١٩٠٨م.

كذلك فقد ظهرت حركات ماركسية بعد عام ١٩٠٥م تدَّعي التقدمية، وحركات تجديدية إصلاحية أخرى كانت تحمل إيديولوجية الأحزاب التركية، والرئيسية منها:

١ - حزب الوحدة (بيريك): وقد تأسس في ربيع عام ١٩٠٦م في قازان عاصمة تارستان بزعامة المثقفين والثوريين، وكان جميع الماركسيين من التتر يتعاونون مع هذا الحزب، لقد كانت إيديولوجيته قومية متلوَّنة باللون الماركسي، فهي مزيج بين الاشتراكية والديمقراطية، ولم يستمرَّ هذا الحزب كثيراً حيث قضى عليه في خريف نفس العام.

٢ - حزب تنغشِلر (نجمة الصبح): وقد تأسس في ربيع عام ١٩٠٦م في قازان، وكانت زعامته بقيادة شباب مثقفين من أصل برجوازي، إيديولوجية الحزب انبثقت عن إيديولوجية الاشتراكيين الثوريين الروس، وقد قضت السلطة عليه عام ١٩٠٧م.

٣ - حزب أورالتشِلر (الأوراليون) وقد تأسس في كانون الثاني عام ١٩٠٧م وكانت زعامته بيد مثقفين من أصل برجوازي، وقد بنيت إيديولوجيته السياسية على أساس تبني الإيديولوجية السياسية للحزب البلشفي، وقد تبدَّد هذا الحزب في نيسان ١٩٠٧م^١.

٥- المسلمون في تارستان في ظل السلطة الشيوعية:

لقد كان تتر الفولغا يتطلَّعون إلى من ينقذ البلاد من سيطرة وظلم الحكم القيصري،

(١) المسلمون المنسيون، ترجمة عبد القادر ظلملي: ٣٣.

لذلك فقد كانوا ينظرون إلى ثورة أكتوبر ١٩١٧م بتفاؤل، مما جعلهم من المشجعين للثورة باعتبارها مرحلة انتقالية من الملكية الظالمة. ولكن ما لبثت أن تبددت آمالهم بعد الثورة حيث ذاقوا الويلات من الحكومة الشيوعية اللينينية الملحدة، فبعد أن توطدت السلطة بيد الشيوعيين شنّوا هجومهم المباشر على الدين الإسلامي عام ١٩٢٨م وكان نصيب تارستان كبيراً من هذا الهجوم باعتبارها المعقل الأوّل الذي انتشر منه الإسلام قبل أربعة قرون إلى بقية أقاليم آسيا الوسطى^١.

وامتدّ هذا الهجوم بمنتهى الشراسة حتى إعلان الحرب العالمية الثانية، فقد أُغلقت المساجد في تاربا كلها، كما في بقية البلدان السوفييتية، وكذلك أُغلقت مدارس المسلمين وصودرت أوقافهم.

ومن الفترات العصيبة التي مرّت بالمسلمين فترة حكم خروشوف التي استمرّت من عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٦٤م حيث مورست أبشع الجرائم بحق المسلمين بالإضافة إلى تشويه الحقائق وصرف أفكار الشباب المسلم التتري عن الإسلام. فقد أطلقت الصحافة والإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح وكل الوسائل الإعلامية المتوفرة حملات دعائية شديدة ومكثفة ضدّ الفكر الإسلامي، وكان ذلك بشكل علمي مدروس جُنّد له الآلاف من الخبراء والمتخصصين بهدف محو الإسلام ونشر الفكر الشيوعي الإلحادي ليحلّ محله، ولتتلوّن حياة المسلمين التتريين باللون الأحمر.

فمن عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٦٤م نشر فقط باللغة التترية ما يقارب ٦٥ مؤلفاً ضدّ الإسلام، بالإضافة إلى اللغات الأخرى. واستمرّت هذه المعاناة حتى عام ١٩٩١م عند تحطّم الاسطورة الماركسية واتّضح زيف الادّعاءات الشيوعية وانفراج الوضع المأساوي الذي كان يعيشه المسلمون.

(١) جريدة كيهان العربي: العدد ٢٨٠٤، تارستان تنطلع إلى علاقات مساواة مع روسيا.

خاتمة:

بعد ثقل السنين الطويلة التي أرهقت مسلمي تارستان بالخصوص، وبقية مسلمي منطقة آسيا الوسطى بالعموم، تلك السنين المحملة بالمعاناة والمآسي الرهيبة والمخططات الجهنمية لقتل الإسلام في النفوس، ومنع مظاهره على الأرض، وعزل أجيال كاملة عن تاريخها وأصالتها، ومنعها من الاتصال بالإخوان في الدين في بقية أرجاء المعمورة، بعد تلك السنين القاسية العجاف تحطمت قضبان السجن الذي أحكمه الشيوعيون طيلة أربعة وسبعين عاماً منذ ثورة ١٩١٧م، وطويت صفحات ممتدة في عمق التاريخ خُطت بدماء المسلمين الذين صمدوا أمام ظلم القياصرة وحكوماتهم الجائرة، وتهاوت الجدران التي كانت تخنق النور وتمنعه من الوصول الى تلك البقاع المظلمة وبدت تستقبل هذا النور وتنفض عنها غباراً تراكم عبر الأزمنة القاسية، فانهيار الشيوعية وماترتب على ذلك من نتائج قد عكس حقائق كانت خافية على العالم أجمع، وبرزت صور جديدة لحياة المسلمين في الجمهوريات المستقلة حديثاً، أو تلك التي لاتزال تعيش أمل الإستقلال وإعلان الهوية الإسلامية.

فبالرغم من أن تارستان لاتزال محكومة من قبل روسيا مشكّلة جزءاً من روسيا الفيدرالية، إلا أن الأمل في الإستقلال الكامل يعيش في قلب كل مسلم هناك، سيما وإن إشعاعات الصخرة الإسلامية متواصلة ممتدة، ينال من ضيائها القريب والبعيد، وإن الثورة الإسلامية التي تفجرت في إيران قد اقتطف من ثمارها المسلمون في أقصى نقاط الأرض، فضلاً عن الذين يعيشون تحت ظل هذه الشجرة المباركة.

إن المسلمين في تارستان ينتظرون وينظرون إلى من يمد يد العون إليهم، وإلى من ينصرهم بالكلمة الصادقة ويدافع عن مظلوميتهم، وبزريح عنهم آلام الماضي المريرة وينفض عن تاريخهم الحافل بالجهاد والدفاع عن الهوية الإسلامية غبار النسيان والإهمال، فطالما صمدوا ووقفوا بوجه عملية الدمج الحضاري ومخططات الترويس



اِسْتِظْلَاع

والمسخ الفكري التي مورست وماتزال من قبل الحكومات الروسية المتعاقبة إلى يومنا هذا، لذلك فقد بقي الإسلام حيّاً في نفوسهم باعثاً فيهم الأمل، ورمزاً يذكرهم بأمجادهم وبطولاتهم، سيّما وقد تفتّحت أمامهم أبواب الإستقلال السياسي، وبدأ النشاط يدبّ في الحركة الإسلامية بعد نوم عميق دام عدّة عقود، فبدأ تلتهّفهم إلى الإسلام واضحاً من خلال النشاطات الإسلامية المختلفة، وتأسيس الجمعيات والمؤسسات المختصة بتنقيف الجيل الناشئ إسلامياً، ففي العاصمة (قازان) تأسست عدة جمعيات إسلامية مثل جمعية أهل القرآن والحديث، وجمعية القرآن الكريم، وجمعية الإيمان، وجمعية الإمام الصادق عليه السلام، وغيرها. وهذه دلالة بداية عهد جديد للإسلام في تارستان متزامنة مع هبوب نسيم الصحوّة الإسلامية لتمتّزج بذكريات الماضي التليدة.

قال الله سبحانه وتعالى :

قَدْ بَدَأَ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ
وَمَا يَخْفَىٰ فِي صُدُورِهِمْ أَكْبَرُ

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ آيَةُ ١١٨

مَعَ نَمَازِجَ مِنْ كِبَارِ رِجَالِ الْغَرْبِ فِي مَنَهِجِ تَأْوِيلِهِمُ لِلرِّقِ الْإِسْلَامِيِّ

الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -

طيلة قرون وحتى فترة متأخرة من القرن العشرين لم تتعرف الشعوب الغربية على الشرق الإسلامي من خلال مصادره الخاصة وتراثه المباشر، إنما عرفوه من خلال رجال متخصصين، وعلى رأسهم المستشرقون الذين جالوا بلدان الشرق الإسلامي، وسجلوا مشاهداتهم الحسية من الواقع، ونقلوا إلى جامعاتهم ومعاهدهم الآلاف من الكتب والمصادر والوثائق وأخضعوها للدرس والتحليل. وعلى أساس من خلفياتهم الغربية ومنطقهم العلماني وشعورهم الاستعدادي لكل ما ينتمي للإسلام فكراً ومجتمعاً، واستهدافهم المتناغم مع التطلعات الإستعمارية لدول الغرب، صوّروا الإسلام ومجتمعه للغربيين، بل وطرحوه لأمم العالم وشعوبه بثوب جديد نسجته عقولهم على ضوء نظريتهم وخلفياتهم تلك، فخرج مشوهاً في حقيقته، مزيناً بأثواب التحديث وبريق التقدم الزائف، حتى أصبحت كتبهم ومؤلفاتهم عن الشرق الإسلامي هي المصادر الأساسية ومراجع التعريف والدراسة الوحيدة تقريباً للشرق الإسلامي في جميع معاهد وجامعات الغرب، بل وأغلب الجامعات التي أنشئت على المنهج الغربي في أنحاء العالم. وفي سبيل تسليط الضوء على هذه الحقيقة رأينا أن ندرس منهج تفكير وطريقة تناول نماذج تعتبر من أكبر من تصدّى لدراسة الشرق الإسلامي وتعريفه والعمل على أرضه وفي وسط مجتمعاته من رجال الغرب، ولا يمكننا أن نخرج عن دائرة المستشرقين في هذه النماذج لأنهم هم وحدهم الذين تتوفر

فيهم مواصفات الشمولية والتخصص في مثل هذه الدراسات، خصوصاً وأن كبارهم هم أصحاب مدارس متميزة ورائدة في مجال دراسة الشرق الإسلامي إيديولوجياً واجتماعياً.

إنّ انتقاء نماذج من كبار رجال الإستشراق سيكون منسجماً مع هدفنا في تشخيص وتقويم منهج دراسة الغربيين للشرق الإسلامي وتعريفه، كما أنّ الأساس الذي اعتمدناه في هذا الانتقاء هو الدور الخطير فكرياً وميدانياً لهؤلاء الرجال، والذي سيكشف لنا عن الأثر السلبي الكبير الذي تركوه على الذهنية الغربية في فهم الإسلام ومجتمعاته من جهة، وعن التخريب الفكري والاجتماعي الذي أحدثوه في المجتمعات الإسلامية عن طريق صياغة إيديولوجيات وبرامج تغيير لحرف توجهات هذه المجتمعات عن مسارها الإسلامي ومحقق هويتها الدينية من جهة أخرى، وبذلك استغنى الإستعمار الغربي عن الأسلوب العسكري المباشر في السيطرة على الشرق الإسلامي، واكتفى بالإستعمار الفكري والمنهجي المتمثل بجملة من المبادئ والاطروحات الحديثة التي ألبست ثوب القومية أو الوطنية تارة، وثوب التمدّن والتحديث تارة أخرى، وثوب الدفاع عن حق الشعوب وحريتها الفكرية تارة ثالثة.

وفيما يلي ثلاثة نماذج رائدة في هذا المجال تتناولها تباعاً:

أولاً: أرنديجان ونسك Arendjan wensink (١٢٩٩-١٣٥٨هـ، ١٨٨٢-١٩٣٩م) وهو مستشرق هولندي كان استاذ اللغة العربية في جامعة ليدن من سنة ١٩٢٧م الى مماته، وقام برحلات الى مصر وسوريا وغيرها من بلاد العرب. اهتم بالحديث النبوي، وتولّى الإشراف على تحرير معظم موضوعات «دائرة المعارف الإسلامية» سنة ١٩٢٥م بلغاتها الثلاث، فأتم منها أربعة مجلّدات وخمس ملازم، وكتب مقالات كثيرة في مجالات مختلفة، وله كتب بالإنجليزية عن الإسلام والمسلمين.^١

(١) الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم» ١: ٢٨٩.

رُشِّح ونسك لعضوية مجمع اللغة العربية في مصر، ولشدة تعصبه ضد الإسلام تعرّض لهجوم من قبل الدكتور حسين الهواري مؤلف كتاب «المستشرقون والإسلام» الذي صدر سنة ١٩٣٦م مما أحدث أزمة معه كانت تتيجتها أن أخرج ونسك من عضوية المجمع، وكان السبب في هذا الهجوم قيامه بنشر رأيه في القرآن والرسول، مدّعياً أن الرسول ألّف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التي سبقته^(١).

ولهذا عُرف بأنه عدو لدود للإسلام ونبيّه صلى الله عليه وآله، ومتعصب بكتاباته كما في كتابه «عقيدة الإسلام» الذي صدر في سنة ١٩٣٢م^(٢). ولما كانت مدينة (ليدن) وجامعتها في هولندا قد اشتهرت بغزارة انتاجها الإستشراقي، فقد ترأس ونسك الذي كان يدرّس فيها مجموعة من زملائه للقيام بعملين كبيرين:

أولهما: دائرة المعارف الإسلامية، وصدر الجزء الأول منها عام ١٩١٣م، والتي ضمّنها أخطر آرائه، منها ما ورد في كلمة «إبراهيم» وفي كلمة «كعبة». فقد أشار تحت لفظ «إبراهيم» إلى: أن الآيات المكيّة ليس فيها ذكر لنسب اسماعيل لإبراهيم، ويقول: إنه لا يعرف شيئاً عن شعور محمد نحو الكعبة في شبابه، وإنّ ما لديه من تاريخ حياته لا يصحّ أن يؤخذ أساساً تاريخياً. وينسب ونسك الى النبيّ صلى الله عليه وآله أنه لم يشذ عن الجماعة في العبادة المكيّة، أي بعبارة أكثر صراحة أنّه كان وثنيّاً قبل البعثة. ويفتري ونسك حين يصرّح أن كلمة إبراهيم اخترعت اختراعاً، ويزعم أن محمداً أراد بهذا الاختراع أن يتصل بإبراهيم^(٣).

ورأيه هذا يطرحه ليؤكد نفس المقولة التي ردها سلفه اليهود والنصارى عندما بُعث النبيّ محمد صلى الله عليه وآله بالإسلام، والتي ردّها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ما

(١) د. الهواري، حسين - المستشرقون والإسلام: ٧١٠ وما بعدها.

(٢) د. البهي، محمد - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: ٥٥٥.

(٣) الجندي، أنور - الموسوعات الغربية من أخطر أعمال التشريب والغزو الثقافي - مجلة منار الإسلام، العدد ٦، السنة ١١.

كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا^١.

ويستمر ونسبك في افتراءاته فيشارك كل من المستشرقين «شبرنجر» و«سنوك» في ترجمة النبي إبراهيم عليه السلام ضمن دائرة المعارف الإسلامية قائلاً: إن القرآن لم يحفل بإبراهيم، ولم يذكر أبوته لإسماعيل ولا أبوته للإسلام، إلا في السور المدنية، وسر هذا الاختلاف أن محمداً اعتمد على اليهود في مكة، فلما اتخذوا حياله العداء لم يجد بداً من أن يلتبس غيرهم ناصراً. هناك هداه ذكاء شديد إلى شأن جديد لأبي العرب إبراهيم، وبذلك استطاع أن يتخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية إبراهيم، تلك اليهودية التي كانت ممهدة للإسلام^٢.

ثانيهما: في مجال فهرست السنة، فقد أصدر كتائين: أحدهما: معجم بالإنجليزية للألفاظ الواردة في أربعة عشر كتاباً من كتب السنن والسير. نقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، وسمّاه (مفتاح كنوز السنة). والآخر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الذي نشره بالعربية وتوفي قبل إتمامه^٣.

وقد حقق ونسبك بهذا المشروع الضخم هدفين أساسيين كان يسعى إليهما أغلب المستشرقين في أعمالهم الإستشراقية في هذا الباب العلمي. الهدف الأول: هو تيسير العمل أمام المستشرقين لتناول السيرة النبوية بشكل تفصيلي دقيق يمكنهم من استقصاء ما يمكن أن يكون - بعد العلاج - مورداً للنقض والتشكيك والنيل من الإسلام ونبه صلى الله عليه وآله. والهدف الثاني: تحويل توجه الكتاب والباحثين عن السنة النبوية إلى المراجع الاستشراقية، خصوصاً إذا لوحظ امتيازها الفني والموسوعي، مما يجعلها في الصدارة والمجال الأول بين مراجع المسلمين، فيعتمدون عليها ويكتفون بها رغم ما فيها من خلط وتحريف وافتراء، وينسون مع تقدّم الزمان مراجعهم الأصلية. وفي هذا المجال

(١) آل عمران: ٦٧.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية - مادة إبراهيم.

(٣) الزركلي، خير الدين - الأعلام «قاموس تراجم» ١: ٢٨٩.

يقول الشيخ محمد حسام الدين: وكان أخطر عملهم في مادة (حديث) ومادة (سنة)، لتجد فيها ما يجرح الإسلام وما يفسد الحقيقة، وأنهم يقدمون الشبهات في أساليب يعجز عنها الشيطان، وذلك ما رمى إليه «ونسك» وهو الطعن على وجه أشد في المصدر الثاني بعد كتاب الله وهو السنة النبوية، بل بوصفها البيان لكتاب الله تعالى، فإذا جرى الاعتماد على مراجعهم كان هذا شديد الخطر على الإسلام والأجيال القادمة^١.

وقد أدخل ونسك بكتاييه «كنوز السنة» و«المعجم المفهرس لألفاظ الحديث» أخبار وتقارير شاذة وواهية مردودة نثرها في الكتابين، ودسها في سياق الصحيح لتسوغ معه وتشبه به، وليستقر في ذهن القارئ أنها من الثوابت الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعضه يصل إلى درجة الشناعة وتبرأ منه السنة الشريفة. وإن اعتماد المنهج العقلي والعلمي يقتضي التنويه - ولو إجمالاً - إلى أن الأخبار والروايات المنسوبة إلى السنة الشريفة فيها الصحيح الموثق، وفيها الضعيف والمرسل والمتروك، ويطلب من القارئ - على الأقل - مراجعة المصادر الخاصة ببيان قواعدها وطرق التثبت منها.

ثانياً: صموئيل زويمر Samuel Zwemer (١٨٦٧ - ١٩٥٢م). من أبرز المستشرقين الأمريكيين الذين خاضوا عملهم ميدانياً في منطقة الشرق الأوسط خصوصاً جنوب العراق ودول الخليج العربية، وهو المحرر للمجلة الإنجليزية الإستشرافية الشهيرة «عالم الإسلام» وقد اشتهر بدوره التبشيري وعدائه الشديد للإسلام. له مؤلفات عديدة عن الإسلام في العالم، وعن العلاقات بين المسيحية والإسلام، منها كتاب «يسوع في إحياء الغزالي» وكتاب «الإسلام تحدٍ لعقيدة» صدر سنة ١٩٠٨م. وكتاب «الإسلام» وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني سنة ١٩١١م بمدينة «لكناو» في الهند. ويعتبر زويمر من أكثر المستشرقين توجهاً نحو التنصير، وتقديراً لجهوده التبشيرية أنشأ

(١) الجندي، أنور - أبرز أهداف المستشرقين، مجلة منار الإسلام، العدد: ٨، السنة: ١٤.

الأمريكيون وفقاً باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين.^١ وكانت أولى أعماله الميدانية اختياره عضواً في الإرسالية الأمريكية العربية عام ١٨٨٩م^٢، وهي إرسالية أمريكية بروتستانتية ذات أهداف تبشيرية في منطقة الخليج العربية وشبه الجزيرة العربية (الحجاز). وقد كانت المهمة الرئيسية للإرسالية هي التبشير والتعليم الديني وتقديم الخدمات الطبية والصحية من خلال الواجهة التبشيرية. وكانت عملياتهم اليومية تدار من قبل لجان مشكّلة لهذا الغرض محلياً، وذلك وفق خطة عمل الإرسالية تحويل أهالي الجزيرة العربية إلى الديانة المسيحية حيث تقول «آن هاريسون»: لقد أرسلنا لتحويل الناس إلى المسيحية والدعوة إلى قدرة الله.^٣ وهكذا فإنّ هدف صموئيل زويمر - الذي كان من أبرز رفاقه (الدكتور لانسنيج) في الإرسالية نشاطاً واندفاعاً - دفع جميع بني الإنسانية ليصبحوا أتباعاً للسيد المسيح عليه السلام، وكانت خطة الإرسالية تجسّداً لهذه الأفكار. وقد عمل «زويمر» وصحبه كل ما بوسعهم لإرساء دعائم هذه الإرسالية.

ولمعرفة طريقة ومنهج تفكير وعمل زويمر يُطرح السؤال التالي: لماذا اختاروا اسم «الإرسالية العربية» لهذه المنظمة التبشيرية؟ وجوابه نجده في متن الخطة^٤ التي وضعها

(١) د. البهي، محمد - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: ٥٥٣ - ٥٥٤.

(٢) قام الدكتور لانسنيج وهو استاذ اللغة العربية في معهد اللاهوت في نيويورك في ولاية نيويورك في الامريكة بتدريب المبشرين التابعين لكنيسة الإصلاح في الولايات المتحدة الأمريكية، وثلاثة من مساعديه وهم: جيمس كانيثن، وصموئيل زويمر، وفيليب فيلبس بتشكيل هذه الإرسالية، وكان اسمها الأصلي «العجلة The Weel»، وقد أطلق الدكتور لانسنيج ومساعدوه هذا الاسم عليها، ولكنه اضطر لتغييره إلى الإرسالية العربية عام ١٨٨٩م. تلبية لطلب رسمي مقدّم إلى هيئة الإرساليات الأجنبية التابعة لكنيسة الإصلاح في أمريكا للسماح بعمل تبشيري في البلاد الناطقة بالعربية.

عن د. التميمي، عبد الملك خلف - التبشير في منطقة الخليج العربي: ٤٥ - ٤٦.

(٣) HARRISON - Ann - Atol in his hand, N.Y. 1958. P. 126.

عن د. التميمي - عبد الملك خلف، كتاب «التبشير في منطقة الخليج العربي».

(٤) د. التميمي، عبد الملك خلف. التبشير في منطقة الخليج العربي، ملحق رقم واحد، خطة الإرسالية الأمريكية العربية: ٣١٧ - ٣١٨.

زويمر ورفاقه وهي:

١- إن الهدف الأساسي لهذه المنظمة كان العمل التبشيري في بلاد عربية، وبشكل أساسي شبه الجزيرة العربية، والتي هي موطن العرب والدين الإسلامي.

٢- إنهم أرادوا أن تكون هذه الإرسالية مختلفة ومميزة عن غيرها من الإرساليات المسيحية لكي تستطيع أن تلفت الانتباه لهذا الميدان الجديد والذي كانوا يعتقدون أنه مهياً لاستقبال أمثال هذه الدعوة.

٣- إن اختيار الاسم يهدف إلى التغلب على الشكوك التي يحملها العرب نحو أنشطة الأجانب. وهذه الشكوك كانت طبيعية جداً، خصوصاً في ذلك الوقت عندما كان الصراع الأجنبي على أشده في منطقة الخليج العربية بشكل خاص. وقد وضعت الأصول العامة لنشاط الإرسالية في المرحلة المقبلة واختارت الجزيرة العربية هدفاً لها.

وعن الأسباب التي دعت لاختيار الجزيرة العربية هدفاً للإرسالية. يقول صموئيل زويمر: إن من بين الدوافع للعمل في (الجزيرة العربية) أولاً: الأسباب التاريخية. إن للمسيح حقاً في استرجاع الجزيرة العربية، وقد أكدت الدلائل التي تجمعت لدينا في الخمسين سنة الأخيرة على أن المسيحية كانت منتشرة في هذه البلاد في بداية عهدها. وهناك دلائل أثرية واضحة على وجود الكنيسة المسيحية هناك، ولهذا فإن من واجبنا أن نعيد هذه المنطقة إلى أحضان المسيحية^١.

والسبب الثاني هو أن النجاح المسيحي في الجزيرة العربية سيكون نقطة تحوّل في العمل التبشيري المسيحي، وهذه الفكرة كانت تفترض أن نجاحهم سيكون منطلقاً لفتح أبواب المنطقة بأكملها أمام التبشير المسيحي. إن أهم ما قامت به الإرسالية أنها قدّمت للمبشرين الأمريكيين مساعدات قيمة، وأهم هذه المساعدات ما يتعلق بتقديم

(١) 2. - 141. Zwemer. S.M. and Cantine, J, OP. Cit, PP.

عن د. التميمي، عبد الملك خلف: كتاب التبشير في منطقة الخليج العربي.

المعلومات عن أحوال المنطقة وخصوصاً الجغرافية والاجتماعية والدينية، بالإضافة الى هذا، فإنّ الإرسالية العربية حصلت على تعاون المنظّمات المشابهة في العراق كالإرسالية المتحدة في العراق، والمجلس المسيحي للشرق الأوسط، وجمعية الكنيسة التبشيرية. وكانت أولى محطات العمل الميداني لهذه الإرسالية هي البصرة التي أصبحت فيما بعد مركزاً وقاعدة لعملياتهم في منطقة الخليج العربية، وهي من بين المناطق الهامة التي كانوا يخططون لاحتلالها^١.

وكان الرائد الأول للعمل في هذه المحطة هو المستشرق «صموئيل زويمر» الذي كان يحظى بحماية القنصلية الأمريكية في البصرة من ردود فعل المواطنين وقياداتهم الدينية التي كان يواجههما بالإضافة الى سلطات الدولة العثمانية.

ومن البصرة يبدأ عمل الإرسالية بقيادة «زويمر» لتغطية معظم أراضي الخليج وبعض أجزاء شبه الجزيرة العربية ممهّدين لذلك برحلات استكشافية لدراسة الأوضاع الجغرافية والسياسية بشكل مباشر، ثمّ على ضوئها يتم التخطيط للإمتداد في المناطق المناسبة، ويبدأ العمل تدريجياً حتى تثبت أقدامهم في تلك المناطق. وقد استطاعوا أن يستقرّوا في البحرين ثمّ في مسقط وهكذا في الكويت وقطر، ثمّ تلتها المحطات الفرعية كالعمارة والناصرية في العراق، وميناء مطرح في مسقط.

وقد اشتهر «زويمر» هذا بأنّه كان يلقّب نفسه بـ «ضيف الله» عند تردّده بين البصرة والبحرين والاحساء، وكان عملياً جداً بحيث أنّ أول أعماله ضمن الإرسالية الأمريكية

(١) إن كلمة (احتلال المنطقة) استخدمها المستشرقون المبشرون في أدبياتهم، وهي أقرب الى اللغة العسكرية منها الى التبشير السلمي الذي يدعون لأجله.

The Arabian Mission Correspondence 1890 - 1898 Archives

No. 753 - Box VI . letter From Rev. - J. Contian to the Board dated May

26-1892 , the theological seminary,

new Branswick , N . J . U . S . A.

عن د . التميمي، عبد الملك خلف - كتاب التبشير في منطقة الخليج العربي.

العربية فتحه حانوتاً في السوق لبيع الكتب المختلفة، ثم تخصص بالتدريج في بيع الكتب التي تفرّق بين الأديان، ثمّ باشر بنفسه تأسيس مدرسة ومستشفى صغير للتنصير. ثمّ استقدم عدداً من المراسلين والدعاة للتنصير من النساء والرجال الأمريكان الى دول الخليج، وخصوصاً البحرين، وقد عرف بجرأته حتى أنّه استطاع أن يقتحم الأزهر ويوزّع منشوره المعروف تحت عنوان «ارجع الى القبلّة القديمة» ولعلّ هذا أحد قرائن ولائه الصهيوني الذي عُرف عنه مؤخراً.

لقد رأس زويمر عدداً من مؤتمرات التنصير العالمية التي عقدت في القاهرة والهند والقدس وأدلى فيها بتقارير ضافية عن الخطوات التي حققها محاولته في (تنصير المسلمين). وقد كشف هذا المستشرق في أخطر مؤتمراته عن فشل مغامرة التنصير خلال ربع قرن، وتراجع عن دعوته فقال: إنّهُ لا يدعو لإدخال المسلم في النصرانية، وإنّما يدعو الى إخراجهِ من الإسلام ويقول: لقد صرفنا من الوقت شيئاً كثيراً وأنفقنا من الذهب قناطير مقنطرة، وألّفنا ما استطعنا أن نؤلف وخطبنا! ومع ذلك كله فإننا لم ننقل من الإسلام إلا عاشقاً بنى دينه الجديد على أساس الهوى، فالذي نحاوله من نقل المسلمين من دينهم هو باللعب أشبه بالجد... وعندي أننا يجب أن نعمل حتى يصبح المسلمون غير مسلمين. إنّ عملية الهدم أسهل من البناء في كل شيء إلا في موضوعنا هذا، لأنّ الهدم للإسلام في نفس المسلم معناه هدم الدين على العموم^١. وقد دعا زويمر الى توسيع نطاق التعليم التنصيري تحت أسماء أخرى لخداع المسلمين، ودعا الى توحيد هيئات التنصير.

لقد كان زويمر متطرّفاً شديد التعصّب ضد الإسلام والمسلمين، وقد بلغ به الأمر الى أن يحذّر من أي تقارب وتوافق مع المسلمين «فقد هاله أن يرى نفرّاً من النصارى يدعون

(١) الجندي، أنور - مجلة منار الإسلام، العدد ٦، السنة ١١، حرب الكلمة ومخططات كرومر ودنلوب وزويمر ضد الإسلام.

الى مصادقة المسلمين في الصين، لأن هذه الصداقة في نظره تخلق في نفس النصارى جنباً عن التبشير»^١.

ونلاحظ من خلال ما تقدّم عن هذا المستشرق المبشّر أن جوهر عمله هو تحقيق غاية الدول الغربية الطامحة الى السيطرة والإستعمار، ولم يكن يخفي في نفسه ذلك، بل إنّه يعتبر أن دوره ودور نظائره لا ينتهي عند حد استعمار الشرق، بل لابد أن يستمر لاستدامة هذا الإستعمار وتركيز أراضيته، فيقول في المؤتمر التبشيري الذي عقد في عام ١٩١١م في لكناو بالهند: إن خمسة وتسعين مليوناً على أقل تقدير من أتباع نبي مكّة يتمتّعون اليوم بنعمة الحكم البريطاني^٢. وكذلك يؤكّد ماقلناه عنه رأيه الصريح الذي يفصح عنه بقوله: إن الأبواب المفتوحة التي تؤدّي فعلاً الى الإسلام إنما هي المستعمرات التي يعيش فيها المسلمون تحت حكم مسيحي أو حكم وثني أيضاً (في إفريقيا والهند مثلاً)^٣. ويقصد بذلك أن عملهم يجب أن يبدأ بمرحلته الثانية عندما يستعمرون هذه البلاد ولا يتركون للإسلام فرصة حياة ووجود في واقع المسلمين.

وعندما أخذ المؤتمرون في مؤتمر «لكناو» بالهند يتدارسون الأحوال السياسية في العالم الإسلامي، خطب زويمر وقال: إن الإنقسام السياسي الحاضر في العالم الإسلامي دليل بالغ على عمل يد الله في التاريخ، واستثارة للديانة المسيحية (لكي تقوم بعمل) إذ إن ذلك يشير الى كثرة الأبواب التي أصبحت مفتحة في العالم الإسلامي على مصاريعها. إن ثلاثة أرباع العالم الإسلامي يجب أن تعتبر الآن سهلة الإقتحام على الإرساليات التبشيرية. إن في الإمبراطورية العثمانية اليوم وفي غربي جزيرة العرب وفي ايران

(١) عن د. خالددي، مصطفى. ود. فروخ، عمر.

MW. ADr. 28, PP. 109 ff.

من كتاب «التبشير والإستعمار في البلاد العربية»: ٣٨.

(٢) عن د. خالددي، مصطفى. ود. فروخ، عمر. 14. Islam and Missions. في كتاب التبشير والإستعمار في البلاد العربية: ١٤٦.

(٣) نفس المصدر السابق: ١٤٦. 22. Islam and Missions.

والتركيستان والأفغان وطرابلس الغرب ومراكش سدوداً في وجه التبشير، ولكن هناك مائة وأربعون مليوناً من المسلمين في الهند وجاوة والصين ومصر وتونس والجزائر يمكن أن يصل إليهم التبشير المسيحي بشيء من السهولة^١.

وهكذا نجد زويمر يقوم بدوره الميداني كممهد ومنظر لحركة الإستعمار في الشرق، حتى وصل به الأمر أن ينصح بريطانيا العظمى أن تبدل سياستها المهادنة في مصر تبديلاً أساسياً، وأن تشعر المصريين بقوة بريطانيا وبنعمها عليهم^٢. وهذا بكلمة أخرى ترسيخ الإستعمار بالقوة والقهر.

ولم يهمل زويمر أسلوب الإغراء مستفيداً مما يعتبر أحد الأساليب الناجعة التي مارسها المسلمون لكسب الناس الى الدين الإسلامي، فقد كتب في المجلة الإستشرافية التي يحررها «العالم الإسلامي» مقالاً عنوانه «استخدام الصدقات لاكتساب الصابئين» والذي يبحث فيه كيف أن الإسلام على عهد الرسول صلى الله عليه وآله أجاز إعطاء الزكاة للمؤلفة قلوبهم، أي أولئك الذين دخلوا في الإسلام وكانوا ذوي حاجة وذوي اتجاه مادي^٣. ويقصد بذلك أن استخدام الإحسان المادي من الأساليب المؤثرة في طريق التبشير المسيحي وتحويل الناس نحو النصرانية.

وهكذا وفي خاتمة الحديث عن هذا المستشرق الفعّال يمكننا القول بأن ما وضعه من خطط وبرامج تبشيرية واستعمارية ما يزال العمل بها سارياً حتى اليوم، خصوصاً من خلال مناهج التعليم والتربية والثقافة في أغلب البلاد الإسلامية.

ثالثاً: لويس ماسينيون Louis Massignon (١٨٨٣ - ١٩٦٣ م): من أكبر مستشرقي فرنسا، تسنّم مناصب حسّاسة كان لها الدور الكبير في توجّهاته الإستشرافية، فقد شغل

(١) عن د. خالدي، مصطفى، ود. فروخ، عمر - التبشير والإستعمار في البلاد العربية: ١٦٩ - ١٧٠.

(٢) نفس المصدر السابق: ١٧٤ f. 25. Ibid. Islam and Missions. 22.

(٣) عن د. خالدي، مصطفى، ود. فروخ، عمر - التبشير والإستعمار في البلاد العربية: ١٩٥.

PP. 141 ff.

منصب مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا. وكذلك الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر، ولعل العمل الذي شغله ماسينيون قد تناسب مع دور فرنسا في تشويه الفكر الإسلامي كمقدمة وطريق لإزالة العقبات عن حركتها الإستعمارية للشرق الإسلامي، ولهذا اشتهرت بأنها من أبرز دول أوروبا الغربية في مجال إعداد جيش من المبشرين والمستشرقين، مدرّبين على أحدث وسائل التنصير والتبشير، انتشروا في إفريقيا ودول الشرق الأوسط^١.

وهذا هو الذي دفع رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق «محمد كرد علي» للقول: «بأننا نرى من واجبتنا أن يشك كل عربي وكل مسلم في أكثر مما يصدر من الأحكام من الفرنسيين على الإسلام والمسلمين، وذلك لأنه ثبت أن من الفرنسيين من لا ينظرون إلى كل أمر إلا بمنظار الإستعمار^٢. ويؤكد الكاتب الإسلامي «مالك بن نبي» هذه الحقيقة في دور ماسينيون قائلاً: «إن ماسينيون قد تفرغ آخر حياته للتبشير، وقد مدّ وزارة الخارجية الفرنسية بالمعلومات والتوصيات حول البلاد الإسلامية، وتهيئة العملاء والكتاب^٣. ويساعد على مذكراته الوضع الميداني لماسينيون، فقد زار العالم الإسلامي أكثر من مرة، وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولى، وكان عضواً بالمجمع اللغوي المصري، وكذلك عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق، و«تعاون مع النظام الإستعماري الفرنسي في المغرب، وعبر عن مواقفه الإستعمارية علانية»^٤.

أما التوجهات العلمية لماسينيون في العلوم الإستشراقية فقد تعلم اللغات العربية

(١) المركز الإسلامي للأبحاث السياسية في قم، عن كتاب «السياسة الفرنسية في الشرق الأوسط»: ٥٦.

(٢) د. خالد، مصطفى، ود. فروخ، عمر - التبشير والإستعمار في البلاد العربية: ٢٢١.

(٣) بن نبي، مالك - شاهد القرن الطالب.

(٤) د. بن عبود، محمد - مجلة العالم، العدد ٢٩٤، المساهمة الإيجابية لحركة الإستشراق لا تنفي تعصب بعض المستشرقين ضد الإسلام.

والفارسية والتركية والالمانية والانجليزية، وعني بالآثار القديمة، وأدت مشاركته في التنقيب عنها بالعراق (١٩٠٧ - ١٩٠٨م) إلى اكتشاف قصر الاخضر. درّس تاريخ الإصطلاحات الفلسفية بالعربية في الجامعة المصرية القديمة (١٩١٣م) واستهواه التصوّف الإسلامي فكتب عن «مصطلحات الصوفية» و«أخبار الحلاج» ونشر «ديوان الحلاج» مع ترجمته الى الفرنسية، وكذلك نشر «الطواسين» للحلاج، وكتب عن «ابن سبعين» الصوفي الأندلسي، وعن «سلمان الفارسي» وتظاهر بالدعوة الى فكرة توحيد الديانات الكتابية الثلاث.

نشر «منتخبات من نصوص عربية خاصة بتاريخ الصوفية في الإسلام» وتولّى تحرير «مجلة العالم الإسلامي» الفرنسية التي سميت فيما بعد بـ «مجلة الدراسات الإسلامية» وأصدر بالفرنسية أيضاً «حوليات العالم الإسلامي» من سنة ١٩٢٣م الى سنة ١٩٥٤م، وكتب كثيراً في «دائرة المعارف الإسلامية» عن القرامطة والنصيرية والكندي وفلسفة ابن سينا وأمثال ذلك. وكتب كذلك «تاريخ العلم عند العرب» في «دائرة المعارف الممتازة» التي صدرت بباريس (المجلد الأول سنة ١٩٥٧م)^١. وممن تأثر به ماسينيون تأثراً كبيراً هو المستشرق اليهودي النمساوي «أغناس غولدصيه» الذي حاول أن يثبت أنّ الحديث النبوي كلّهُ موضوع في عهود لاحقة لعهد الرسول صلى الله عليه وآله، وذلك في كتابه «دراسات إسلامية» كما اعتبر الدين الإسلامي نسخة مشوهة للديانة اليهودية والمسيحية، حيث عبّر عن ذلك بوضوح في قوله: لا يهمنّا من وجهة نظر التاريخ الثقافي أن لا تكون تعاليم محمد ناتجة عن ابداع عبقرته التي جعلته نبياً لدى شعبه، وإنّما المهم أنّه أخذ جميع تعاليمه من اليهودية والمسيحية^٢. وبالتالي فإنّ ماسينيون أخذ كثيراً من تعاليم هذا المستشرق اليهودي، وبدت واضحة على كتاباته وشروحه التي نشرها في

(١) الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم» ٢٤٧: ٥.

(٢) د. بن عبود، محمد - المساهمة الإيجابية لحركة الإستشراق لا ننفي تعصّب بعض المستشرقين ضدّ الإسلام. مجلة العالم، العدد ٢٩٤.

أكثر من كتاب، فمثلاً كان ماسينيون يركز على المعارف الفلسفية والصوفية الشاذة والسيئة كالتى كتبها في دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة (الشطح) كقول البسطامي: (سبحاني، سبحاني، إنّ لوائي أعظم من لواء محمد، طاعتك لي يا رب أعظم من طاعتي لك)¹.

إنّ ماسينيون قد وضع ووظف جُلّ معارفه الاستشراقية في خدمة الأهداف الإستعمارية وفي مقدّمها التبشير للنصرانية، ويتّضح هذا في أكثر من دليل، منها زعمه أنّ المسلمين يعتقدون في شأن عيسى بن مريم على ما جاء في القرآن، ومن أجل ذلك يرجو أن توجّه الجهود الى جعلهم يعتقدون بعيسى بن مريم نفسه، ولكن باسمه المسيحي².

ولاشكّ في أنّ ماسينيون يدرك جيداً أنّ نظر المسلمين ونظر النصارى الى عيسى بن مريم مختلفان، إلّا أنّه كان يريد أن يغري المبشرين لاستثمار أي تشابه يمكن أن يكون مدخلاً للتأثير على المسلمين وتحويلهم الى النصرانية، أو على الأقل القبول ببرامجها التثقيفية ومناهجها التعليمية التي تكون طريقاً لربط المسلمين بالايديولوجية الإستعمارية لأوروبا النصرانية. ومما تميّز به ماسينيون هو عدم إكتفائه بطبقة المتعلّمين في التبشير، بل راح يُنظر لطريقة التبشير في وسط الأميين، ومارس ذلك بنفسه رغم أنه أستاذ جامعة في باريس ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية، وخلاصة طريقته كانت الإنصال المباشر بالأميين وطرح الأفكار والمفاهيم المسيحية من خلال الإشارات الكلية الواردة في القرآن الكريم، أو من خلال مفاهيم الإسلام المرتكزة في الوسط العام للاميين. فمثلاً كان يدعو في إحدى مقالاته أن يعود الاعتقاد الإسلامي في رجوع عيسى بن مريم فيتفق مع الحادث الثاني للمسيح النصراني الذي يعمل المهدي العربي على

(١) الجندي، أنور - أخطاء دوائر المعارف والموسوعات العالمية، مجلة «منار الإسلام»، المجلد ٦، السنة ١١.

(٢) عن د. خالد، مصطفى. ود. فروخ، عمر - كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٤٤.

انتصاره^١. ويقصد بذلك أنه مادام لدى المسلمين أخبار يرجع المسيح عيسى بن مريم، فلماذا لا يكون هذا المسيح الراجع هو المسيح الذي يعتقد به النصارى اليوم؟ وبعبارة أخرى أن يعود المسلمون عن قولهم عيسى بن مريم، الى القول عيسى بن الله، إذن فليؤمن به المسلمون ويتحوّلوا الى عقيدة النصارى. وكانت هذه الطريقة أحد أساليبه التي اعتقد بأنها ستكون فعالة لتحويل المسلمين عن دينهم، وبالتالي يسهل استعمارهم على دول أوروبا.

ومن أساليب «ماسينيون» التي دَبَّج لها المقالات الطوال هي ضرورة تشجيع الشرقيين للدراسة في أوروبا وأمريكا، وذلك للتأثير عليهم عن طريق ضعفهم في أجواء وأساليب الحياة الأوروبية في التفكير والعلم والسلوك ليكون ذلك أرضية مناسبة لتطويرهم للفكر الاستعماري الأوروبي، وبالتالي توظيفهم في خدمة أهدافهم في تطويع بلدانهم الشرقية لأوروبا المستعمرة، وفي هذا يقول ماسينيون لنظرائه الأوربيين: إنَّ الطلاب الشرقيين الذين يأتون الى فرنسا يجب أن يُلَوَّنوا بالمديّة المسيحيّة^٢.

ولعلّ من أبرز مصاديق هذا التوجّه لدى ماسينيون هو عنايته الفائقة ببعض هؤلاء الطلبة مثل «ميشيل عفلق» مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي ومنظره الفكري الذي قال عنه ماسينيون: إنه أنبغ وأعزّ تلميذ في حياتي^٣. وقد أظهرت عناية ماسينيون بميشيل عفلق بوضوح آراء التلميذ الفلسفية ومواقفه الخاصة ومدى انتمائه للفكر الأوروبي الصليبي، وترجمته الحرفية لتعاليم الدين الكنيسي ومضامينه الفلسفية، ولعلّ أبرز وأخطر ما طرحه «عفلق» وأسس عليه فكر حزب البعث العربي الاشتراكي هو

(١) عن د. خالد، مصطفى. ود. فروخ، عمر - كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٨٣.

L' Islam. et L' occident (les cahiers du sud 1947) P. 164.

(٢) عن د. خالد، مصطفى، ود. فروخ، عمر - التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٨٩.

evue (Dieu Vivant) NO. 4, PP. 7 ss.

(٣) بلوط، علي - دمشق - اعدام البعث - مجلة الدستور اللبنانية.

مقولته المعروفة^١ «الإيمان قبل المعرفة»^٢. وهي مقولة نصرانية محضة أفرزتها المدرسة الكنيسية، وتوصل إليها عقلها اللاهوتي بناءً على قواعد وأسس القديس أوغسطين، والتي جاءت لسد الثغرة الفكرية القائمة بين فكرهم اللاهوتي والعقل المتمثلة بمسألة التعقيد والتقص في إدراك الثالوث المقدس^٣.

وينظر عقل مقولة «الإيمان قبل المعرفة» التي استقاها من استاذة ماسينيون مكوّناً منها الفكر القومي الذي بنى عليه إيديولوجية حزب البعث العربي الاشتراكي فيقول: «...إننا نريد أن نعرف مَنْ قَبْلَ بنا ويؤثر على غيرنا من مجرد سماع نبرات صوتنا ومشاهدة حركتنا العادية وسلوكنا اليومي، نريد أن نعرف الذين يدركوننا بالغيرة، أيّ هواء صافٍ نستنشق، أي جوّ نزيه نحيا، دون أن نحتاج للبراهين والعلم والإثبات والأرقام...»^٤.

ومما عُرف عن ماسينيون أنّه كان زعيم الحركة الرامية إلى الكتابة بالعامية وبالحرف اللاتيني التي تبناها الفرنسيون في الشرق الإسلامي، وركّز بدعوته هذه على المغرب ومصر وسوريا ولبنان، وممن استجاب لدعوته في هذا المجال الأب «رافائيل نخلة» حيث ألّف كتاباً تحت عنوان «قواعد اللهجة اللبنانية السورية» وهو موضوع باللغة الفرنسية، والنصوص العربية منسوخة بالحرف اللاتيني، واستجاب أيضاً لهذه الدعوة «شكري الخوري» الذي ألّف كتاب «التحفة العامية في قصة فنيانوس» التي نشرها الأب لاي اليسوعي، واستجاب كذلك «الخوري مارون غصن» أحد المدرسين في مدرسة «عين طور» في لبنان، وقد ألّف كتاباً ذا عنوانين ومضمون عامي تحت اسم «في متلو

(١) كاظم، فؤاد - آراء وأرقام حول نظام البعث في العراق: ٨٥.

(٢) عقلق، ميشيل - في سبيل البحث: ٤٥.

(٣) كاظم، فؤاد - آراء وأرقام حول نظام البعث في العراق: ٨٥.

(٤) عقلق، ميشيل - في سبيل البحث ١: ١.

هـلـكـتـاب^١. أي (هل يوجد مثل هذا الكتاب) وأمـثـال هـؤـلـاء كـثـيـرون. والـهـدف مـن هـذه الدـعـوة وـاضـح، حـيـث أنّ ضـيـاع اللـغـة الفـصـحـى وحـصـر دائـرة تـداوـلـها سـوف يـسـاهـم فـي الحـجـر عـلـى مـفـاهـيـم القـرآن اللـغـويـة وبيـانـاتـه البـلاـغيـة. وكـذا الحـديـث الشـريـف وكتـب المـعـارف الإـسـلامـيـة وتـراثـنا العـلـمـي الثـر، وبـدوـن اللـغـة العـربـيـة الفـصـحـى تُفـقـد لـغـة العـلـم والمـعـرفـة الإـسـلامـيـة لـتـحـل مـحـلـها تـدرـيـجـاً اللـغـة اللـاتـيـنـيـة الـتي تـكوـن مـدخـلاً للمـعـارف الأوربيـة نصـرائـيـة كـانـت أم عـلـمـانيـة. وهـكـذا نـجـد ومن خـلال هـذه الإـلـمـامـة المـخـتـصـرة عـن المـسـتـشـرق مـاسـيـنـيـون، أنّـه بـذل جـهـوداً كـبـيـرة عـلـى الصـعيـديـن الفـكـري والمـيدـاني لـربـط الشـرق الإـسـلامـي بـالعـجـلـة الأوربيـة، وأسـالـيـب مـتـنـوعـة كـان أـبرـزها تـربـيـة نـمـاـذـج مـتمـيـزة مـن تـلامـذـته فـي الجـامـعـات الفـرنـسيـة، بـهـدف إـعـدادـهم رـجـال فـكـر فـي الشـرق عـلـى الطـريـقـة الأوربيـة. وقـد أـشـرنا إـلـى وـاحـد مـن تـلك النـمـاـذـج وهـو مـيـشـيـل عـفـلق الـذي بـرز كـأحـد رـؤـاد فـكـرة البـعث القـومـي العـربـي فـي الشـرق.

هـذه إـلـمـامـة سـريـعـة بـنـمـاـذـج مـتـفـاعـة مـن كـبـار رـجـال الغـرب المـسـتـشـرقـيـن كـانوا رـؤـاد تـنـظـير ومنـهـجـة، ومـراكـز إـدـارـة وإـعـداد لـعـمـل أكـثـر مـن اهتمّوا بالشـرق الإـسـلامـي تـطـرفاً وحـركـة بـاتـجـاه الأهـداف التـبـشـيـريـة والإسـتـعـمـاريـة لأروبا. وقـد سـيـقت هـذه النـمـاـذـج كـمـثـال بارز يـكـشـف عـن دوافـع عـمـلـهم الحـقـيـقيـة، وطـريـقـتـهم المـتـعـصـبة فـي التـفـكـير، وأسـالـيـبهم الخـبـيـثـة فـي تشـويـه الإـسـلام ومـجـتمـعـاتـه، ومـدـى اربـطـاط ذلـك بـحـركـة الإسـتـعـمـار الغـربـي لـلـسـيـطـرة عـلـى الشـرق الإـسـلامـي.

(١) د. خالدي، مصطفى، ود. فروخ، عمر - التبشير والإستعمار في البلاد العربية: ٢٢٤.

التأمر الصليبي على بلاد المسلمين

الشيخ محمد صالح المنجد - دة -

لم يكن الكيد للدين الإلهي من قبل أهل الضلال شيئاً غريباً، ذلك أن الذي يضل عن الصراط المستقيم يترى الدوائر بأهل الإيمان وينصب لهم الشباك ليرميهم فيها، وما زال الصليبيون يضعون الخطط عبر التاريخ للوقعة بالمسلمين منذ أن استيقظوا على الحضارة الإسلامية وهي تبسط ظلالها على جميع أنحاء العالم إلى يومنا هذا، ولئن كان ذلك في الأزمان السابقة خفياً وبعيداً عن الأنظار فإنهم اليوم أصبحوا يصرون بحقدهم الدفين. وما تخفي صدورهم أكبر.

كان أعداء الله ومازالوا يتصرفون في بلاد المسلمين وكأنهم هم أصحاب الحق الطبيعي فيها. وهناك وثائق تظهر الأساليب والجهات التي كانوا يركزون جهودهم عليها ومن جملتها المحاضرة التي ألقاها المستر (كيردتر) في مؤتمر رجال الكنيسة العاملين في البلدان الإسلامية، وذلك في مطلع القرن الحالي (عام ١٩٠٩م) في أدنبرة/ بريطانيا. وهذه الوثيقة وإن كانت قديمة نسبياً إلا أنها تضع أمامنا صورة واضحة عن الأساليب التي يستعملها أعداؤنا للسيطرة على العالم الإسلامي، وتبهننا إلى مواطن الضعف والثغرات التي ينفذ من خلالها أعداء الله إلى مجتمعنا الإسلامي. والذي يطلع على هذه الوثيقة يجد فيها الأمور التالية:

١- إن فكرة تنصير العالم الإسلامي وإدخاله في متاهات الحضارة المادية شيء مفروغ عنه عند أرباب التبشير.

٢- إن التعليم والتثقيف هو الأساس الذي يبني عليه الفكر التنصيري كل آماله لسيط

نفوذه في أوساط المسلمين.

٣- إنَّ الهدف الذي رسمه أرباب التنصير هو السيطرة على العالم الاسلامي مهما كلفهم ذلك من ثمن.

٤- إنَّ أعداءنا لا يألون جهداً في استعمال كل الأساليب التي توصلهم إلى أهدافهم.

٥- إنَّهم في نشاط وتخطيط مستمر لخلق أساليب جديدة تحفظ لهم التفوق الدائم على المسلمين في كل عصر وفي كل مكان.

٦- إنَّ أرباب التبشير يرصدون التحرك الإسلامي بدقّة متناهية، ويحرصون دائماً على خنق أي فكرة تمّدّد للإسلام حتى لو كان ذلك بين المسلمين.

٧- إنَّهم يتصرّفون على الأرض وكأنَّهم أصحابها الأصليون، وباقي الناس أو المسلمون بالخصوص هم ميدان نشاطهم التبشيري.

٨- إنَّهم يعتبرون أنَّ الإسلام هو دين وثنيّ وهم أصحاب الدين الإلهي الذي يجب أن يسطوه على كل أنحاء العالم الإسلامي.

٩- إنَّ الإسلام عندهم مشكلة مزمنة وفعليّة تضغط على أعصابهم دائماً ويتحرّكون لحلّها انطلاقاً من كون خطرهما محدقاً بهم حالياً وبالقفل.

١٠- إنَّهم يعتمدون في أعمالهم على كشف الواقع والتخطيط المبرمج لتنفيذ مخططاتهم المرسومة، ومتابعة كل ذلك بشكل مستمر.

١١- إنَّ الحرية التي تصبّو إليها الشعوب الإسلامية هي إحدى منطلقاتهم للتخلّل من الدين، والتي تجد لها رواجاً كبيراً بين الشباب ومختلف الطبقات.

١٢- إنَّ الصحافة هي أحد أعمدة النشاط التبشيري في العالم الإسلامي.

١٣- الإستفادة من عامل الثأر الذي يعتل في نفوس المسيحيين الذين جرت حروب بينهم وبين المسلمين كالأرمن مثلاً.

١٤- الإحتلال العسكري هو أحد أساليب بسط الفكر التنصيري في أراضي

المسلمين.

١٥ - من جملة الأساليب التي يستعملها أعداؤنا الأمور التالية:

- زيادة المبعوثين إلى البلدان الإسلامية.

- المحاورات بينهم وبين شخصيات إسلامية.

- توزيع النشرات والأناجيل.

- البعثات الطيبة.

- مدارس البنات والبنين.

- المتناداة بالمساواة بين الأديان.

١٦ - العمل على زيادة النشاط التبشيري في أي مكان ينشط فيه العمل الإسلامي

لمواجهته.

١٧ - إن إعطاء المنح الدراسية في الجامعات هو أحد توصيات هذه الوثيقة التي

تعتبره ضرورياً للعمل التبشيري.

١٨ - توصي هذه الوثيقة أن يركز المبشرون على خطين في مصر وهما: (جامع

الأزهر) وتعتبر عنه بالمركز الديني التقليدي الفلسفي. وثانيهما: النهضة الإسلامية

الحديثة التي تؤثر على الشباب.

١٩ - إن الشخصيات الإسلامية المؤثرة مثل الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ

محمد رضا صاحب جريدة (المنار) تقع مورد اهتمام زائد من قبل المبشرين ويركزون

على محاربتهم وتطوير أعمالهم بقوة.

٢٠ - الجامعات ودور العلم وهي من أهم الوسائل التي يتفد من خلالها التبشير إلى

أوساط الشباب والمجتمعات الإسلامية.

وبعد ذكر هذه النقاط التي تحتويها الوثيقة نوردها نصاً ليقف المسلم الغيور على كيد

الأعداء منذ أربع وثمانين سنة، وكيف به الآن وفي نهاية القرن العشرين وبعد أن سقطت

إحدى القوتين العظميين وبقيت القوة العظمى الأخرى التي ما فتئت تقف وراء إذلال الشعوب الإسلامية والسيطرة عليها للإستمرار بامتصاص دماء شعوبها، والوثيقة تحمل عنوان: التغيرات الطارئة على العمل التبشيري في الأراضي المحمدية: «حضرات السادة: الرئيس، الآباء والإخوان (القساوسة).

السؤال المطروح هذا اليوم لا يتمثل في أين نجد الدليل على الحركة التحديثية في بلاد المسلمين، بل أين لا نجد مثل هذا الدليل. نحن لا شك على علم تام بالحركة التحديثية الناشطة في الوسط الإسلامي في كل من تركيا ومصر وبلاد فارس والهند. فجميع هذه الدول قد تأثرت بالأفكار الأوربية، وقد تشكّلت فيها منظمات فكرية وسياسية. وأثّرت هذه المنظمات بشكل مباشر أو غير مباشر على العقائد الدينية. غير أنّ هذه الدول ليست هي الوحيدة من دول الإسلام المتأثرة بأفكار الغرب، ففي روسيا ونتيجة لإطلاق الحريات الدينية في ١٧ نيسان عام ١٩٠٥م، وكما أعلمتني سيّدة روسية قامت بدراسة خاصة أنّ ما يزيد على ٥٠٠٠٠ من اتباع الكنيسة اليونانية عادوا الى اعتناق الاسلام، وقد تبعهم آخرون اعتنقوا هذا الدين لأول مرّة. لاشك في أنّ مثل هذا الحدث سوف يحفّز «المحمديين» في روسيا الأوربية، في الفولغا في أواسط آسيا وحتى سيبيريا حيث الأفكار تسري بسرعة مثل التيار الكهربائي، وخاصة عندما تكون وسيلة النقل الجديدة: السكّة الحديدية، فالقطار عبر قزوين سوف يتّجه نحو روسيا وتركمانستان ثمّ الصين التركية وسوف ينقل الأفكار الإسلامية، وهكذا تعود الخطوط التجارية التاريخية عبر وسط آسيا نحو الصين لتصبح العصب المنظّم والجهاز العضوي الأكثر فاعلية مما كان عليه قبلاً. إذاً فدورنا الآن يجب أن يتركز في الصين. وإذا كانت هناك دولة واحدة في العالم المحمدي ممن لا يتأثر بالعالم الخارجي فهي الصين، والنموذج الصيني المسلم ليس من النوع الذكي، ومع ذلك فقد سمعنا بانتقال بعثة تركية مسلمة الى الصين لتقوم بدور التبليغ لأول مرة. وأكثر ما يشير العجب أن يقوم ثلاثون

طالباً صينياً من الذين يدرسون الآراء الغربية في جامعة اليابان، بتحرير مجلة فصلية باسم: «أيها المسلمون استيقظوا» وتوزع هذه المجلة في عموم بلاد الصين، وعندما تنتقل الى ماليزيا حيث السفينة التجارية تقوم بمساعدة الأعداد المتزايدة من أهالي جاوة وسومطرة وجزر الهند الشرقية في التوجه نحو مكة لأداء فريضة الحج، وحيث يتعاضم بذلك تثبيت جذور الاسلام في هذه الدول، ومن ثم يصعب القضاء عليه، وتتجه بعد ذلك نحو الجزيرة العربية نفسها حيث هناك قبر النبي في المدينة، وحيث تتردد صفارات القاطرات. ومن الجزيرة العربية وبشكل غير مباشر جاءت أعظم حركة للسنوسيين إن لم تكن أحدثها، والتي يمكننا أن نلمس آثارها بسهولة في السودان وفي بحيرة تشاد وأقصى أطراف حوض الكونغو. ومن جانب آخر فإن الحركة الإسلامية الممتدة بشكل مرعب في إفريقيا أساساً هي رد فعل لما قامت به الحكومات الأوربية (الإستعمارية) التي وضعت مؤسسات حكومية من النيل وحتى زامبيا، وأضعفت بذلك الروابط القبلية، وهيأت مئات الأقنية لتوغل الاسلام بشكل هادئ، وسنجد بعد قليل أن الإسلام هو هدية السماء لوحدة إفريقيا، والمعبر الحقيقي عن الجنس الإفريقي، وسوف يحصد المسلمون الجهود التي بذلها نصارى الحبشة.

إن هذه النظرة السريعة تؤكد لنا - حتى من وجهة نظر الحركات التحديثية - مشكلة الوجود المحمدي الممتد في كامل العالم الإسلامي، وسوف أقدم في هذا المؤتمر العظيم ملاحظة أولية:

إن مشكلة الإسلام هذه لا يمكن تجاوزها حتى في الظروف الاضطرابية التي لا يمكن وصفها، والتي تواجهنا في الشرق الأقصى. والسبب أن الإسلام الآن يقف على أعتاب دورنا من أقصى الساحل المغربي حيث يلامس حدود أوروبا وحتى أعمدة هرقل ومدينته القسطنطينية. إن هذه المشكلة هي مشكلتنا المركزية. لنفكر بهذه الكتلة العظيمة من دول منطقة البحر المتوسط من شمال إفريقيا غرباً وحتى أواسط آسيا شرقاً

سنجدها جداراً لا يمكن زحزحته، يمنع الغرب المسيحي من الوصول الى قلب الشرق الوثني.

أيها الآباء والاخوة: تذكروا حتى عندما تُحل مشاكلنا مع اليابان أو الكوريين أو المنشوريين أو الصينيين أو الهنود فإنّ الأزمات الحالية يمكن تجاوزها، وعندما يلتقي نصارى الشرق الأقصى مع الكنيسة الكاثوليكية فإنّ الكتلة الضخمة المعادية سوف تشطر دولة الغرب النصراني الى شطرين، وتفصل بين التوأمين، وتعزل أحدهما عن الآخر، ولن تقيم خطأً عازلاً ممتداً بين الربّ والإنسان فحسب، بل سوف تسبّب شرخاً في بنية الكنيسة الكاثوليكية العظيمة الخالية من الشروخ، والذي يتمثل بوجود المسلمين هناك، ويمكن كسبه الى جانب المسيح، وعليه لا يمكننا تأخير حل مشكلة الإسلام. إنّها مشكلة كل يوم كما ترون فلنجعل هذا اليوم نفسه يوماً للحل والإنعتاق.

إنّ واجبي أن أوضح لأتباع الكنيسة القادمين من جميع أنحاء العالم الأوضاع العامة في ضوء الحركات التحديثية داخل بلاد المسلمين. إنّ هدفنا الموحد هو: اتخاذ الإجراءات الى أقصى حد في ضوء «المصادر المتوفرة لدينا» حيث يمكن بذلك فهم الواقع لتحقيق أهدافنا.

إنّ المصادر المتوفرة لدينا يمكن تفسيرها بوجهين، وعلينا أن نحفظ في أذهاننا بهذين التفسيرين، ففي المعنى الضيق، هذه المصادر غير كافية لمعالجة الواقع، غير أنّها -من دون شك- موزّعة بشكل حكيم واقتصادي ومستغلّة بشكل جيد. ومن جانب آخر في متناول أيدينا مصادر الإله الحي، وهذه الفكرة تجعلنا نتذكر دائماً أثناء هذا المؤتمر الدرس الأساس وهو الفهم الجديد «للإله الحي» الذي سوف يساعدنا في انجاز هذا العمل العملاق.

ليس لدينا الوقت الكافي لأنّ نوضّح أين تتركز الأزمة اليوم. شعارنا اليوم: «العمل بحكمة»، وفي هذه القاعة وحول هذا الموضوع أوكد على هذا الشعار: «العمل

بحكمة».

لنبدأ من «الامبراطورية العثمانية» حيث نجد هناك حركة يمكن وصفها بشكل كبير بالتوجه نحو الحرية. الحرية السياسية والحرية الثقافية. إن حركة مزدوجة من هذا النوع سوف تؤثر بالتأكيد على الدين وإن كان بشكل بطيء. فالتوجه الداخلي الجيل التركي الجديد نحو التسامح الديني يسير بشكل جيد. الحقيقة الوحيدة هنا: أن المسيحية والمسيح الى حد بعيد متوغل في عمق حركتهم، وسوف تأتي بنتائج مهمة، وها هي حرية الصحافة في معظم أنحاء الامبراطورية العثمانية وخاصة سوريا قد حققت نتائج جيدة، وها هم قادة الفكر الإسلامي يقعون في الحيرة بعد أن وجد بعضهم في القرآن الكثير من تعاليم المسيح. أليست هذه الحقيقة جديدة بأن تجعلنا نناشد الجمعيات العاملة في الامبراطورية لكي تكون نشطة ومستعدة لجني الثمار واستغلال الموقف الى أقصى حد؟ هل سيأتي ذلك اليوم الذي يثار فيه الأرمن الذين تحمّلوا وصبروا، لشهادتهم؟ يجب أن يأتي ذلك اليوم بالتأكيد مادام هناك إله في السماء!

ولذلك فإن الخطوات التالية تبدو ضرورية:

١ - تقوية العمل الناجح والرائع الذي تمارسه الكنائس الشرقية في الامبراطورية العثمانية.

٢ - احتلال المناطق التي لا توجد فيها الجمعيات التبشيرية كما هو موضح في تقرير بعثة التبشير رقم (١).

٣ - تعزيز الأعمال الأدبية بشكل قوي ومؤكّد.

٤ - الضغط المنظم والمستمر على الحكومة العثمانية لإعطاء المساواة الدينية الكاملة والحرية في الامبراطورية العثمانية.

٥ - العمل بحكمة وحذر واستمرارية في أوساط المسلمين.

وفي مؤتمر كنسي عام عقد مؤخراً في بيروت وحضرته بنفسه استمعنا الى تقارير

بعثات التبشير الواحد بعد الآخر حول الأعمال المنجزة. وقد عبّر المؤتمر في نهاية المؤتمر عن وجهة نظرهم بالشكل التالي:

١- العمل التبشيري المستمر منذ عدة عقود - سواء في سوريا أو فلسطين - هو اليوم ممكن أكثر من أي وقت مضى سواء عن طريق الزيارات، المحاورات، توزيع النشرات التبشيرية والأناجيل، البعثات الطبية ومدارس البنين والبنات.

٢- إن إعلان الدستور وخاصة في أوساط المتنوّرين قد سهّل عمل التبشير المباشر، وبموجب مبادئ الدستور حول المساواة بين الأديان سوف يزداد سهولة.

ومن جانب آخر نحن نقف اليوم وجهاً لوجه مع الإحياء الثقافي والديني المحمدي مما يستوجب زيادة العمل التبشيري.

٣- من الضروري وضع خطة حكيمة وسريعة تطبّق بدقّة للنشاط في الوسط الإسلامي في سوريا وفلسطين.

إنّ واجب جميع المنظمات الكنيسية أن تبدأ الخطوة الأولى في هذا الإتجاه.

أيها الآباء والقساوسة: شعارنا «العمل بحكمة».

والآن نصل الى مصر حيث هناك حرية دينية واسعة تجعل العمل الإسلامي المباشر غير محدد. أصبحت القاهرة اليوم مركزاً للنشاط الفكري للإسلام. وهي هكذا منذ سقوط بغداد والحكم العباسي. عند هذه النقطة يجب التأكيد على ضرورة زيادة النشاط التبشيري دون تأخير، وأعني الزيادة في الكمية والتنوعية عن طريق إعطاء المنح الدراسية للعاملين في العالم الإسلامي وخاصة في مناطق التنوير (الجامعات).

يجب أن تركز هذه الدراسة على خطّين رئيسيين حيث يمثل مسلمو القاهرة هذين الخطّين:

الأول: هو المركز الديني التقليدي والفلسفي الذي تمثله جامعة الأزهر.

والثاني: هو الحركة التحديثية التي تؤثر قليلاً أو كثيراً بكل الشباب المسلم الذي

- كما ذكرت - يحاول أن يتجاوز الإنجاز الإسلامي التاريخي ويفكر بسياسة جديدة ومفهوم ديني وفلسفي جديد للقرآن، ولا يهتم بأي تراث مهما كان!

هذه الحركة واضحة جداً في الهند ولها موقع ثابت في القاهرة حيث الشيخ محمد عبده يعمل ويجمع حوله الطلبة المؤيدين له. أحد طلابه محرر جريدة «المنار» يحاول أن يؤسس في اسطنبول جامعة دينية سوف يذهب طلابها بعد التخرج للتبشير بالإسلام في أقاصي المشرق. وهكذا ترون أن الأهداف الجديدة للإسلام هي الإلتشار والتبليغ، وكلا الخطين يتطلبان قوة في التبشير وسط طلاب الجامعات وبعدد أكبر ومستويات جامعية أعلى مما هي عليه الآن. وإذا كانت الدراسة الإسلامية التقليدية قد اضمحلت - وهذا احتمال ينتظر البرهان - فلا نقاش هناك في أن تدهور وضع الأزهر وتأثيره خارج مصر ليس إلا ظلاً لما كان في السابق. ومع ذلك فإن الدراسة التقليدية الإسلامية هي السائدة وسط الجماهير (المحمدية) الواسعة في العالم، وتبقى هذه الجماهير ذات استعدادات ضخمة! وعليه فالدراسة التقليدية بحاجة إلى طلبة بشكل مستمر ومتزايد، وهؤلاء يجب أن يضيفوا إلى برامجهم مهمة المراقبة والدراسة والالتقاء مع الإسلام الجديد ومع تناقضاته المتعددة! ولا أدري أين يجب أن تتم مثل هذه الدراسة في العالم العربي فيما عدا القاهرة!

من الضروري إذاً تأسيس جامعة عربية تكون في خدمة التبشير في جميع أنحاء العالم الإسلامي. أقول ذلك دون تحامل على الجامعات الاستشرافية والدورات التعليمية في بلادنا. فهذه ولا شك مشاريع لها أهميتها غير أن مهمتها تكميلية ومساعدة لما أريد الإشارة إليه. وعليه يجب أن تؤسس هذه الجامعة في القاهرة وعليكم التفكير بذلك حالاً!

حقوق الإنسان

بين الإعلان الإسلامي والعالمي

(١)

الشيخ محمد علي الشنقيطي

حقوق الإنسان ونظورها

لكي تتجنب الإيهام في الحديث، لا بد أن تتضح تعاريف كل مصطلح نظرحه، وهذا المعنى يتعمق أكثر عندما نتحدث بلغة قانونية، وبأكيد أكثر عندما نريد له أن يطبق على المستوى العالمي.

العلاقة بين المسألتين الفلسفية والاجتماعية:

والغريب حقاً لمن يستعرض مفاهيم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أنه يجد استعمالاً لكثير من المصطلحات دون توضيح لحقيقة القصد فيها.

فما هو الحق؟ ومن هو الإنسان الذي نتحدث عنه؟

وما هي الحيثية الذاتية للإنسان؟

وما المقصود بالعائلة الإنسانية، والأخوة، والتساوي، والعلاقات الودية، والروح

الإنسانية، وأمثال ذلك؟

ويتجلى لنا الإيهام أكثر عندما نلاحظ أن هذا الإعلان العالمي أريد له أن يطرح بمنأى عن المسألة العقائدية، أو فلنعتبر عنها «بالمسألة الفلسفية» أي موضوع تحديد الموقف من الكون والحياة والإنسان.

وذلك تأثراً بالاتجاه الرأسمالي الذي يطرح أفكاره الاجتماعية بعيداً عن المسألة الفلسفية، مدّعياً أن لا علاقة بينهما، في حين أننا نعتقد بكل تأكيد أن العلاقة بينهما منطقية.

إن الأيديولوجية مهما كانت، تستمد جذورها من الواقع، فلا يعرف الإنسان ما ينبغي

أن يكون، إلا بعد أن يعرف ما هو كائن وما هي متطلبات الواقع.

ويتأكد هذا المعنى عندما تتصور الإنسان مثلاً - يعتقد بالوحيّة الباري جلّ وعلا - وبأئته تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وهو الإسلام ينظم كل جوانب الحياة، مثل هذا الإنسان لا يمتلك بعد هذا التصور إلا خيارين لا ثالث لهما: فإما أن يتبع الأيديولوجية الإسلامية ويصنع كل سلوكه بها أو يكفر بتصوره الماضي ويجحد به بعد أن تستيقنه نفسه.

نعم إذا امتلك الإنسان تصوراً مادياً عن العالم فستكون أمامه أيديولوجيات بديلة وآلهة مختلفة، كلّ يحجّه إلى سبيله ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾^١ بل سوف لن يكون أمامه أي مبرر للإتجاه الى أيديولوجية معيّنة^٢.

يقول الشهيد المطهري (قدس سرّه): «إنّ الأيديولوجية تقوم بشكل أساس على نوعيّة التصوّر عن العالم.. إنّ الأيديولوجية هي من نوع الحكمة العملية، والتصوّر هو من نوع الحكمة النظرية، وكل نحو من الحكمة العملية مبني على نوع خاص من الحكمة النظرية»^٣.

ويقول الاستاذ الشهيد الصدر (قدس سرّه): «إنّ المسألة الاجتماعيّة للحياة تتصل بواقع الحياة، ولا تتبلور في شكل صحيح إلا إذا أقيمت على قاعدة مركزية تشرح الحياة وواقعها وحدودها، والنظام الرأسمالي يفقد هذه القاعدة هو ينطوي على خداع وتضليل أو على عجلة وقلة أناة، حين تجمّد المسألة الواقعيّة للحياة وتدرس المسألة الاجتماعيّة مفصلة عنها»^٤.

وعندما نراجع نصّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان نجده يتناسى هذه المسألة تماماً

(١) الزمر: ٢٩.

(٢) نحو الدستور الأساسي للكاتب: ١٥.

(٣) (الوحي والنبوة) للاستاذ الشهيد المطهري.

(٤) فلسفتنا: ١٨ - ١٩.

رغم أنّه يتحدّث عن المصطلحات التي أشرنا إليها.
وسنعود إن شاء الله تعالى إلى هذا الموضوع في محلّه الخاص.
وعلى أيّ حال فينبغي أن نعرف أولاً ما هو الحق؟ وما هو الإنسان؟ حتى نسير بشكل
منطقي لمعرفة ما حدث من تطوّر في مجال حقوق الإنسان.
الحقّ:

وعندما نعود إلى جذور هذا المصطلح نجده يعني الثبوت الذي لا يقبل التغيير حين
الاستعمال على الأقل.

فالله تعالى هو الحق، ولا يمكن تصوّر التغيير فيه جلّ وعلا، والخبر المطابق للواقع حق
حين الإخبار، ولا معنى لتصوّر التغيير في الحقيقة هذه رغم ادّعاءات (النسيبين) الواهية،
وهذا معنى واقعي لا معنى للإعتبار الذهني أو التشريعي فيه. ولكن على هذا الغرار اتّزع
مفهوم اعتباري وثبوت اعتباري وأطلق عليه هذا اللفظ، واستعمل في مجال العلاقات
الاجتماعية والسلوك الفردي كحقّ الحرية.

فالحقوق الاجتماعية على هذا لا بدّ وأن تتوفر على عنصرين:

الأول: نشوؤها من حالة واقعية (تركيب تكويني، مصلحة واقعية).

الثاني: توافق واعتبار شرعي أو عرفي لها كي تنتظم الحياة الاجتماعية.

وربّما أمكن أن يقال: إنّ العنصر الأوّل بنفسه كاف في ثبوت الحقّ، إلّا أنّ الإنعكاس
الاجتماعي يتطلّب بطبيعة الحال العنصر الثاني. فالحقّ إذن حاجة ثابتة بشكل طبيعي
وأكدّها وحولها الاعتبار إلى حالة قانونيّة.

الإنسان:

أمّا الإنسان فإننا لا نستطيع أن ننظر إليه كموجود مادي بحث تصوّره الطبيعة وتشكّله
البيئة الاجتماعية بكل ما فيه. فكل ما يتضمّنه المعنى الإنساني إنّ هو إلّا الإنعكاسات
الاجتماعية كما يقول «دوركهايم» أو الصياغة العقدية كما يؤكّدها «فرويد» أو المحصول

الاجتماعي الاقتصادي كما يصوره «ماركس» أو الوجودات الذهنية كما ينقل عن «باركلي» أو ما الى ذلك من تصوّرات مادية.

إن مثل هذا الموجود لا يمكن الحديث عن حقوقه، وهل هناك مجال للحديث عن حقوق الحديد والخشب والماء؟!

إذن علينا قبل كل شيء أن نتصوّر الإنسان موجوداً متميّزاً عن غيره من الأشياء يتمتّع بمخزون خاص ودوافع ذاتية معينة تتطلّب بذاتها وفي حدّ نفسها مسيرة وظروفاً معينة، وتشهد مراحل تكاملية على أساس من مخطّط مسبق، وحينئذٍ يمكن تصوّر بعض (الثبوتات) = (الحقوق) لمثل هذا الموجود.

وبتعبير مختصر علينا أن نؤمن بنظرية (الفطرة الإنسانية) أولاً، ثمّ نتحدّث عن حقوق الإنسان، والعدالة، والحرية، والكرامة، والتساوي والروح الإنسانية وأمثال ذلك. وألّا فما معنى الحديث عن هذه المفاهيم إذا لم نؤمن بالفطرة بمعناها الإسلامي السامي الشامل للإدراكات البديهية، والتوجيهات العملية الخلقية، والدوافع التكاملية. «فيجب إذن أن يكون هناك خط فطري وإطار خاص بالإنسان إذا تجاوزه لم يعد إنساناً، حتى تكون هناك تربية، وحتى يصدق التعبير المعروف (اغتراب الإنسان عن ذاته)»^١.

وعليه: فالإنسان الذي يمكن أن تتصوّر له حقوقاً هو الموجود الذي يمتلك بطبيعته عناصر فطرية تولد معه وتبقى معه، وهي تتطلّب - في الواقع - مسيرة معيّنة إذا خرج عنها خرج عن (الصفة الإنسانية) ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^٢ ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾^٣.

وإذا عومل معاملة تخالف فطرته كانت تلك الممارسة ممارسة لا إنسانية.

(٢) الحشر: ١٩.

(١) في الطريق الى الله للكاتب: ١٩.

(٣) الأعراف: ١٧٩.

وبهذا نجد فرعون حين استضعف قومه وأفقدتهم حقوقهم يقع موقع النقد الإنساني ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^١ إذن يجب أن يكون له وزنه الطبيعي وبالتالي حقوقه الطبيعية، وأي استخفاف بها يعد ممارسة لا إنسانية. هذا هو الإنسان كما نعرفه، ولا يمكن لأي لائحة أو إعلان منطقي أن يتحدث عن حقوقه إن لم يقبل هذا التعريف.

حقوق لا يعرفها الفكر المادي مطلقاً:

على ضوء ما تقدّم نعرف أنّ حقوق الإنسان هي الحالات الطبيعية التي يحتاجها الإنسان بطبيعته وفطرته لكي يطوي مسير تكامله الفطري. وعلى هذا الأساس نعتقد أنّ حقوق الإنسان تتجاوز كلّ ما قيل وطرح من حقوق إلى أمور أخرى نستطيع أن نعبر عنها بـ (حقّ التعبد والتدين وحق الرعاية الخلقية، بل وحق الوصول الى الدين القيم، وأمثال ذلك).

وهذا الحق هو مبنئ البحث الديني المهم في مجال الحاجة الى الأنبياء، وأنّ الدين لطف بالإنسان، وأنّ الله تعالى هو منبع اللطف والرحمة، مما يؤدّي للقول بوجوب بعثة الأنبياء وجوباً لطفياً. ولن نطيل الحديث في هذا المجال بل نتركه الى مظانّه.

ملاكات تشخيص الحقوق الإنسانية:

طرحنا أو ربّما تطرح في هذا المجال معايير وملاكات من قبيل (العرف والعقلاء، القانون والدين، المصلحة والمفسدة، اللذة والألم، العواطف والعقل، مقتضيات العدالة، وما الى ذلك).

وهذه الأمور إمّا أن تكون مصادر للحق أو تكون من الكواشف عنه، أو من اللوازم له،

(١) الزخرف: ٥٤.

أو غير ذلك. وعلى أي حال، فيجب قبل تعيين الملاك لتشخيص كون هذا الأمر حقاً إنسانياً أو عدمه، أن نلاحظ الأمرين التاليين:

أولاً: ما أشرنا إليه من معنى الحق ومعنى الإنسان.

ثانياً: أن نرجع الى مقياس يتوفّر لدى الإنسان بغضّ النظر عن تلوّنه بالأشكال والطبائع الاجتماعية، ولّا لفقدنا صفة التعميم والشمول التي هي مقتضى طبيعة كون الحق إنسانياً محضاً.

فما هو إذن هذا المقياس الذي يكشف عن الحاجة الطبيعية الثابتة للموجود الإنساني المتكامل على طريق الفطرة؟

إننا لا نجد أمامنا إلّا الوجدان المتوفّر عند كل إنسان بذاته، وذلك بمعناه الأعمّ من الوجدان الفكري والوجدان الأخلاقي.

بل إننا حتى لو اقتصرنا على الوجدان الأخلاقي المتوفّر في أيّ إنسان استطعنا أن نكتشف أصول الحقوق الإنسانيّة إجمالاً بلا ريب. ولا بأس بعد ذلك من حصول الاختلاف في المصاديق والتطبيقات، وسنرى أنّ الوجدان نفسه يقودنا إلى وسيلة للوثوق بصحة المصاديق هذه، مما يمنحنا الصورة التفصيليّة لهذه الحقوق. وإذا عدونا الوجدان فإننا لن نجد أمامنا معياراً لا لمعرفة الحقوق فحسب بل لأية معرفة إنسانيّة، وحينئذٍ تتصوّر الإنسان حبيس ذاته على الصورة التي أرادها له «باركلي». إنّ الإنسان بلا وجدان (بالمعنى الأعمّ) يفقد أي صبغة إنسانيّة فهو الخشب بعينه ولا حقوق للخشب. ولكن ما هو الوجدان نفسه؟ ربما لا نستطيع أن نعرّف الوجدان، لا لخفائه بل لوضوحه، إنّه الحقيقة التي تتعامل معها ولا نستطيع أن نستدلّ عليها إلّا بها، ومن أنكر الوجدان وحكمه فلن تقدّر على إقناعه مطلقاً.

فبالوجدان نصل الى ما نقطع به من أحكام عقلية تشكّل أساساً لمعرفتنا كلّها، وبه أيضاً نصل الى ما نؤمن به جميعاً من حسن في الأفعال وقبح فيها، لتبنى عليها كل البنى

الأخلاقية والإجتماعية.

وربما انطلق هؤلاء الذين كتبوا الإعلان العالمي من منطلقات وجدانية فطرية دون أن يشعروا، رغم أنهم فصلوا قضية الحقوق عن قضية الإيمان بالوجدان ومقتضياته، فالوجدان هو الذي يؤكد حسن العدل وقبح الظلم، والوجدان هو الذي يؤكد حق الحياة وحق الحرية وحق الكرامة الإنسانية، وهو الذي يؤكد التساوي بين الأجناس باعتبارها الإنساني، وهكذا حقوق الأمومة، والحقوق الجنسية، وغيرها.

أما كيفية الوصول إلى المصاديق التفصيلية للحقوق فلا نجد لها إلا سبيلين:

الأول: الإستقراء الكامل للسلوكات الإنسانية وطرح كل الطوارئ واكتشاف المشتركات رغم اختلاف الظروف، وهو مقياس ناقص، ربما لا يمكن تحقّقه كعملية تحقيقية، كما ربما لا يمكن الوصول - لو أمكن تطبيقه - إلى نتائج كثيرة.

الثاني: الدين باعتبار الوجدان دليلاً على أسسه التصورية من خلال القدرة العقلية التي تقود الإنسان الى اكتشاف سرّ هذا النظام الكوني الرائع والوجود المطلق الكامل الذي خلق هذا الكون. هذا الوجود الغني بذاته والعليم الحي اللطيف وهو بمقتضى لطفه يرسل أنبياءه بالدين ليوضحوا للبشرية الصورة التفصيلية لحقوقها الفردية والإجتماعية ويكشفوا المنهج الأفضل للسير على طريق التكامل.

فإنّ الإيمان بالدين، أو الإكتفاء بتلك الصورة الإجمالية الناقصة والتي هي بدورها وليدة الإيمان بنظرية الفطرة الإنسانية، فإذا أنكرها أحد لم يكن من المنطقي له أن يتحدّث عن حق وخلق إنساني، كما مرّ بنا سابقاً.

اللمحات الإنسانية الحقوقية عبر التاريخ:

ويمكننا أن نجزم بحق بأن الوجدان الإنساني أولاً، ثمّ العامل الديني الواسع الأبعاد في التأثير التاريخي ثانياً، تركا أثرهما على مسيرة الحقوق الإنسانية وحتى على مستوى

يقول العلامة الجعفري في كتابه القيم بهذا الصدد:

«من البديهي أن هدف إصلاح العلاقات الإنسانية... يشكل احتراماً عملياً لبيان مواد الحقوق العالمية للإنسان في ذهن الأفراد المتقدمين فكراً باستمرار.. وعلى هذا الأساس نشاهد بعض العبارات والمواد المختلفة باعتبارها أخلاقاً أو حقوقاً أو عناصر ثقافية بين الشعوب والأقوام المختلفة»^١.

ويقول جورج ساباين: «وبشكل عام فإن اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد قالوا بأن حقوق الطبيعة خالدة وغير متغيرة، في حين أن أوضاع الإنسان وأحواله متغيرة، فإذا استطعنا اكتشاف هذا القانون الثابت وغير المتغير وحققنا الانسجام بينه وبين الحياة الإنسانية، فإن الحياة البشرية سوف تصبح إلى حد ما منطقية وعقلانية، وسوف تقل الشرور والمفاسد، فمرتبة الكمال الانساني هي أن تتبع القانون الطبيعي الثابت. ويمكن تلخيص هدف هذه الفلسفة في الجملة التالية: البحث عن الثبات بين المتغيرات، والوحدة بين المتنوعات»^٢.

وإذا ما تتبعنا آراء الفلاسفة والمؤرخين والشعراء عبر التاريخ لمحنا الكثير من العبارات المعبرة عن هذا التأثير الوجداني العميم.

هذا هو سيسرون الفيلسوف (٤٣ - ١٠٦ م) يؤكد على أن الحقوق لا تقوم على أساس التصور والظن، بل إن العدالة الطبيعية الثابتة واللازمة تقوم على أساس من الوجدان الانساني^٣.

وهنا نذكر بأن مؤرخي الحقوق وتطوّرهما يعبرون المرحلة الاسلامية في خطوة طويلة حتى يبلغوا القرن الثامن عشر، حيث صدر الاعلان الفرنسي العالمي لحقوق الانسان في

(٢) جورج ساباين، تاريخ الفلسفة السياسية ١: ٧٧.

(١) الحقوق الإنسانية العالمية: ١٦.

(٣) جورج دل وكيو، في تاريخ فلسفة الحقوق: ٦٧.

٢٨ أوغست ١٧٨٩م والذي عاد جزءاً من الدستور الفرنسي في ٣ سبتمبر ١٧٩١م، غافلين أو متغافلين عن أن الاسلام بإشراقه على العالم قدّم أروع لائحة تفصيلية لحقوق الانسان من خلال تعليمات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهو ما شكل لحد الان أساساً قانونياً لكل أنماط الممارسات الانسانية للمسلمين عبر التاريخ. أما الاعلان الاسلامي الذي صدر مؤخراً فما هو إلا محاولة جيّدة لكتابة هذه الحقوق المعلنة بالشكل المتعارف اليوم.

والإ فان الآيات التالية مثلاً هي إعلان قانوني تاريخي لحقوق إنسانية ثابتة:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^١ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾^٢ ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^٣.

وغير ذلك، من النصوص الشريفة الواردة عن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين مما ترك أثره في مجال الفكر الاسلامي صوراً رائعة^٤.

إلا أننا إذا أردنا أن ندرس سير الفكر الحقوقي المتأخر فإن الاعلان الفرنسي - رغم استفادته من الاعلان الحقوقي الانجليزي الصادر في نفس العام، وإعلان الاستقلال لثلاث عشرة مستعمرة أمريكية الصادر قبله بثلاثة عشر عاماً - قد استطاع أن يقدم لائحة متقدمة جداً في هذا المضمار، حيث طرح في مادته الأولى حق الحرية والمساواة، وفي الثانية حق الحرية والملكية، والأمن والدفاع ضد الظلم، وفي الثالثة منح الشعب حقوقه في الحاكمية، وفي الرابعة أكد على الحرية الشخصية غير المعتدية على حريات الآخرين، وفي الخامسة منح القانون حق منع الضرر، وفي السادسة أكد حق

(٢) الحجرات: ١٣.

(١) الاسراء: ٧٠.

(٣) المائدة: ٣٢.

(٤) تراجع في هذا الصدد رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام حيث اشتملت على كل الحقوق المتبادلة.

الاشتراك في صياغة القانون لكل الافراد، وفي السابعة أكد المساواة أمام القانون وحياسة الوظائف، وفي الثامنة قرّر أن لا عقوبة دونما قانون، وفي التاسعة أكد فكرة: المتهم بريء حتى تثبت إدانته، وفي العاشرة طرح حرية العقيدة، وفي الحادية عشرة قرّر حرية البيان، وفي الثانية عشرة قرّر فكرة ضمان الحقوق بتشكيل قوة مسلحة، وفي الثالثة عشرة أجاز أخذ الضرائب لتأمين هذا التشكيل، وفي الرابعة عشرة أعطى للناس حق الاشراف على الضرائب، وفي الخامسة عشرة أعطى المجتمع حق الاشراف على الموظفين، وفي السادسة عشرة اعتبر المجتمعات التي لا تقبل حقوق الانسان وانفصال القوى الحاكمة عن بعضها مجتمعات لا دستور لها، وأخيراً قرّر في المادة السابعة عشرة عدم جواز سلب الملكية إلا للمصلحة العامة.

وهكذا جاء هذا الاعلان المهم ليشكل قانوناً تقتبسه الدول الاخرى شيئاً فشيئاً. واستمرت التحولات حتى تمت الموافقة في الامم المتحدة على الاعلان العالمي لحقوق الانسان في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨م بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، إذ وقع عليها ٤٨ عضواً، وامتنعت عن التصويت الأقطار الشيوعية (روسيا، روسيا البيضاء، اوكرانيا، جيکوسلوفاكيا، يوغسلافيا وبولندة) وإفريقيا الجنوبية والسعودية. وطبعاً كانت الدوافع لدى هذه الاقطار مختلفة.

نص الاعلان العالمي لحقوق الانسان

المقدمة: (ترجمة غير رسمية)

لما كان التعرّف على الحيثية الذاتية لكل أعضاء العائلة البشرية والحقوق المتساوية وعدم إمكان إسقاطها يشكل أساساً للحرية والعدالة والسلام في العالم. وانطلاقاً من أن عدم الاعتراف بالحقوق الانسانية وتحقيرها قد آل إلى وقوع أعمال وحشية، مما أدّى

بالروح الانسانية إلى العصيان، وبدوّ عالم يتحرر فيه أفراد الانسان من أي قيد على التعبير والعقيدة وأي خوف من الفقر والحرمان وذلك أسمى الآمال البشرية.

ولما كانت الحقوق الانسانية في الأساس يجب أن تصان عبر تنفيذ القانون لئلا يضطر الانسان للنهضة باعتبارها آخر علاج ضد الظلم والضغط.

وباعتبار أنه وبطبيعة الحال يجب تشجيع العلاقات الودية بين الشعوب.

ولما كانت شعوب الامم المتحدة قد أعلنت من جديد إيمانها بالحقوق الاساسية للانسان، والمقام والقيمة الفردية للانسان، وتساوي حقوق الرجل والمرأة في الاعلان، وصمّمت بعزم راسخ على دعم التقدم الاجتماعي، وإيجاد وضع حياتي أفضل في بيئة أكثر حرية.

ولما كانت كل الدول قد تعهّدت بتأمين الاحترام العالمي والرعاية الواقعية لحقوق الانسان والحريات الاساسية بالتعاون مع منظمة الامم المتحدة.

وحيث أن حسن التفاهم المشترك بالنسبة لهذه الحقوق والحريات يمتلك كل الاهمية في التنفيذ الكامل لهذا الالتزام.

فإن الجمعية العامة تعتبر هذا الاعلان لحقوق الانسان هدفاً سامياً مشتركاً لكل الناس وكل الشعوب، ليأخذ كل الافراد وكل أركان المجتمع هذا الاعلان بعين الاعتبار دائماً، ويجاهدوا في سبيل توسيع احترام هذه الحقوق والحريات من خلال التعليم والتربية، ويؤمّنوا الاعتراف والتنفيذ الواقعي والحياتي لها عبر كل الاساليب التدريجية الوطنية والدولية، سواء بين نفس الشعوب العضوة أو بين شعوب الاقطار التي تقع تحت نفوذها

م ١: يولد كل أبناء البشر أحراراً وهم متساوون من حيث الكرامة والحقوق، والكل يملكون عقلاً ووجداناً، وعليهم أن يتعاملوا مع بعضهم البعض بروح الأخوة.

م ٢- أ: لكل إنسان الحق -دونما تمييز خصوصاً من حيث القومية أو اللون، أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الاعتقاد السياسي أو أية عقيدة أخرى، وكذلك من حيث الجنسية

والوضع الاجتماعي والثروة والولادة أو أية موقعية أخرى - في التمتع بكل الحقوق والحريات المذكورة في هذا الاعلان.

ب- بالإضافة لما سبق فإنه لن يتم أي تمايز يمتني على الوضع السياسي أو الاداري أو القضائي أو الدولي للبلد أو الارض التي يتنسب إليها الشخص، سواء أكان هذا البلد مستقلاً أو تحت الحماية أو لا يملك حكماً ذاتياً أو كانت حاكميته محدودة بشكل من الاشكال.

م ٣: لكل أحد حق الحياة، والحرية والأمن الشخصي.

م ٤: لا يمكن استعباد أحد، والتعامل ببيع و شراء العبيد ممنوع.

م ٥: لا يمكن تعذيب أي أحد أو معاقبته أو معاملته معاملة ظالمة أو مخالفة للانسانية وللشؤون البشرية أو محقرة له.

م ٦: لكل أحد الحق في التمتع أمام القانون بالشخصية الحقوقية له في كل مكان باعتباره انساناً.

م ٧: الكل متساوون أمام القانون ولهم الحق دونما تمييز وبالتساوي أن يتمتعوا بحماية القانون. ولكل الحق بالتساوي في التمتع بالحماية القانونية في قبال أي تمييز ينقض هذا الاعلان، وضد أي تحريك لتحقيق هذا التمييز.

م ٨: لكل أحد الحق في اللجوء الفعال إلى المحاكم الوطنية في قبال تلك الاعمال التي يتم فيها الاعتداء على الحقوق الاساسية التي يقرّها الدستور أو أي قانون آخر.

م ٩: لا يمكن توقيف أحد دونما سبب أو حبسه.

م ١٠: لكل أحد الحق - وبالتساوي الكامل - أن يرفع دعواه إلى محكمة مستقلة محايدة وبشكل منصف وعلني، ولمثل هذه المحكمة الحق في اتخاذ القرار حول حقوقه والتزاماته أو أي اتهام جزائي يتوجه إليه.

م ١١: أ- كل متهم بريء حتى يثبت تقصيره قانوناً وفي دعوى عامة تؤمن فيها كل

الضمانات اللازمة للدفاع.

ب - لا يمكن الحكم على أي أحد بارتكاب أو عدم ارتكاب عمل لا يعد حين الممارسة - بموجب الحقوق الوطنية أو الدولية - جرماً؛ ومن هنا فإنه لا يستحق جزاء أكبر من ذلك الذي كان يستحقه أثناء ارتكاب العمل.

م ١٢ : يجب أن لا تتعرض الحياة الشخصية، والشؤون العائلية، ومحل الإقامة، أو المكاتبات لأي تدخل، ولا يتعرض شرفه وسمعته لأي هجوم، ولكل أحد الحق في التمتع بحماية القانون في قبال مثل هذه الأنماط من التدخل والهجوم.

م ١٣ : أ - لكل أحد الحق في التردد داخل أي قطر واختيار محل إقامته.

ب - لكل أحد الحق في ترك أي قطر - ومن ذلك قطره - أو العودة إليه.

م ١٤ : أ - لكل أحد الحق في البحث عن مأوى له تجاه المتابعة والتعذيب والأذى واللجوء الى الاقطار الاخرى.

ب - لا يمكن الاستفادة من هذا الحق في الموارد التي تكون المتابعة فيها مبتنية على أساس من جريمة عامة أو غير سياسية أو سلوك مخالف لاصول ومقاصد الامم المتحدة.

م ١٥ : أ - لكل أحد الحق في التمتع بجنسيته.

ب - لا يمكن أن يسلب حق التمتع بالجنسية أو يحرم من حق تغيير جنسيته.

م ١٦ : أ - لكل رجل وامرأة بالغين الحق في الزواج وتشكيل العائلة دونما تحديد عرقي أو قومي أو من حيث الجنسية أو الدين، ولكل منهما في الشؤون الزوجية حقوق مساوية طوال مدة الزواج وأثناء فسخه.

ب - يجب أن يتم الزواج برضا كامل وبحرية من قبل المرأة والرجل.

ج - العائلة ركن طبيعي وأساس للمجتمع ولها الحق في التمتع بحماية المجتمع

والدولة.

م ١٧: أ- لكل شخص حق التملك مفرداً أو بشكل جماعي.

ب- لا يمكن حرمان أي أحد دونما سبب من حق الملكية.

م ١٨: لكل أحد الحق في التمتع بحرية الفكر، والوجدان والدين. وهذا الحق يشمل حرية تغيير الدين أو العقيدة، وكذلك يتضمن حرية بيان العقيدة والايمان، وكذلك يشمل التعليمات الدينية وإقامة المراسم الدينية. ولكل التمتع بهذه الحقوق منفرداً أو مشتركاً مع الآخرين بشكل خاص أو عام.

م ١٩: لكل أحد الحق في حرية العقيدة والبيان، والحق المذكور يقتضي أن لا يعيش في قلق نتيجة اعتقاداته، وأن يكون حرّاً في الحصول على المعلومات والافكار وأخذها ونشرها بكل الوسائل الممكنة ودون أية ملاحظات جغرافية.

م ٢٠: أ- لكل أحد الحق في تشكيل الاجتماعات والجمعيات السلمية بكل حرية.

ب- لا يمكن إجبار أي أحد على الاشتراك في أي اجتماع.

م ٢١: أ- لكل أحد الحق في المشاركة في الادارة العامة لقطره، سواء بشكل مباشر أو بواسطة مندوبين ينتخبهم بكل حرية.

ب- لكل أحد الحق - مع وحدة الظروف - في الحصول على الوظائف العامة.

ج- إرادة الشعب هي أساس ومنشأ قدرة الحكومة، وهذه الارادة يجب أن تبرز من خلال الانتخابات التي تجري على أساس شريف وبشكل دوري. ويجب أن تتم الانتخابات بشكل عمومي مع مراعاة لمبدأ المساواة وبالأراء المخفية أو نظير ذلك بحيث يتم تأمين حرية الآراء.

م ٢٢: لكل إنسان باعتباره عضواً في المجتمع حق الامن الاجتماعي، وهو مجاز في الحصول بواسطة المساعي الوطنية أو التعاون الدولي على الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يقتضيها مقامه وحرية تكامله الشخصي، وذلك مع مراعاة للتشكيلات الداخلية ومصادر كل قطر.

م ٢٣: أ- لكل أحد حق العمل، وله أن يختار عمله بكل حرية، وإن يشترط لعمله ظروفاً منصفة ومقبولة، وأن يطلب الحماية مقابل العطالة.

ب- لكل الحق دونما تمييز في المطالبة بأجر مساوٍ لقاء الأعمال المساوية.

ج- لكل إنسان يعمل بأجر منصف ومقبول، الحق في تأمين حياته وحياة عائلته بشكل ينسجم والشؤون الانسانية وأن يكملها - في حالة اللزوم - بكل نوع من الوسائل الاخرى للحماية الاجتماعية.

د- لكل إنسان الحق في مجال الدفاع عن مصالحه في أن يشكل اتحاداً مع الآخرين والاشتراك في النقابات والاتحادات الموجودة.

م ٢٤: لكل أحد حق الاستراحة والاستجمام، وله بالخصوص التمتع بتحديد ساعات العمل، والاستمتاع بالاجازات مع دفع رواتب تجاهها.

م ٢٥: أ- لكل أحد الحق في تأمين مستوى معيشي سالم ومرق له ولعائلته، من حيث الأكل والسكن والمراقبة الطبية والخدمات الاجتماعية اللازمة. وكذلك له الحق في التمتع بظروف شريفة لحياته في حالة العطالة والمرض ونقص الاعضاء، والترمل والشيخوخة، وكل الموارد الاخرى التي يفقد الانسان معها - لأسباب خارجة عن إرادته - وسائل تأمين معاشه.

ب- للأمهات والاطفال الحق في التمتع بالمساعدة والمراقبة الخاصة، وللأطفال - الذين يولدون بزواج أم لا - الحق في التمتع جميعاً بنوع من الحماية الاجتماعية.

م ٢٦: أ- لكل أحد الحق في التمتع بحق التعليم والتربية، ويجب أن يكون التعليم والتربية - على الاقل إلى الحد الذي يتعلق بالتعليمات الابتدائية والاساسية - مجانياً، التعليم الابتدائي يجب أن يكون إجبارياً، وتعليم الحرف يجب تعميمه، وأن يفتح التعليم العالي بظروف متساوية تماماً أمام الجميع ليتمكنهم الاستفادة منه بمقتضى استعداداتهم.

ب- التعليم والتربية يجب أن يوجه بحيث يوصل الشخصية الانسانية لأي أحد إلى

الحد الاكمل من النمو، ويقوّي من احترام الحقوق والحريات الانسانية. التعليم والتربية يجب أن يسهّل مبدأ حسن التفاهم والتضحية واحترام العقائد المخالفة والمحبة بين كل الشعوب والمجتمعات القومية أو الدينية، وكذلك توسعة نشاطات الامم المتحدة في سبيل حفظ السلام.

جـ- للاب والام الأولوية على الآخرين في اختيار نوع التعليم والتربية لابنائهما.

م ٢٧: أ- لكل أحد الحق في الاشتراك بحرية في الحياة الثقافية الاجتماعية، والتمتع بالفنون، والاسهام في التقدم العلمي وثماره.

ب- لكل أحد الحق في حماية المنافع المعنوية والمادية لاعماله العلمية والثقافية والفنية.

م ٢٨: لكل أحد الحق في تأمين النظام الذي يحقق من الوجهة الاجتماعية والدولية الحقوق والحريات المذكورة في هذا الاعلان ويطبقه في حياته.

م ٢٩: أ- كل فرد مسؤول في قبال المجتمع الذي ييسّر نمو شخصيته بشكل حرّ وكامل.

ب- كل فرد في مجال الحقوق والتمتع بالحريات لا تحدّه إلا الحدود التي يضعها القانون لتأمين الاعتراف بحريات الآخرين والاعتراف بها، وبالتالي رعاية المقتضيات الاخلاقية الصحيحة، والنظام العام والرفاه الاجتماعي الشامل في اطار مجتمع ديمقراطي.

جـ- لا يمكن تنفيذ هذه الحقوق والحريات في أي مورد يخالف مقاصد و مبادئ الامم المتحدة.

م ٣٠: لا يمكن تفسير أي من مقرّرات هذا الاعلان بشكل يتضمّن حقاً لحكومة أو مجموعة أو فرد يستطيع بموجبه أن يسلب الحقوق والحريات المتضمنة. في هذا الاعلان أو يغيرها.

رواية حديث الثقلين

تطرقنا في التحقيق السابق إلى رواية ومخرجي حديث الثقلين من أهل السنة، وأدرجناهم حسب التسلسل الزمني ليستسنى للقارئ متابعة الموضوع بيسر وسهولة، ولتكون لديه صورة واضحة عن مدى اهتمام الرواة الكبير بنقل هذا الحديث عبر القرون المتعاقبة إلى يومنا هذا. ولا ندعي الإحاطة بكل الرواة للحديث من أبناء السنة إذ لعلّه قد فاتنا بعض منهم.

وفي هذه الحلقة ندرج أسماء الرواة والمخرجين الشيعة لحديث الثقلين منذ الصدر الأول للإسلام إلى يومنا هذا، ونحرص أن يكونوا من الموثقين والمعتمدين، مراعين في ذلك التسلسل الزمني جهد الإمكان نظراً لصعوبة ذلك نتيجة عدم الضبط التاريخي لسني وفيات الكثير منهم، واختلاف أصحاب الرجال في تحديدها. أو لكون بعضهم مجهول سنة الوفاة أساساً، وقد جاء ذلك التحديد اعتماداً على فترة معاصرتهم لبعض الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أو روايتهم لحديث الثقلين عنهم.

عبد الرحمن زروق، دكتور

رواية حديث الثقلين في المائة الأولى للهجرة

- ١ - الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام: ٤ - ٦١ هـ.
- ٢ - الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام: ٢٨ - ٩٥ هـ.
- ٣ - الإمام الباقر محمد بن علي عليهما السلام: ٥٧ - ١١٤ هـ.
- ٤ - سليم بن قيس الهلالي: من أصحاب الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين والإمام علي بن الحسين عليهم السلام المتوفى أواخر القرن الأول الهجري، روى عنهم حديث الثقلين.
- ٥ - عمر بن أبي سلمة: من أصحاب الإمام علي عليه السلام، المتوفى ٨٣ هـ، روى عنه

مَحَقَّقَات

حديث الثقلين.

- ٦- سالم بن أبي الجعد: من أصحاب الإمام علي عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.
- ٧- أبو زائدة: من أصحاب الإمام علي عليه السلام.
- ٨- مالك بن أبي ضمرة: من أصحاب الإمام علي عليه السلام.
- ٩- هشام بن حسان: من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.
- ١٠- أبو اسحاق السبيعي بن كليب: من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام.
- ١١- عطاء بن السائب: من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام.
- ١٢- علي بن ثابت الدهان: من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.

١٣- أبان بن أبي عياش: من أصحاب الإمام السجاد والإمام الباقر عليهما السلام، روى عنهما حديث الثقلين.

- ١٤- مالك بن عطية: من أصحاب الإمام السجاد والإمام الباقر عليهما السلام.
- ١٥- أبو المقدام: من أصحاب الإمام السجاد والإمام الباقر عليهما السلام.
- ١٦- محمد بن مسلم: من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.
- ١٧- عبد الرحمن بن حلاب الأنصاري: من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام.
- ١٨- أبو عبد الله مولى العباس: عاصر الإمام الباقر عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.

- ١٩- ابن الفارسي: من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.
- ٢٠- عمران بن ميثم التمار: من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.

٢١- عكرمة مولى ابن عباس.

٢٢- عيسى بن المعتمر.

٢٣- أبو هارون العبدى.

٢٤- الحسن بن عطية العوفى.

٢٥- أبو يحيى.

٢٦- أحمد بن عبدالله بن يزيد بن سلام.

٢٧- الحسن بن عبيدالله.

٢٨- عمرو بن هاشم الحميرى.

٢٩- أبو ثابت مولى أبي ذر.

٣٠- عمرو بن صالح بن زكريا.

٣١- عبد العزيز بن رفيع.

٣٢- عبدالله بن مسعود.

رواة حديث الثقلين في المائة الثانية للهجرة

١- الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: ٨٣- ١٤٨ هـ.

٢- الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام: ١٢٨- ١٨٣ هـ.

٣- الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام: ١٤٨- ٢٠٣ هـ.

٤- جابر بن يزيد الجعفي: من أصحاب الإمام الباقر عليهما السلام، المتوفى ١٢٨ هـ،

روى عنه حديث الثقلين.

٥- عبد المؤمن بن القاسم: من أصحاب الإمام الباقر عليهما السلام، المتوفى ١٤٧ هـ.

٦- أبو حمزة الثمالى: من أصحاب الإمام السجاد والإمام الباقر عليهما السلام، المتوفى

١٥٠ هـ، روى عنهما حديث الثقلين.

٧- بريد بن معاوية العجلي: من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام،

المتوفى ١٥٠ هـ.

٨- سعد بن طريف الإسكافي: من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام، روى عنهما حديث الثقلين.

٩- اسماعيل بن جابر الجعفي: من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام.

١٠- عمرو بن ثابت: من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام.

١١- ابراهيم بن عمر اليماني: من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام.

١٢- صالح بن عقبة: من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم عليهم السلام.

١٣- علي بن فضال: من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام.

١٤- مسعدة بن صدقة: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.

١٥- حسين بن زيد بن علي: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.

١٦- معاوية بن وهب: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.

١٧- عبدالله بن الحسن: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

١٨- أبان بن عثمان: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

١٩- عبد الرحمن بن الفضيل: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

٢٠- اسرائيل بن يونس بن أبي اسحق الكوفي: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، المتوفى ١٦١ هـ.

٢١- الفضيل بن مرزوق: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

٢٢- هشام بن سعيد: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

٢٣- سعاد بن سليمان: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

- ٢٤- محمد بن طلحة النهدي: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.
- ٢٥- أبو عوانة بن غاصم: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.
- ٢٦- أبو بصير: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.
- ٢٧- عمران بن علي الحلبي: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.
- ٢٨- أيوب بن الحر أخو أديم: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.
- ٢٩- ابن مسكان: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.
- ٣٠- علقمة بن محمد الحضرمي: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.
- ٣١- يعقوب بن شعيب بن ميثم الأسدي: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.
- ٣٢- علي بن عقبة: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.
- ٣٣- جرير بن عبدالله السجستاني: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.
- ٣٤- اسحق بن غالب الأسدي الكوفي: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.
- ٣٥- ذريح بن محمد بن ذريح: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.
- ٣٦- سفيان بن إبراهيم بن مزيد الأزدي الكوفي: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.
- ٣٧- عبد الكريم بن عمرو: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام والإمام الكاظم عليهما السلام.
- ٣٨- محمد بن عمارة بن ذكوان الكلابي البزاز: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام،

روى عنه حديث الثقلين، المتوفى ١٧١ هـ، أو ١٩١ هـ.

٣٩- عبد العزيز بن أبي حازم: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، المتوفى ١٨٥ هـ.

٤٠- جرير بن عبد الحميد الضبي الكوفي: عاصر الإمام الصادق عليه السلام، المتوفى ١٨٨ هـ.

٤١- جعفر بن عمارة الهمداني الخارقي: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

٤٢- محمد بن عكاشة: عاصر الإمام الصادق عليه السلام، وروى عنه.

٤٣- موسى بن مسلم بن مسعدة: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.

٤٤- غياث بن ابراهيم: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.

٤٥- عبدالله بن هارون الكوفي: روى عن الإمام الصادق عليه السلام.

٤٦- عبد الحميد بن أبي الديلم: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

٤٧- يزيد بن الحسن: من أصحاب الإمام الصادق والإمام الكاظم عليهما السلام.

٤٨- زرار بن أعين: روى عن الإمام الصادق والإمام الكاظم عليهما السلام.

٤٩- أبو مالك: روى عن الإمام الصادق عليه السلام.

٥٠- عمرو بن جميع: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

٥١- سويد بن سديد الصيرفي: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

٥٢- زكريا بن عبدالله: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

٥٣- جعفر بن محمد بن عمارة: روى عن الإمام الصادق عليه السلام.

٥٤- زيد بن الحسن الأنماطي: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

٥٥- معمر بن راشد: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

- ٥٦- أبو شعيب الحداد: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.
- ٥٧- أبو الجارود: روى حديث الثقلين عن الإمام الصادق عليه السلام كما يذكر أنه رواه عن الإمام الباقر عليه السلام.
- ٥٨- قيس بن سمعان: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.
- ٥٩- هارون بن خارجة الأنصاري: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.
- ٦٠- علي بن رثاب أو أبياب: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.
- ٦١- سيف بن عميرة: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.
- ٦٢- عمر بن أذينة: من أصحاب الإمام الصادق والإمام الكاظم عليهما السلام.
- ٦٣- أبو محمد الأنصاري: روى عن الإمام الصادق والإمام الكاظم عليهما السلام.
- ٦٤- خالد بن مازن أو (ماد) القلانسي: من أصحاب الإمام الصادق والإمام الكاظم عليهما السلام.
- ٦٥- عيسى بن عبد الملك بن مالك: روى عن الإمام الصادق والإمام الرضا عليهما السلام.
- ٦٦- علي بن أبي حمزة: من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.
- ٦٧- محمد بن صدقة العنبري: من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين:
- ٦٨- معاوية بن هشام: روى عن الإمام الصادق عليه السلام.
- ٦٩- يحيى بن عمران الحلبي: من أصحاب الإمام الصادق والإمام الكاظم عليهما السلام.
- ٧٠- عبد الرزاق بن همام: روى عن الإمام الصادق عليه السلام.
- ٧١- الحسن بن الحسين العرنبي: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وروى عنه.
- ٧٢- عيسى بن يونس: من أصحاب الإمام الصادق والإمام الكاظم عليهما السلام.

- ٧٣- أبو جميلة المفضل بن صالح: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، المتوفى في أيام الرضا عليه السلام.
- ٧٤- ابن فضيل: من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.
- ٧٥- محمد بن خالد: من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.
- ٧٦- هشام بن الحكم: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ومن خواص الإمام الكاظم عليه السلام، المتوفى ١٩٩ هـ.
- ٧٧- النضر بن سويد الصيرفي الكوفي: من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.
- ٧٨- الربيع بن سيار.
- ٧٩- الحسن بن الحسين المغربي.
- ٨٠- يحيى بن خلف الراسبي.
- ٨١- كثير بن يحيى.
- ٨٢- أبو عمرو حفص بن عمر الفراء.

رواة حديث الثقلين في المائة الثالثة للهجرة

- ١- الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام: ١٩٥ - ٢٢٠ هـ.
- ٢- الإمام علي بن محمد الهادي عليهما السلام: ٢١٢ - ٢٥٤ هـ.
- ٣- الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام: ٢٣٢ - ٢٦٠ هـ.
- ٤- شاذان بن الخليل النيشابوري: من أصحاب الإمام الكاظم والإمام الجواد عليهما السلام.
- ٥- جعفر بن بشير البجلي: من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، المتوفى ٢٠٨ هـ.
- ٦- يونس بن عبد الرحمن: من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، المتوفى ٢٠٨ هـ.
- ٧- علي بن محمد: من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، المتوفى ٢٠٨ هـ.

- ٨- حماد بن عيسى: من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، المتوفى ٢٠٩ هـ.
- ٩- صفوان بن يحيى: من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، المتوفى ٢١٠ هـ.
- ١٠- عبدالله بن داود: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، المتوفى ٢١٣ هـ.
- ١١- اسحق بن إبراهيم: من أصحاب الإمام الكاظم والإمام الجواد عليهما السلام.
- ١٢- محمد بن أبي عمير: من أصحاب الإمام الكاظم والإمام الرضا والإمام الجواد عليهما السلام، المتوفى ٢١٧ هـ.
- ١٣- سليمان بن داود المنقري، المتوفى ٢٢٠ هـ.
- ١٤- محمد بن سنان أبو جعفر الزاهري: عاصر الإمام الرضا والإمام الجواد عليهما السلام، المتوفى ٢٢٠ هـ.
- ١٥- الحسن بن علي بن فضال: من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، المتوفى ٢٢٤ هـ.
- ١٦- عبدالله بن موسى: من أصحاب الإمام الكاظم والإمام الرضا عليهما السلام.
- ١٧- شعيب بن أيوب: من أصحاب الإمام الكاظم والإمام الرضا عليهما السلام.
- ١٨- إبراهيم بن هاشم: من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام.
- ١٩- عبدالله بن محمد بن علي التميمي: عاصر الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه حديث الثقلين.
- ٢٠- محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني: عاصر الإمام الرضا والإمام الهادي والإمام العسكري عليهم السلام.
- ٢١- يعقوب بن يزيد بن حماد الكاتب: من أصحاب الإمام الرضا والإمام الهادي عليهما السلام.
- ٢٢- داود بن سليمان الفراء: من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.

- ٢٣- بشر بن الوليد: عاصر الإمام الرضا عليه السلام.
- ٢٤- محمد بن عبدالله المدايني: من أصحاب الإمام الرضا والإمام الجواد عليهما السلام.
- ٢٥- الريان بن الصلت: من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام.
- ٢٦- الحسن بن محبوب الزرادي: من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، المتوفى ٢٢٤هـ.
- ٢٧- أحمد بن محمد بن عيسى: من أصحاب الإمام الرضا والإمام الجواد والإمام الهادي عليهم السلام، المتوفى ٢٤٠هـ.
- ٢٨- عبدالله بن محمد بن عيسى: من أصحاب الإمام الرضا والإمام الجواد والإمام الهادي عليهم السلام.
- ٢٩- الحسين بن سعيد بن حماد الأهوازي: روى عن الإمام الرضا والإمام الجواد والإمام الهادي عليهم السلام.
- ٣٠- يحيى بن أبي عمران: عاصر الإمام الجواد عليه السلام.
- ٣١- عبّاد بن يعقوب: المتوفى ٢٥٠هـ.
- ٣٢- مجاهد بن موسى: المتوفى ٢٥٠هـ.
- ٣٣- أبو عبدالله محمد بن شاذان النيسابوري: من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام، المتوفى ٢٥٠هـ.
- ٣٤- سهل بن زياد الأدمي: من أصحاب الإمام الجواد والإمام الهادي والإمام العسكري عليهم السلام، المتوفى ٢٥٥هـ.
- ٣٥- محمد بن خالد الطيالسي: المتوفى ٢٥٩هـ.
- ٣٦- الفضل بن شاذان النيسابوري: من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام، المتوفى ٢٦٠هـ.
- ٣٧- أبو الحسن عمرو بن جامع بن عمر الكندي: المتوفى ٢٦٠هـ.

٣٨- محمد بن الحسين بن أبي الخطاب: من أصحاب الإمام الجواد والإمام الهادي والإمام العسكري عليهم السلام، المتوفى ٢٦٢ هـ.

٣٩- عبدالله بن مبارك: من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام.

٤٠- أبو موسى عيسى بن أحمد بن المنصور السامرائي: من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام.

٤١- محمد بن المهلب، المتوفى ٢٦٥ هـ.

٤٢- السندي بن محمد (أبان بن محمد البجلي) أبا بشر: من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام، المتوفى ٢٧٤ هـ.

٤٣- أحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن البرقي: من أصحاب الإمام الجواد والإمام الهادي عليهما السلام، المتوفى ٢٧٤ أو ٢٨٠ هـ.

٤٤- يحيى بن آدم.

٤٥- أحمد بن عبيد الله القداني.

٤٦- إسماعيل بن صبيح.

٤٧- أبو عمرو أحمد بن أبي حازم الغفاري.

٤٨- أبو ثابت المدني.

٤٩- إبراهيم بن عاصم.

٥٠- أبو عبدالله إبراهيم بن محمد الأزدي.

٥١- الحسن بن عبدالله بن محمد بن علي التميمي: من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، روى عنه حديث الثقلين.

٥٢- محمد بن طريف.

٥٣- عبد الغفار بن محمد بن كثير الكلابي.

٥٤- الحسين بن الحسن الحميري.

- ٥٥ - أبو زرعة الرازي.
- ٥٦ - محمد بن علي بن منصور.
- ٥٧ - ابراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي، المتوفى ٢٨٣ هـ.
- ٥٨ - الحسن بن علي بن الحسين السكري.
- ٥٩ - القاسم بن محمد الاصفهاني، المتوفى أواخر القرن الثالث.
- ٦٠ - محمد بن الحسين.
- ٦١ - الحسين بن أحمد.
- ٦٢ - عبد الله بن محمد بن ناجية.
- ٦٣ - محمد بن يحيى الضرير.
- ٦٤ - عيسى بن محمد العلوي.
- ٦٥ - محمد بن أحمد بن الحسن.
- ٦٦ - محمد بن الحسن الصفار: من أصحاب الإمام العسكري عليهم السلام، المتوفى ٢٩٠ هـ.
- ٦٧ - عبد الله بن جعفر الحميري، المتوفى ٢٩٠ هـ.
- ٦٨ - محمد بن عمارة السكري.
- ٦٩ - عبد الله بن أحمد المستورد.
- ٧٠ - عبد الله بن محمد بن عبد العزيز.
- ٧١ - الحسن بن حميد.
- ٧٢ - الحسين بن حميد.
- ٧٣ - أحمد بن يوسف الحمصي.
- ٧٤ - محمد بن زكريا الجوهري، المتوفى ٢٩٨ هـ.
- ٧٥ - محمد بن علي بن ابراهيم بن هاشم، المتوفى أواخر القرن الثالث.

رواة حديث الثقلين في المائة الرابعة للهجرة

- ١- أحمد بن عبدالله بن جعفر المَعْلَى الهمداني، المتوفى ٣٠٠ هـ.
- ٢- الشيخ سعد بن عبدالله القمي، المتوفى ٣٠١ هـ.
- ٣- أحمد بن الحسن القطان، المتوفى ٣٠٢ هـ.
- ٤- علي بن ابراهيم بن هاشم القمي، المتوفى ٣٠٧ هـ.
- ٥- جعفر بن محمد الحسن، المتوفى ٣٠٨ هـ.
- ٦- أبو عبدالله بن عمر بن مسلم اللاحق البصري، المتوفى ٣١٠ هـ.
- ٧- محمد بن جعفر الرزاز القرشي، المتوفى ٣١٠ هـ.
- ٨- علي بن الحسن بن محمد.
- ٩- أبو جعفر محمد بن قولويه.
- ١٠- محمد بن الحسن بن العباس بن جعفر الخزاعي.
- ١١- محمد بن الحسين بن جعفر الخثعمي، المتوفى ٣١٧ هـ.
- ١٢- أبو جعفر محمد بن حسين بن حفص، المتوفى ٣١٧ هـ.
- ١٣- الحسن بن علي بن شعيب الجوهري.
- ١٤- الحسن بن علي بن زكريا العدوي البصري، المتوفى ٣١٩ هـ.
- ١٥- علي بن موسى العطفاني.
- ١٦- الحسن بن علي بن عبد الكريم الزعفراني.
- ١٧- القاسم بن عباد.
- ١٨- أبو موسى عيسى بن مهران المستعطف.
- ١٩- عبد الواحد بن عبدالله بن يونس الموصل، المتوفى ٣٢٦ هـ.
- ٢٠- أبو حاتم المغيرة بن محمد بن المهلب.
- ٢١- عبد العزيز بن عبدالله بن يونس.

- ٢٢- أبو جعفر محمد بن عبدالله بن جعفر الحميري القمي.
- ٢٣- محمد بن العباس بن ماهيار، المتوفى ٣٢٨ هـ.
- ٢٤- أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، المتوفى ٣٢٨ هـ أو ٣٢٩ هـ.
- ٢٥- علي بن الحسين بن شاذويه، المتوفى ٣٣٠ هـ.
- ٢٦- محمد بن همام بن سهل البغدادي، المتوفى ٣٣٢ هـ أو ٣٣٦ هـ.
- ٢٧- علي بن محمد بن يعقوب الصيرفي، المتوفى ٣٣٢ هـ.
- ٢٨- أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، المتوفى ٣٣٢ هـ.
- ٢٩- أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني.
- ٣٠- محمد بن أحمد بن مخزوم المقرئ، المتوفى بعد ٣٣٠ هـ.
- ٣١- هارون بن محمد.
- ٣٢- العباس بن الفضل المقرئ.
- ٣٣- عبيدالله بن محمد بن الفضل، المتوفى بعد ٣٤١ هـ.
- ٣٤- محمد بن ابراهيم النعماني، المتوفى بعد ٣٤٢ هـ.
- ٣٥- محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد القمي، المتوفى ٣٤٣ هـ.
- ٣٦- الحسن بن محمد بن الحسن السكوني الكوفي، المتوفى بعد ٣٤٤ هـ.
- ٣٧- محمد بن ابراهيم بن أحمد بن يونس.
- ٣٨- محمد بن بكران بن حمدان النقاش، المتوفى ٣٤٥ هـ.
- ٣٩- أبو الحسن محمد بن أحمد بن عيسى الهاشمي.
- ٤٠- علي بن الحسين بن بابويه (والد الصدوق).
- ٤١- أبو النضر محمد بن مسعود العياشي، المتوفى ٣٤٨ هـ.
- ٤٢- محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، المتوفى بعد ٣٤٨ هـ.
- ٤٣- أبو محمد جعفر بن نعيم بن شاذان النيسابوري.

- ٤٤- عبد الواحد بن محمد بن عبدوس النيسابوري، المتوفى ٣٥٢ هـ.
- ٤٥- الصدوق أبو علي محمد بن أحمد بن محمد بن زياد.
- ٤٦- محمد بن عمر بن سالم بن البراء الجماعي، المتوفى ٣٥٥ هـ.
- ٤٧- الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن، المتوفى بعد ٣٥٥ هـ.
- ٤٨- علي بن الفضل البغدادي.
- ٤٩- علي بن محمد بن قتيبة.
- ٥٠- محمد بن وهبان بن محمد البصري، المتوفى ٣٦٠ هـ.
- ٥١- أحمد بن اسماعيل، المتوفى ٣٦٠ هـ.
- ٥٢- محمد بن جعفر بن الحسن البغدادي.
- ٥٣- جعفر بن محمد بن مسرور.
- ٥٤- محمد بن أحمد بن حمدان القشيري.
- ٥٥- أبو محمد عبدالله بن يزيد البجلي، المتوفى بعد ٣٦٥ هـ.
- ٥٦- أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، المتوفى ٣٦٨ هـ.
- ٥٧- اسماعيل بن محمد بن شيبه القاضي.
- ٥٨- عتبة بن عبدالله الحمصي، المتوفى ٣٨٠ هـ.
- ٥٩- أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق)،
المتوفى ٣٨١ هـ.
- ٦٠- أبو القاسم اسماعيل بن محمد الأنباري الكاتب.
- ٦١- علي بن الحسين بن محمد بن منده، المتوفى ٣٨١ هـ.
- ٦٢- الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري، المتوفى ٣٨٢ هـ.
- ٦٣- أبو الحسن علي بن محمد الكاتب.
- ٦٤- أبو حفص محمد بن عمر الصيرفي.

- ٦٥- هارون بن موسى التلعكبري (أبو محمد)، المتوفى ٣٨٥ هـ.
 ٦٦- أبو المفضل محمد بن عبدالله بن محمد الشيباني، المتوفى ٣٨٧ هـ.
 ٦٧- أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني.

رواة حديث الثقلين في المائة الخامسة للهجرة

- ١- الشريف الرضي محمد بن الحسين، المتوفى ٤٠٦ هـ.
- ٢- الشيخ أحمد بن محمد بن موسى، المتوفى ٤٠٩ هـ.
- ٣- أبو عمرو عبد الواحد بن محمد بن عبدالله بن مهدي، المتوفى ٤١٠ هـ.
- ٤- الشيخ أبو عبدالله الحسين بن عبيدالله بن الغضائري، المتوفى ٤١١ هـ.
- ٥- الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بـ (المفيد)، المتوفى ٤١٣ هـ.
- ٦- السيد أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر، المتوفى ٤١٤ هـ.
- ٧- محمد بن موسى الهمداني.
- ٨- الشيخ أبو عبدالله أحمد بن عبد الواحد البزاز، المتوفى ٤٢٣ هـ.
- ٩- الشريف المرتضى علي بن الحسين، المتوفى ٤٣٦ هـ.
- ١٠- أبو علي الحسن بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن أشناس، المتوفى ٤٣٩ هـ.
- ١١- أبو القاسم علي بن محمد الخزاز القمي الرازي.
- ١٢- تقي بن نجم الحلبي المعروف بـ (أبي الصلاح الحلبي)، المتوفى ٤٤٦ هـ.
- ١٣- القاضي أبو القاسم علي التنوخي ابن القاضي أبي علي المحسن، المتوفى ٤٤٧ هـ.
- ١٤- الشيخ أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي، المتوفى ٤٤٩ هـ.
- ١٥- أبو محمد الحسن بن أبي الحسن بن محمد الديلمي.
- ١٦- علي بن محمد العدوي الشمشاطي، المتوفى ٤٥٣ هـ.

١٧- محمد بن أحمد بن الفتال النيسابوري.

١٨- شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى ٤٦٠ هـ.

رواة حديث الثقلين ومخرجوه في المائة السادسة للهجرة وبعدها

١- الشيخ محمد بن الحسن بن علي الفتال، المتوفى ٥٠٨ هـ.

٢- أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، المتوفى في القرن السادس الهجري.

٣- الشيخ الشهيد أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفى ٥٤٨ هـ.

٤- عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم علي بن محمد الطبري، المتوفى حدود ٥٥٣ هـ.

٥- الشيخ رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل بن الحسن الطبري، المتوفى في القرن السادس الهجري.

٦- قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي، المتوفى بعد ٥٦٢ هـ.

٧- رشيد الدين أبو جعفر المازندراني المعروف بـ (ابن شهر آشوب)، المتوفى ٥٨٨ هـ.

٨- الشيخ أبو الحسين يحيى بن الحسن الملقب بـ (ابن البطريق) المتوفى ٦٠٥ هـ.

٩- أبو الفضل علي بن الحسن بن الفضل الطبرسي، المتوفى في القرن السابع الهجري.

١٠- السيد علي رضي الدين أبو القاسم بن طاووس الحسني، المتوفى ٦٦٤ هـ.

١١- السيد غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن طاووس، المتوفى بعد ٦٨٢ هـ.

١٢- علي بن الحسين بن أبي الفتح الأربلي، المتوفى ٦٩٢ هـ.

١٣- جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر الحلّي، المتوفى ٧٢٥ هـ.

١٤- نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى الحلبي الهذلي،
المتوفى ٧٢٦ هـ.

١٥- الحسن بن سليمان بن خالد الحلبي، المتوفى بعد ٧٨٦ هـ.

١٦- الشيخ علي بن يونس العاملي (زين الدين البياضي)، المتوفى ٨٧٧ هـ.

١٧- السيد عز الدين حسين بن مساعد الحائري، المتوفى ٩١٧ هـ.

١٨- الشيخ عبد العالي بن الشيخ بدر الدين الكركي، المتوفى بعد ٩٨٨ هـ.

١٩- القاضي نور الله التستري الشهيد، المتوفى ١٠١٩ هـ.

٢٠- المولى محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي النجفي القمي،
المتوفى ١٠٩٨ هـ.

٢١- محمد بن الحسن بن محمد بن الحر العاملي، المتوفى ١١٠٤ هـ.

٢٢- السيد هاشم بن سليمان بن السيد اسماعيل البحراني النوبلي،
المتوفى ١١٠٧ هـ.

٢٣- الشيخ محمد باقر المجلسي، المتوفى ١١١٠ هـ.

٢٤- الشيخ محمد باقر الإصبهاني البهبهاني، المتوفى ١١٥٩ هـ.

٢٥- الشيخ الميرزا محمد تقي بن علي النوري، المتوفى ١٢٦٣ هـ.

٢٦- المير السيد حامد الموسوي اللكهنوي، المتوفى ١٣٠٦ هـ.

٢٧- الشيخ عباس القمي، المتوفى ١٣٥٩ هـ.

٢٨- السيد عبد الحسين شرف الدين، المتوفى ١٣٧٧ هـ.

٢٩- عبد الحسين بن أحمد الأميني، المتوفى ١٣٩٢ هـ.

٣٠- العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، المتوفى ١٤٠٢ هـ.

٣١- السيد شهاب الدين الحسيني المرعشي، المتوفى ١٤١١ هـ.

٣٢- الشيخ محمد حسين المظفر.

٣٣- الشيخ قوام الدين القمي الوشنوي.

وختاماً ندرج أعداد الرواة حسب القرون:

- ١- رواية الحديث في القرن الأول الهجري: ٣٢.
- ٢- رواية الحديث في القرن الثاني الهجري: ٨٢.
- ٣- رواية الحديث في القرن الثالث الهجري: ٧٥.
- ٤- رواية الحديث في القرن الرابع الهجري: ٦٧.
- ٥- رواية الحديث في القرن الخامس الهجري: ١٨.
- ٦- رواية الحديث في القرن السادس الهجري وما بعده: ٣٣.

المصادر (حسب الحروف الأبجدية):

- ١- إثبات الهداة: محمد بن الحسن الحرّ العاملي.
- ٢- اختيار معرفة الرجال: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي.
- ٣- الأعلام (قاموس تراجم): خير الدين الزركلي.
- ٤- أعيان الشيعة: العلامة السيد محسن الأمين.
- ٥- أمل الآمل: الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي.
- ٦- تاريخ بغداد: أبو بكر الخطيب البغدادي.
- ٧- تنميط أمل الآمل: العلامة الشيخ عبد النبي القزويني.
- ٨- تعليقه أمل الآمل: الميرزا عبد الله أفندي الإصبهاني.
- ٩- تكملة أمل الآمل: السيد حسن الصدر.
- ١٠- تلامذة العلامة المجلسي والمجازون منه: جمع وتدوين السيد أحمد الحسيني.
- ١١- تنقيح المقال في علم الرجال: الشيخ عبد الله المامقاني.

- ١٢- تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني.
- ١٣- الجامع لرواة وأصحاب الإمام الرضا عليه السلام: محمد مهدي نجف.
- ١٤- الذريعة الى تصانيف الشيعة: الشيخ آقا بزرك الطهراني.
- ١٥- رجال الطوسي: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي.
- ١٦- رياض العلماء وحياض الفضلاء: الميرزا عبدالله افندي الاصبهاني.
- ١٧- طبقات أعلام الشيعة: الشيخ آقا بزرك الطهراني.
- ١٨- غاية المرام: السيد هاشم بن سليمان البحراني.
- ١٩- الفهرست: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي.
- ٢٠- فهرست أسماء علماء الشيعة ومصنفيههم: منتجب الدين علي بن بابويه الرازي.
- ٢١- الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي.
- ٢٢- مجمع الرجال: الشيخ المولى عناية الله القهبائي.
- ٢٣- مستدركات أعلام الشيعة: السيد حسن الأمين.
- ٢٤- مشيخة النجاشي: الشيخ محمود ذرياب.
- ٢٥- معجم الأدباء: ياقوت الحموي.
- ٢٦- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي.
- ٢٧- معجم المطبوعات العربية والمعربة: يوسف اليان سنركيس.

خَيْرُ الْخَيْرِ *

في هذا الباب نحاول أن نوجه أنظار القراء الكرام إلى مفهوم أو فكرة معينة عن طريق التركيز عليها والتجميع الموضوعي لما أثر من نصوص كلمات المعصومين عليهم السلام فيها لما تمتاز به تلك النصوص من رؤية واقعية صادقة وبيان شمولي بليغ يرتبط بمعنى القرآن الكريم الذي لا ينضب، تصديقاً لقولهم عليهم السلام: «شَرْقًا وَغَرْبًا فَلَنْ تَجِدَا عِلْمًا صَحِيحًا إِلَّا شَيْئًا يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ».

بحار الانوار ٢: ٩٢.

السَّيِّدُ عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِيُّ

خير العلم

- ١ - خير العلم ما نفع.
- ٢ - خير العلم ما قارنه العمل.
- ٣ - خير العلم ما أصلحت به رشادك، وشره ما أفسدت به معادك.
- ٤ - خير علمك ما أصلحت به يومك، وشره ما أفسدت به قومك.

خير العمل

- ١ - خير الأعمال ما أصلح الدين.
- ٢ - خير الأعمال ما اكتسب شكرًا.

(*) من حكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن كتاب «غور الحكيم ودرر الكلم» الجزء الأول: تأليف عبد الواحد الأمدي. ط: بيروت. ١٤١٧ هـ.

- ٣- خَيْرُ الْعَمَلِ مَا صَحَبَهُ الْإِخْلَاصُ.
- ٤- خَيْرُ الْأَعْمَالِ مَا زَانَهُ الرِّفْقُ.
- ٥- خَيْرُ الْأَعْمَالِ مَا أَعَانَ عَلَى الْمَكَارِمِ.
- ٦- خَيْرُ أَعْمَالِكَ مَا قَضَى فَرَضَكَ.
- ٧- خَيْرُ الْكَلَامِ الصَّدَقُ.
- ٨- خَيْرُ الْأُمُورِ مَا أَصْلَحَكَ.
- ٩- خَيْرُ الْأُمُورِ مَا أَسْفَرَ عَنِ الْيَقِينِ.
- ١٠- خَيْرُ الْأُمُورِ مَا أَدَّى إِلَى الْخَلَاصِ.
- ١١- خَيْرُ الْأُمُورِ مَا عَزَّى عَنِ الظَّمْعِ.
- ١٢- خَيْرُ الْأُمُورِ مَا أَسْفَرَ عَنِ الْحَقِّ.
- ١٣- خَيْرُ الْأُمُورِ مَا سَهَّلَتْ مَبَادِيَهُ وَحَسَّنَتْ خَوَاتِمَهُ وَحُمِدَتْ عَوَاقِبَهُ.
- ١٤- خَيْرُ الْأُمُورِ أَعْجَلُهَا عَائِدَةً وَأَحْمَدُهَا عَاقِبَةً.
- ١٥- خَيْرُ مَا اسْتَنْجَحْتَ بِهِ الْأُمُورَ ذَكَرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

خَيْرُ الْمَعْرُوفِ

- ١- خَيْرُ الْمَعْرُوفِ مَا أَصِيبَ بِهِ الْإِبْرَارُ.
- ٢- خَيْرُ الْمَعْرُوفِ مَا لَمْ يَتَقَدَّمْهُ الْمَطْلُ وَلَمْ يَتَعَقَّبْهُ الْمُنْ.
- ٣- خَيْرُ الْمَكَارِمِ الْإِيثَارُ.
- ٤- خَيْرُ الْمَكَارِمِ الرِّفْقُ.
- ٥- خَيْرُ الْبِرِّ مَا وَصَلَ إِلَى الْمَحْتَاجِ.
- ٦- خَيْرُ الْإِخْلَاقِ أَبْعَدُهَا عَنِ اللَّجَاجِ.
- ٧- خَيْرُ الصَّدَقَةِ أَخْفَاهَا.

- ٨- خيرُ الشيمِ أرضاها.
- ٩- خيرُ الكرمِ جودٌ بلا طلبِ مكافأةٍ.
- ١٠- خيرُ الخلالِ صدقُ المقالِ ومكارمُ الأفعالِ.
- ١١- خيرُ العطاءِ ما كانَ عن غيرِ طلبٍ.

خيرُ الامراءِ

- ١- خيرُ الامراءِ من كانَ على نفسه أميراً.
- ٢- خيرُ الملوكِ من أمانتِ الجورِ وأحيا العدلَ.

خيرُ الاخوانِ

- ١- خيرُ الاخوانِ أقلُّهم مصانعةً في النصيحةِ.
- ٢- خيرُ الاخوانِ من لا يحوجُ إخوانه إلى سواءٍ.
- ٣- خيرُ إخوانك من عتقك في طاعةِ اللهِ سبحانه.
- ٤- خيرُ إخوانك من واساك وخيرٌ منه من كفاك وإن احتاجَ إليك أعفاك.
- ٥- خيرُ إخوانك من واساك بخيره وخيرٌ منه من أغناك عن غيره.
- ٦- خيرُ إخوانك من لم يكن على إخوانه مستقصياً.
- ٧- خيرُ إخوانك من كثر إغضابه لك في الحقِّ.
- ٨- خيرُ الاخوانِ أنصَحُهم، وشرُّهم أغشُّهم.
- ٩- خيرُ الاخوانِ من إذا فقدته لم تحبِ البقاءَ بعده.
- ١٠- خيرُ إخوانك من ذلكَ على هدىً وأكسبك تقىً وصدك عن اتباعِ هوى.
- ١١- خيرٌ من صحبتٍ من ولَّهك بالآخرى، وزهدك في الدنيا، وأعانك على طاعةِ المولى.

- ١٢- خيرٌ من صاحبَت ذِو العلمِ والحلمِ.

١٣- خيرٌ من شاورت ذوو النهى والعلم، وأولو التجارب والحزم.

١٤- خيرُ الآراءِ أبعدُها عن الهوى، وأقربُها من السدادِ.

خيرُ الناسِ

١- خيرُ النفوسِ أزكاها.

٢- خيرُ الناسِ مَنْ إن غضبَ حَلِمَ، وإن ظَلَمَ غَفَرَ، وإن أَسَىءَ إليه أَحَسَنَ.

٣- خيرُ الناسِ مَنْ نَفَعَ النَّاسَ.

٤- خيرُ الناسِ مَنْ تَحَمَّلَ مَوْنَةَ النَّاسِ.

٥- خيرُ الناسِ أَوْعُوهُمْ وَشَرُّهُمْ أَفْجَرُهُمْ.

٦- خيرُ العبادِ مَنْ إِذَا أَحْسَنَ اسْتَبَشَرَ وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ.

٧- خيرُ الناسِ مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا ظَلِمَ غَفَرَ.

٨- خيرُ الناسِ مَنْ أَخْرَجَ الْحَرَصَ مِنْ قَلْبِهِ، وَعَصَى هَوَاهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ.

٩- خيرُ الناسِ مَنْ طَهَّرَ مِنَ الشَّهَوَاتِ قَلْبَهُ، وَقَمَعَ غَضَبَهُ وَأَرْضَى رَبَّهُ.

١٠- خيرُ الناسِ مَنْ كَانَ فِي يُسْرِهِ سَخِيًّا شُكُورًا.

١١- خيرُ الناسِ مَنْ كَانَ فِي عُسْرِهِ مُؤَثِّرًا صَبُورًا.

١٢- خيرُ الناسِ مَنْ زَهَدَتْ نَفْسُهُ، وَقَلَّتْ رَغْبَتُهُ، وَمَاتَتْ شَهْوَتُهُ، وَخَلَصَ إِيْمَانُهُ،

وَصَدَّقَ إِيقَانَهُ.

خيرُ الاموالِ

١- خيرُ أموالِكَ ما وَقَى عِرْصَكَ.

٢- خيرُ الاموالِ ما اسْتَرَقَّ حِرًّا.

٣- خيرُ الاموالِ ما قَضَى اللُّوْازِمَ.

٤- خيرُ أموالِكَ ما كَفَاكَ.

السؤال السبعون

عن المركز الإسلامي في واشنطن وأجوبتها

وردت هذه الاسئلة من المركز الاسلامي في واشنطن إلى المجمع الفقهي، وقد عرضت على أعضائه وخبرائه. ننشر أدناه الجزء الثاني مما وافانا به سماحة آية الله الشيخ محمد المؤمن الأمين العام للمجمع الفقهي من إجابات عنها.

س ٢٠ - ما حكم ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى وما يقدمونه من

طعام في مطاعمهم مع عدم العلم بالتسمية عليها؟

ج ٢٠ - ذبائح أهل الكتاب مع عدم العلم بالتسمية عليها حرام.

والدليل عليه - مع أنه انعقدت عليه شهرة عظيمة قريبة من الاتفاق - الأخبار

المعتبرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، منها صحيح قتبية الاعشى، قال: سألت رجل أبا

عبدالله عليه السلام وأنا عنده فقال له: الغنم يرسل فيها اليهودي والنصراني فتعرض فيها

العارضة فيذبح، أناكل ذبيحته؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: لا تدخل ثمنها مالك ولا

تأكلها فإنما هو الإسم ولا يؤمن عليه إلا مسلم. فقال له الرجل: قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ

لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: «كان أبي

عليه السلام يقول: إنما هو الحبوب وأشباهاها».

وقال الامام الخميني رحمه الله: «يُشترط في الذابح أن يكون مسلماً أو بحكمه كالمتولّد

منه، فلا تحل ذبيحة الكافر مشركاً كان أم غيره حتى الكتابي على الاقوى».

(١) وسائل الشيعة، الباب ٢٦ من أبواب الذبائح.

(٢) تحرير الوسيلة، القول في الذابحة، المسألة ١.

س ٢١- كثير من المناسبات العامة التي يُدعى المسلمون لحضورها تُقدّم فيها الخمر ويختلط فيها النساء والرجال، واعتزال المسلمين لبعض هذه المناسبات قد يؤدي إلى عزلهم عن بقية أبناء المجتمع، وفقدانهم لبعض الفوائد، فما حكم حضور هذه الحفلات من غير مشاركة لهم في شرب الخمر أو الرقص أو تناول لحم الخنزير؟

ج ٢١- يحرم الجلوس على مائدة والحضور في جلسة يشرب فيهما المشكرات، ومجرّد الحضور في مجلس سائر المعاصي لا بأس به.

أما دليل حرمة الحضور في مجلس المشكرات - مع أنّه لا خلاف فيها - الأخبار المتعدّدة المعتبرة. ففي صحيح هارون بن الجهم عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث - قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «ملعون ملعون، من جلس على مائدة يشرب عليها الخمر»^١. وفي موقّعة عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: سئل عن المائدة إذا شرب عليها الخمر أو مسكر قال: حرمت المائدة^٢. والحديث الثاني شاهد على أن الخمر في الحديث الأول مثال للمسكر، والمفهوم عرفاً من الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر هو الحضور في مجلس شرب المشكرات ولو بإلغاء الخصوصية كما لا يخفى.

يقول الامام الخميني رحمه الله: «ويحرم الأكل على مائدة يُشرب عليها شيء من الخمر بل وغيرها من المسكرات، وكذا الفُقاق»^٣.

وأما دليل جواز مجرّد الحضور في سائر مجالس المعصية فأصالة الجواز عقلاً ونقلاً بعد عدم وجدان دليل على الحرمة، وعدم صحّة قياس سائر المعاصي بشرب الخمر الذي ورد فيه من التأكيد ما ورد.

إلا أن الحضور لو صادف معصية أخرى وإن كانت ترك المرتبة الممكنة من النهي

(١) وسائل الشيعة، الباب ٦٢ من أبواب الأطعمة المحرمة.

(٢) المصدر، الباب ٣٣ من أبواب الأشرية المحرمة.

(٣) تحرير الوسيلة، كتاب الاطعمة والاشربة، القول في غير الحيوان، المسألة ٣٧.

عن المنكر أو الاستخفاف بحرمات الله تعالى لكان حراماً بلا إشكال.

وعلى المسلمين أن يتقيدوا كمال التقيد والالتزام بحرمات الله وحدوده، وأن يعلموا أن التعبد والالتزام بالإسلام وأحكامه هو العز الخالد في الدنيا والآخرة. والإنعزال عن أبناء المجتمع التابعين لشهواتهم المعرضين عن الله وأوليائه لا بأس به أصلاً فلا تغرنا الدنيا الدنية.

س ٢٢ - بعض الأقطار في شمال أوروبا يقصر فيها الليل كثيراً ويطول فيها النهار كثيراً، حيث تصل ساعات الصيام في بغض هذه البلدان إلى عشرين ساعة أو تزيد، وكثير من المسلمين يجدون مشقة زائدة في الصيام. فهل يجوز اللجوء في هذه البلدان إلى التقدير؟ وما نوع التقدير الذي يمكن اعتماده إذا كان جائزاً؟ وهل يكون التقدير بساعات الصيام في مكة أو بساعات النهار في أقرب البلدان اعتدالاً، أو بماذا؟ وإذا لم يكن ذلك جائزاً، فهل يعتبر هذا النوع من المشقة من المشاق التي يجب على المسلم احتمالها والصبر عليها مع احتمال الضرر؟ وهل يجب عليه أن يترك عمله في شهر الصيام إذا لم يكن بمقدوره الصيام إلا بترك العمل من قبيل ما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب؟

ج ٢٢ - يجب صيام جميع اليوم في الأقطار التي تطول أيامها بكثير كما يجب في غيرها، وإذا أضر الصوم به، لا بمعنى مجرد الهزال أو مشقة الجوع بل بمثل الابتلاء بمرض أو بقاء علاجه، فلا يجب بل لا يجوز الصيام، وبالجمله حكم الصيام في تلك الأقطار حكمه في غيرها.

وخلاصة الدليل عليه: أن أدلة وجوب الصيام مثل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾، يدل

دلالة واضحة على أن الزمان الذي يجب فيه الصيام هو ما بين طلوع الفجر إلى الليل، ومن المعلوم أن هذا الزمان يختلف بحسب البلاد والممالك كما يختلف بحسب فصول السنة، وربما بلغ في مثل بلدنا إلى سبع عشرة ساعة أو أزيد، ومع ذلك فالآية المباركة مطلقة تدل على وجوب صيام هذا الزمان المحدود على الناس على اختلاف مقدره، ومن الواضح أن نفس الصيام فيه مشقة تحمّل الجوع والعطش والصبر عن سائر المفطرات، وأنها تختلف في الفصول المختلفة من حيث الطول والقصر والبرودة والحرارة في ذلك الزمان، فكما إن هذه الاختلافات لا تضرّ بشمول الاطلاق، فكذلك الاختلاف الموجود بين أهالي البلاد الواقعة في الشرق أو الشرق الاوسط والواقعة غرباً أو شرقاً مثلاً منها.

نعم إن الصيام إذا أوجب ضرراً كالمرض أو كان المكلف - لعلّة به وخصوصيّة - ممن لا يطيقونه فعليه عدّة من أيام آخر.

فالحاصل: إنه ليس لنا رفع اليد عن إطلاق الآيات والروايات والرجوع إلى التقدير بالبلاد المعتدلة، بل إطلاقها حجة علينا وعلى الناس إلى يوم القيامة.

س ٢٣ - في كثير من الولايات الأمريكية وكذلك الأفطار الأوربية تصعب أو تتعذر رؤية هلال رمضان أو سؤال، والتقدّم العلمي الموجود في كثير من هذه البلدان يمكن من معرفة ولادة الهلال بشكل دقيق بطريق الحساب، فهل يجوز اعتماد الحساب في هذه البلدان؟

وهل تجوز الاستعانة بالمراسد وقبول قول الكفار المشرفين عليها علماً أن الغالب على الظن صدق قولهم في هذه الأمور؟

ومما يجدر بالملاحظة أن أتباع المسلمين في أمريكا وأوروبا لبعض البلدان الاسلامية الشرقية في صيامها أو إفطارها قد أثار بينهم اختلافات كثيرة، غالباً ما تذهب بأهم فوائد الأعياد، وتثير مشكلات شبه دائمة، وفي الأخذ بالحساب ما قد يقضي على هذا

في نظر البعض أويكاد؟

ج ٢٣ - اعتماد الحساب العلمي في تعيين أول شهر رمضان أو شوال وهكذا اتباع المراسد أو الأخذ بقول المنجمين فيه إن كان مورثاً للعلم به فهو جائز وإلا فلا.

والدليل عليه: أنه إذا أورث العلم فلا شك أن العلم حجة عقلاً أمضاه الشارع الاقدس، وأما إن لم يوجب إلا الظن فإن الظن لا يغني عن الحق شيئاً، والنبي الأكرم والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم يبنوا وظيفة المسلمين بمثل قولهم: «صم للرؤية وافطر للرؤية» والرؤية كناية عن الطريق المعتبر إلى حلول الهلال في شهر رمضان أو شوال، فيدل على أن الصيام لا يجب إلا برؤية هلال شهر رمضان، كما إن الافطار لا يجوز إلا برؤية هلال شهر شوال، فنفس هذا الكلام يغنينا عن الرجوع إلى دليل استصحاب عدم وجوب الصيام أو عدم جواز الافطار ما لم يثبت هلال رمضان أو شوال، والطرق الشرعية ما عدا الرؤية هي العلم أو شهادة العدلين أو حكم حاكم الشرع، فالأخذ بأحدها اتباع لما هو العلم وجداناً أو شرعاً واتباع غيرها اتباع للظن، وقد نهانا الشارع عنه وحكم العقل بأن لا حجة فيه.

قال السيد الامام الخميني رحمه الله: «ولا اعتبار بقول المنجمين ولا بتطوق الهلال أو غيوبته بعد الشفق في ثبوت كونه لليلة السابقة وإن أفاد الظن»^١.

س ٢٤ - ما حكم عمل المسلم في دوائر ووزارات الحكومة الأمريكية أو غيرها من حكومات البلاد الكافرة، خاصة في مجالات هامة كالصناعات الذرية أو الدراسات الاستراتيجية ونحوها؟

ج ٢٤ - مجرد العمل في دوائر البلاد الكافرة للمسلم جائز إلا إذا كان البلد الكافر في حرب أو بصدد الحرب مع البلاد الاسلامية، أو مع من يحرم حربهم ويكون عمله لهم

(١) تحرير الوسيلة ١: كتاب الصوم، القول في طريق ثبوت الهلال.

سَيِّئَاتُ رَجُلَيْنِ

موجباً لازدياد قوتهم في هذه الحرب المحرمة.

وخلاصة الدليل عليه - في غير مورد الاستثناء - أنه لا دليل على حرمة العمل للكفار حينئذ، بل في بعض النصوص إن بعض أئمة الإسلام عمل بأجرة أجيراً للكفار. ولا أقل من أن أصالة الجواز عقلاً ونقلاً حاکمة بجوازه. وأما في مورد الاستثناء فلأن الإعانة على الإثم والمعصية قبيحة عقلاً وشرعاً: قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^١.

س ٢٥ - ما حكم تصميم المهندس المسلم لمباني النصارى كالكنائس وغيرها، علماً بأن هذا هو جزء من عمله في الشركة الموظفة له، وفي حالة امتناعه قد يتعرض للفصل من العمل؟

ج ٢٥ - تصميم المهندس المسلم لمباني كنائس النصارى غير جائز. والدليل عليه: أن النصارى يعبدون غير الله تعالى أيضاً بنص القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِينُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^١. ويقول أيضاً: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^٢. ويشير إليه قوله تعالى في أواخر سورة المائدة: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَهْلِيَّ إِلَهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^٣. وقد نهى الله عن عبادة غيره وأمر أن لا يعبد الناس إلا إياه. فتصميم المهندس إعانة لهم على شركهم في العبادة. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

نعم لو ثبت أن النصارى اليوم لا يعبدون إلا الله - ولا لبطلان معتقدتهم السابق - لما كان بأس بتصميم مباني كنائسهم.

(٢) النساء: ١٧١.

(٤) المائدة: ١١٦.

(١) المائدة: ٢.

(٣) المائدة: ٧٣.

س ٢٦- كثير من العائلات المسلمة يعمل رجالها في بيع الخمر والخنزير وما شابه ذلك، وزوجاتهم وأولادهم كارهون لذلك علماً بأنهم يعيشون بمال الرجل، فهل عليهم من حرج في ذلك؟

ج ٢٦- ما يكتسبه هؤلاء الرجال محرّم والتصرّف فيه لنفسه وعيالاته أيضاً حرام لا يجوز إلا بالاضطرار المبحور لأكل الميتة. والدليل عليه واضح لا يحتاج إلى بيان.

س ٢٧- ما حكم تبرّع المسلم فرداً كان أو هيئة لمؤسسات تعليمية أو تنصيرية أو كنسية؟

ج ٢٧- التبرّع بشيء للمؤسسات المذكورة يجوز إن لم تقم المؤسسات بما هو حرام كإضلال الناس أو إعداد مقدمات عبادة غير الله، وإلا فلا يجوز. والدليل عليه: أنها مع قيامها بالأمر المحرّم فالتبرّع لها بشيء إعانة على الإثم. ومع عدمه فلا دليل على الحرمة، بل في بعض الآثار إشارة إلى الجواز مضافاً إلى أصالة الجواز عقلاً ونقلًا.

س ٢٨- ما حكم شراء منزل السكنى، وسيارة الاستعمال الشخصي، وأثاث المنزل بواسطة البنوك والمؤسسات التي تفرض ربحاً محدداً على تلك القروض لقاء رهن تلك الأصول، علماً بأنه في حالة البيوت والسيارات والأثاث عموماً، يعتبر البديل عن البيع هو الإيجار بقسط شهري يزيد في الغالب عن قسط الشراء الذي تستوفيه البنوك؟

ج ٢٨- الاقتراض من البنك بالربا حرام، نعم لو اشترى البنك منزلاً أو سيارة أو غيرها ثم باعه بأعلى من القيمة السوقية بأقساط شهرية فهو بيع حلال. والدليل عليه أن الله تعالى قال: ﴿أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد نبيه وآله الطاهرين.

نظرة في كتاب

البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي

الدكتور محمد بن عبد الله بن عبد الله (المؤلف)

تتمثل أهمية هذا الكتاب في كونه يضطلع أولاً بصياغة قواعد جديدة للبلاغة العربية متميزة تماماً عن التصنيف البلاغي الموروث، كما يتمثل ثانياً في كونه يعتمد نماذج منتزعة من نصوص القرآن الكريم ونصوص المعصومين عليهم السلام... والمسوّغ الفني في صياغة هذه القواعد الجديدة عائد إلى أن البلاغة القديمة تمتدّ قواعدها إلى أكثر من ألف سنة، حيث قطعت البشرية خلال هذه المدة مراحل متنوعة من التطور الثقافي بنحو يجعل البلاغة الموروثة عاجزة عن مواكبة الحياة المعاصرة.

ويمكننا أن نشبّه قواعدها الموضوعية قديماً بالأسلحة القديمة، كالسيف والرمح التي يستخدمها الأقدمون، وهو أمر لا يمكن أن يعتمد الإنسان المعاصر في معاركه التي يواجه فيها أحدث الأسلحة المتطورة. وإذا كانت المهمة العبادية للشخصية الإسلامية هي توصيل مبادئ الإسلام إلى الآخرين، حينئذ فإنّ الأداة التي يعتمد عليها ينبغي أن تتجانس مع لغة عصره حتّى تترك تأثيرها المطلوب، ولا أدلّ على ذلك من أنّ القرآن الكريم نفسه قد نزل بلغة تتوافق مع المعايير البلاغية التي خبرها عصر النزول. كما إنّ النصوص الفنية الواردة عن المعصومين عليهم السلام قد طبعها السمة ذاتها... طبعياً لا بدّ من الإشارة إلى أنّ النصوص الفنية الخالدة تتميز عن النصوص العادية بكونها تحمّل خصيصتين:

الأولى: أن تعتمد أدوات خاصّة تتناسب مع طبيعة المرحلة الثقافية التي يعيشها

العصر.

والأخرى: أن تعتمد أدوات تتجاوز بها العصر لتناسب مع الأجيال كلها.

وفي هذا السياق نواجه نمطين من الأدوات، أحدهما: أدوات مشتركة بين الأجيال كلها، والأخرى أدوات متفردة تكتشفها الأجيال اللاحقة، وهذا أمر لا يمكن توفّره إلا في نصوص نادرة تصدر عن العباقرة فحسب... ومما لا شك فيه أنّ نصوص القرآن الكريم (وهي متّسمة بالكمال الفنّي) تُعدّ النموذج الأرفع للنصوص المتفردة الخالدة، كما هو واضح، حيث يمكننا - من جانب - أن نلاحظ فيها سمة العصر الذي وردت فيه (كالنثر المقفّي مثلاً، حيث كان السجع هو اللغة المسيطرة آنئذٍ) وأن نلاحظ فيها - من جانب ثانٍ - سمة اللّغة المشتركة بين الأجيال كلّها (كالنثر المرسل، وإحكام العبارة،... إلخ). وأن نلاحظ فيها - من جانب ثالث - سمة (التفرد) أو الإعجاز أو الكمال الفنّي الذي يتخطّى العصور (كالأدوات القصصيّة التي استخدمها القرآن الكريم حيث نجدها متجانسة مع أحدث التيّارات القصصيّة). وحيث نعرف جميعاً أنّ هذه الأدوات القصصيّة لم يخبرها عصر النزول، ولا الأعصار الموروثة جميعاً، بل خبرها العصر الحديث فحسب.

وفي ضوء هذه الحقائق يتعيّن على الشخصيّة الإسلاميّة أن تتعامل - لا أقلّ - مع لغة عصرها من جانب، وأن تعتمد ما هو مشترك بين الأجيال كلّها من جانب آخر، وبمكناها - من جانب ثالث - أن تتخطّى لغة عصرها (في حالة ما إذا اعتمدت لغة النصوص التشريعيّة واكتشفت عناصرها المتفردة). وإذا كان من المتعذّر أو غير المهمّ أن تعتمد هذا الجانب، فإنّ الضرورة تفرض عليها أن تعتمد لغة عصرها لا أقلّ، مضافاً إلى ما هو مشترك من الأدوات بطبيعة الحال... لذلك، فإنّ الإعتماد على البلاغة الموروثة لا يسمح لها بممارسة لغة العصر بقدر ما يسمح لها بالإفادة منها في نطاق ما هو مشترك من القواعد فحسب...

أما غالبية قواعدها فلا تصلح البتة للحياة المعاصرة، للأسباب التي ذكرناها، وفي مقدمتها ما نلاحظه من العيوب الآتية التي تطبع البلاغة الموروثة، ومنها:

١- عدم شموليتها لجميع القواعد، بمعنى أن البلاغة القديمة لم تتناول كل أشكال التعبير من جانب، كما لم تتناول كل قواعده من جانب آخر... فالقصة - على سبيل المثال - مع أنها تحتل مساحة كبيرة من نصوص القرآن الكريم - لم تتحدث البلاغة القديمة عنها حتى بكلمة واحدة. علماً بأن بعض البلاغيين يصرّح بأن هدفه هو دراسة الإعجاز الفني في القرآن الكريم. فكيف يهمل أهم عناصر الإعجاز وهو القصة القرآنية؟

٢- تتسم البلاغة القديمة بالتناول «الجزئي» للنص بدلاً من التناول «الكلي» له، بمعنى أن قواعدها تتناول المفردة أو الجملة أو الفقرة فحسب، حيث تحصر ذلك في نطاق المسند والمسند إليه وقيودهما من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير... إلخ، في «حقل المعاني»، وفي نطاق التشبيه والاستعارة والكناية... إلخ، في «حقل البيان»، وفي نطاق المحسنات اللفظية والمعنوية في «حقل البديع»، وهي جميعاً لا تتجاوز المفردة أو الجملة أو الفقرات المحدودة؛ علماً بأن النص الأدبي لا تنحصر جماليته في فقرات أو آيات مستقلة، بل في كونه جُملاً أو آيات يرتبط بعضها مع الآخر، ويخضع لهندسة خاصة من حيث تنسيق الأفكار والمواقف. فمثلاً لو تناولنا «سورة الكهف» وأخضعناها للتناول الجزئي كما خرجنا بأكثر من آيات أو جمل متناثرة منفصل بعضها عن البعض الآخر على نحو الأعضاء المنفصلة عن جسم الإنسان، كاليد أو الوجه أو الصدر... لكننا لو أخضعناها للتناول الكلي لخرجنا بنتيجة أخرى هي مواجهتنا لنص فني متناسق الأجزاء على نحو التناسق الذي نلاحظه في تركيب الجسم البشري، أو سائر الأجسام أو الأشكال الطبيعية والمصطنعة. فالسورة بدأت بطرح فكرة خاصة، هي نبد زينة الحياة الدنيا ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ ثم

قدّمت قصّة أهل الكهف، لتجسّد لنا مفهوم «نبذ الزينة» عملياً من خلال اللجوء إلى الكهف، ثمّ طرحت فكرة نبذ الزينة من جديد حينما قالت: ﴿وَلَا تَغْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ حيث أعقبتها بقصّة جديدة هي قصّة صاحب الجنّتين الذي بهرته -على عكس أصحاب الكهف- زينة الحياة الدنيا، بحيث ظنّ أنّ جنّتيه لن تبيداً أبداً، بل شكّك حتّى بقيام الساعة. ثمّ تقدّم النصّ طرح فكرة زينة الحياة الدنيا للمرّة الثالثة، حينما قال: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ بعد ذلك قدّم قصّتين: إحداهما عن شخصيّة موسى والعالم، والأخرى عن شخصيّة ذي القرنين، حيث جسّد العالم شخصيّة مبهمّة منعزلة عن الدنيا، وحيث جسّد ذو القرنين شخصيّة مشهورة ملكت شرق الأرض وغربها، إلّا أنّها لم تبهرها زينة الدنيا كما بهرت صاحب الجنّتين...

فالملاحظ هنا أنّ السورة الكريمة قد ارتبط بعضها مع الآخر، بحيث لم تُفصل الآيات بعضها عن البعض، كما لم يُفصل نثرها القصصي عن نثرها غير القصصي، بل تلاحمت جميعاً وفق تخطيط هندسيّ قائم على فكرة «زينة الحياة الدنيا» بالنحو الذي لحظناه، وهو تخطيط يقابل بين أشخاص نبذ بعضهم زينة الحياة، وتشبّث البعض الآخر بها، ويقابل بين أشخاص تملّك بعضهم مزرعة صغيرة فيهرته، بينما تملّك بعضهم كلّ بقاع الأرض: شرقها وغربها، دون أن تبهره الزينة المذكورة...

إذاً: كم يتحسّس القارئ جماليّة النصّ الأدبيّ وحيويّته، حينما يتناولها من خلال «الكلّ» وليس من خلال «الجزء» الذي يطبع البلاغة القديمة.

٣- العيب الثالث الذي يطبع البلاغة الموروثة هو:

خطأ المفاهيم البلاغيّة ذاتها... فمثلاً نجد في حقل «التشبيه» أنّ البلاغيّين يذكرون بأنّ «التشبيه البليغ» -وهو ما حذفت منه أداة الشبه ووجه الشبه- أشدّ بلاغة من التشبيه المقترن بالأداة، وأنّ «تشبيه التمثيل» -وهو ما كان وجه الشبه فيه مُتزعزِعاً من أطراف متعدّدة- أشدّ بلاغة من غيره... إنّ أمثلة هذه المعايير فضلاً عن أخطائها الملحوظة التي

تشتمل على التناقض بينها، تنطوي أيضاً على خطأ المعيار ذاته.

أمّا التناقض فيتمثل في ذهابهم إلى أنّ التشبيه الذي حذف أداته ووجه الشبه فيه هو أبلغ من غيره، يتناقض مع ذهابهم إلى أنّ التشبيه الذي تعدّد أوجه الشبه فيه هو أبلغ من غيره، فإذا كان حذف وجه الشبه دلالة على بلاغته، فكيف يصبح تعدّد وجه الشبه دلالة على بلاغته أيضاً؟ أليس هذا تناقضاً واضحاً بين المعايير؟

وأمّا خطأ المعايير ذاتها فيتمثل في ذهابهم إلى كون التشبيه الذي حذف أداته ووجه الشبه هو أبلغ من غيره، حيث يترتب على ذلك أن تكون تشبيهات القرآن الكريم مثلاً - وهي في الغالب تشتمل على ذكر الأداة ووجه الشبه - أقلّ بلاغة من التشبيهات التي يصوغها البشر، وهذا هو «الكفر» بعينه ببلاغة القرآن.

وما نلاحظه من خطأ المعايير البلاغية الموروثة في ميدان ما يسمّى بـ «علم البيان» نجده في علمي «المعاني» و«البديع» أيضاً... فلو وقفنا - على سبيل المثال - عند معايير «السجع» للاحظنا أنّ البلاغيين يزعمون بأنّ أحسن السجع ما تساوت عبارته، ثمّ ما طالت عبارته الثانية، ثمّ ما طالت عبارته الثالثة، ولا يحسن عكس ذلك... ويعلّلون ذلك بتعليل يفتر إلى معرفة أبسط المبادئ النفسية، حيث يدّعون بأنّ السامع إذا واجه عبارة أقصر من الأولى؛ يكون متعزّراً أو مبتوراً...

ترى: هل أنّ قوانين الإدراك البشري وما يؤاكبها من قوانين الاستجابة تؤيد مثل هذه المزاعم التي ينثرها البلاغيون، دون أن يلمّوا بمبادئ الإدراك البشري وطرقه...؟
أصبح أنّ استجابة الإنسان لجمال العبارة ينحصر في مواجهته لعبارة قصيرة، ثمّ لعبارة تكبر عن الأولى، ثمّ لعبارة تكبر عنهما... إلخ؟.

إنّ أمثلة هذه المبادئ - فضلاً عن كونها لا تتسق مع قوانين الإدراك البشري، حيث إنّ هذه القوانين تخضع كلّ شيء للسياق؛ بحيث تصحّ القاعدة التي ذكرها البلاغيون في سياق خاصّ، ولا تصحّ في سياق آخر حيث يكون العكس هو الصحيح... أقول: إنّ

معايير البلاغيين المُشار إليها - فضلاً عن كونها منافيةً لأبسط مبادئ الذوق الفني - فإنها مخالفة لبلاغة القرآن الكريم ذاته... فكم من عبارات مسجوعة، تبدأ طويلة ثم تقصر، أو تبدأ قصيرة ثم تطول، ثم تقصر من جديد، أو تتوازن حيناً، وتتأرجح بين الطول والقصر حيناً ثالثاً، وهكذا بالنحو الذي سنلحظه عند حديثنا عن «العنصر» في البلاغة... إذاً: إن أمثلة هذه المعايير تظل منافيةً لمبادئ المعرفة، ولبلاغة القرآن ذاته. حينئذ هل يصح أن نعتمد على هذه المعايير المنحرفة عن القرآن وبلاغته في حقل البلاغة القديمة؟

إن هذه العيوب ونظائرها تشكّل مسوّغاً لإعادة النظر في البلاغة الموروثة ومحاولة صياغتها من جديد، في ضوء النصوص الشرعية بصفتها نصوصاً إعجازية «القرآن الكريم» وكمالية «السنة» تخطّت حدود الزمن من جانب، وتضمّنت المشترك من القواعد من جانب آخر، وهو أمر قد اضطلع الكتاب الجديد «البلاغة الجديدة في ضوء المنهج الإسلامي» بصياغته وفق «تمهيد» و«فصول» تنتظم فيها القواعد المشار إليها. أمّا «التمهيد» فقد تناول علاقة البلاغة بالأدب، بصفة أن البلاغة تشكّل القواعد أو المبادئ التي يتوكأ الأدب أو الفنّ عليها، حيث توفّر الكتاب على التعريف بالأدب من حيث أدواته ومادّته وعناصره.

أمّا أدواته فقد عُني بها الأدوات الإدراكية أو الذهنية التي يتعامل معها النصّ، وهي: العقل، العاطفة، التخيل.

وأمّا مادّته فقد عُني بها الموادّ الخام التي يتعامل معها النصّ، وهي: الشخصيات، الحوادث، البيئات، القيم.

وأمّا عناصره فقد عُني بها العناصر التي تكوّن بمجموعها هيكل النصّ الأدبي، وهي ما تُفرز - في الواقع - مجموعة المبادئ أو القواعد التي تكتسب صفة «البلاغة» عندما تخضع لصياغة خاصّة من التعبير الفني.

لذلك فإنّ فصول الكتاب قد اعتمدت هذه العناصر في التصنيف البلاغي نظراً للإرتباط الوثيق بين التصنيف الآتي لقواعد البلاغة، وبين مجموعة العناصر التي يتألف النصّ الأدبي منها، فجاءت فصوله على هذا النحو:

العنصر الفكري - العنصر الموضوعي - العنصر المعنوي - العنصر الصوري - العنصر اللفظي - العنصر الإيقاعي - العنصر البنائي - العنصر الشكلي.

والمسوّغ الفني لهذا التصنيف البلاغي هو: أنّ كلّ نصّ أدبيّ لا بدّ أن يتضمّن أولاً «هدفاً» أو «فكرة» خاصّة من وراء صياغته. فسورة الفيل - مثلاً - تتضمّن «فكرة» هي: أنّ الله تعالى يقف بالمرصاد لكلّ من تُسوّل له نفسه التعرّض بالسوء للبيت الحرام. وكلّ فكرة تخضع لمبادئ فنيّة: كالإنتخاب والتحديد والوحدة والتنوّع... إلخ، وهذا ما ينتظم في فصلٍ خاصّ هو «العنصر الفكري».

وإذا تجاوزنا «فكرة» النصّ وجدنا أنّ هذه الفكرة تحتاج إلى «موضوعات» تجسّدُها، بحيث تصبح محوراً لها، بمعنى أنّ النصّ الأدبيّ لا بدّ أن يتضمّن موضوعاً يجسّدُ الفكرة التي يستهدفها، وهذا ما يتمثّل - في نموذج سورة الفيل - في حادثة الفيل وجنود الطير والمركة، فيما تشكّل «الموضوع» الذي طرحه النصّ وجعله محوراً للفكرة التي استهدفها. والموضوع بدوره يخضع لمبادئ فنيّة كالإنتخاب والتعدّد والوحدة وتحديد الشخصية والحدث والبيئة والموقف... إلخ، وهذا ما ينتظم في فصلٍ خاصّ هو «العنصر الموضوعي». و«الموضوع» - كما هو واضح - لا بدّ أن يتضمّن دلالاتٍ أو معاني تترّبّب في الذهن وفق طريقة خاصّة كالإجمال والتفصيل، والتقديم والتأخير، والإثبات والنفي... إلخ. وهذا ما ينتظم في فصلٍ خاصّ هو «العنصر المعنوي».

والمعاني أو الدلالات قد تصاغ بنحو مباشر وقد تصاغ بنحو غير مباشر - وهذا ما يميّز النصّ الأدبي في الغالب - حيث تعتمد عنصر «التخيّل» في إحداثه لعلاقات جديدة بين الأشياء، وهذا كالتشبيه والاستعارة والتمثيل والتقرير والرمز... إلخ، وهذا ما ينتظم

في فصلٍ خاصٍ هو «العنصر الصُّوري».

هذه العناصر أو الفصول الأربعة ترتبط بـ «مضمون» النص الأدبي: فكرة وموضوعاً ومعنىً وتخيلاً...

وهناك أيضاً عناصر أربعة لكنها ترتبط بـ «شكل» النص الأدبي، وهي: العنصر اللفظي، العنصر الإيقاعي، العنصر البنائي، العنصر الشكلي.

أما العنصر اللفظي فيُقصد به صياغة الألفاظ من حيث كونها «مفردات» أو «مركبات» ذات صياغة خاصّة، ومن حيث كونها أدوات معبرة عن دلالة محدّدة بها ينبغي أن تخضع لقواعد بلاغيّة مثل: إلفه العبارة وإشراقها وإحكامها، ومثل العبارة السردية والعبارة الحوارية... إلخ.

وأما العنصر الإيقاعي فيُقصد به كلّ ما يتناول التنظيم الصوتي للعبارة، مثل: القافية والوزن والفاصلة والتجنيس والتوازن... إلخ.

وأما العنصر البنائي فيُقصد به كلّ ما يتناول عمارة النص من حيث صلة أجزائه بعضها مع البعض الآخر، كالبداية والوسط والنهاية، وصلة كلّ عبارة بما تقدّمها وتآخّر عنها، وصلة الموضوعات بعضها مع الآخر، ثمّ صلة العناصر: كالصورة والإيقاع ونحوهما مع بعضها أو مع الهيكل العام للنص الأدبي، حيث سبق القول بأنّ هذا العنصر يُعدّ من أهمّ المبادئ البلاغية التي أهملتها البلاغة القديمة، وركّزت البلاغة المعاصرة عليها.

وأما الفصل الأخير فيتناول «العنصر الشكلي»، ويُقصد به المظهر الخارجي للنص، حيث أنّ النص الأدبي قد يكون سورة أو حديثاً أو خطبةً أو خاطرةً أو مقالةً أو قصّةً أو مسرحيّةً أو... إلخ، وحيث أنّ لكلّ من هذه الأشكال قواعدها البلاغية الخاصّة بها.

وفي ضوء هذا التصنيف الجديد للقواعد البلاغية يمكننا أن نتبيّن مدى الفارق بين البلاغة القديمة وبين البلاغة الجديدة: فالبلاغة القديمة لا تتناول من عناصر النص

فنون وآداب

الأدبي إلا عنصرين رئيسيين هما «العنصر المعنوي» و«العنصر الصوري» حيث أطلقت عليهما مصطلحي «المعاني» و«البيان»، بينما أهملت العناصر «الفكرية» و«الموضوعية» و«الشكلية» و«البنائية»، وجعلت «العنصر الإيقاعي» جزءاً مما أطلقت عليه مصطلح «البديع»، وحيث حشدت فيه خليطاً مشوشاً من العناصر الصورية والإيقاعية والمعنوية، وجعلتها مجرد أدوات لتزيين النص الأدبي، مع أنّ هذه العناصر لها استقلاليتها وأهميتها بالنحو الذي سيتضح تماماً عندما يدقق القارئ في التصنيف الجديد للقواعد البلاغية التي توفّر عليها كتاب «البلاغة الجديدة في ضوء المنهج الإسلامي».

قَالَ الطَّائِمُ الصَّادِقُ (ع) :

«الْحَافِظُ لِلْقُرْآنِ الْعَامِلُ بِهِ
مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ»
المعنى: امرؤ الحافظ ٢٤ م ٦٠٣

فِي الْقُرْبِ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ

خلال لقاء تمّ بين بعض أعضاء هيئة تحرير مجلة رسالة الثقلين وسماحة العلامة السيد محمد حسين فضل الله، جرى الحوار التالي مع سماحته.

س: تتجه الرغبة العامة للمسلمين اليوم نحو التقريب بين المذاهب الإسلامية، فما هو برأيكم أساس ومنهج ذلك؟

السيد فضل الله: في تصوّري أن فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية انطلقت من مرحلة ثقافية معينة كان الكثير من المسلمين لا يعرفون فيها عن الشيعة شيئاً، والمثقفون منهم من العلماء وغيرهم يتحدثون عن الشيعة بطريقة سلبية، من خلال بعض المصادر الثقافية التي لا تملك أية حيادية أمام الفكر الشيعي، لذلك كانت حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية حركة من أجل فتح الذهنية الشيعية على الفكر السني، كما تفتح الذهنية السنية على الفكر الشيعي، ليشعر الطرفان بأنّهما يختلفان في تفسير الإسلام ولكنهما لا يختلفان على الإسلام.

في عقيدتي إننا تجاوزنا هذه المرحلة من الناحية الثقافية، لأن الكتب الشيعية التي تعالج قضايا التشيع قد انتشرت في العالم بغثها وسمينها، حتى أننا لا نقرأ كتاباً فكرياً إسلامياً أو كتاباً فقهيّاً إلا ونجد الرأي الشيعي الى جانب الآراء السنية، حتى لو كان المؤلف سنياً. واستطاعت التطوّرات الأخيرة في داخل المجتمع الشيعي - ولا سيما الثورة الإسلامية في إيران - أن تفتح الآفاق الفكرية على التشيع في العالم، حتى بدأت الدراسات في الجامعات العالمية تتناول الفكر الشيعي بمختلف الأساليب والوسائل

لذلك فإنّ المسألة لم تعد مشكلة في الوسط الثقافي من خلال طبيعة المسرح، ولكننا نواجه الآن مشكلة أخرى وهي دخول المسألة المذهبية في الدائرة الشيعية، في حركة الساحة السياسية، ومخططات الأجهزة المخبرانية الدولية والأقليمية والمحلية في أكثر من بلد عربي أو إسلامي. فلم تعد المسألة مسألة أنّ هناك فكراً شيعياً لا يعرفه الناس، بل أصبحت المسألة هي أن يقدم الفكر الشيعي للناس بالطريقة التي تشوّه هذا الفكر، وذلك باختيار الأحاديث القلقة أو التفسيرات القلقة أو الآراء القلقة، التي يتحفّظ الشيعة على الكثير منها، أو أنّها لا تمثّل رأي الشيعة بالكامل، وإنّما تمثّل رأي البعض منهم ممّن يمكن للإنسان أن يثير التحفّظات حول ثقافتهم أو حول خلفياتهم، تماماً كما هي المسألة عند السنّة الذين تحفل كتبهم بالغث والسمين كما هي الكتب الشيعية.

إنّ المسألة أصبحت تتجه في اللعبة السياسية الى اتجاه محاربة الشيعة الذين تحولوا الى حالة ثورية إسلامية رافضة للإستكبار العالمي والإستكبار الإقليمي والمحلي، حتى تشوّهت الصورة الشيعية لدى المسلمين الآخرين ولدى غير المسلمين بطريقة وبأخرى. ومن هنا فإنّ المسألة لم تعد مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية في الحالة الثقافية، بل أصبحت المسألة هي محاولة عرض الفكر الشيعي بالطريقة التي ظهر صفاء هذا الفكر ونقاءه، وذلك باقتلاع الأشواك من الساحة التي يحاول الكثيرون من خلالها أن يшиروا الى تلك الأشواك الموجودة.

وهذا هو الذي يجعلنا نتصوّر أن من واجب «المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام» هو أن يعتمد الى رصف الفكر الشيعي في ذاته من خلال المصادر الأصلية الموثوقة مع دراسة فكرية للمضمون بالإضافة إلى السند. وإنّ المشكلة التي نواجهها أنّ كثيراً مما يطرح من أفكار - قد يلتزمها حتى بعض الشيعة - ينطلق من مصادر حديثة ليست بمستوى الوثاقة، أو ليست بهذه الدلالات الواضحة. كما أنّ هناك تفاسير للقرآن أو

الأحاديث عن القرآن قد لا تكون هي الحقيقة الإسلامية التي ينطلق بها أهل البيت عليهم السلام لأنها تلقي قلقاً وفوضى في الأحاديث من ناحية الوثاقة. كما إن علينا في الوقت نفسه أن نواجه طبيعة ردود الفعل التي انطلقت من خلال هذه المصادر والخطط التي يحرّكها أو يخطط لها الآخرون، في سبيل إثارة السليبيات الفكرية أو السياسية أو الشعبية ضد حركة التشيع. وهذا هو الذي يقتضينا أن ننطلق في عملية تحرك لدراسة التشيع من جديد فكرياً وأسلوبياً ومنهجياً، لا على أساس أنَّ الآخرين إذا هاجمونا في جانب لا يرتضونه فعلياً أن نتنازل عما نعتقه حقيقة إذا ثبت لنا أنه حقيقة، ولكن على أساس أن ننطلق في البحث عن الحقيقة من مصادرها الأصلية، ثم نبدأ حملة للتوعية الثقافية في المجال الإعلامي، بحيث نستطيع أن نوصل الفكر الإسلامي الشيعي الى كل المجالات في العالم، حتى يعرف الناس أنَّ التشيع يمثل عمق الإسلام، بدلاً مما يراد إثارته من أنه يمثل انحرافاً عنه.

س: ما هو تصوّركم حول الأبعاد التي يجب أن يضطلع بها أتباع أهل البيت عليهم السلام ليقوموا بدورهم القيادي في الوسط الإسلامي وفي الوسط العالمي؟

ج: السيد فضل الله: إننا نعتقد أنَّ المهمة الأولى لأتباع أهل البيت عليهم السلام هي أن يتكاملوا مع كل المواقع الإسلامية، وحيث يعملون، على أساس أن يقدموا أنفسهم للعالم الإسلامي على أنهم جزء مهم من الأمة الإسلامية، وأنَّ اهتماماتهم بالمسلمين في كل قضاياهم هي اهتماماتهم الحقيقية، وأنهم عندما يثيرون اهتماماتهم في دائرتهم الخاصة فإنما يثيرونها من موقع أنها تنفتح على الدائرة الإسلامية، فليست هناك قضية شيعية خاصة، بل هناك قضية إسلامية تتنوع فيها وجهات النظر وتتعدد فيها الدوائر، ولكن كل دائرة لابد أن تنفتح على الدائرة الأخرى بدل أن تكون دائرة مغلقة تستغرق في عناصرها الذاتية، وهذا هو الذي ينبغي أن تنطلق فيه، لأنَّ هناك عملاً شيطانياً استكبارياً خبيثاً تقوم به بعض الدوائر الرسمية في البلدان الإسلامية، للإيحاء بمختلف الوسائل بأنَّ

الشيعة خارجون عن الإسلام! لأنّ قرآنهم لا يتوافق مع قرآن الإسلام! ولأنهم يؤلّهون بعض أئمتهم! ولأنهم ينطلقون في حياتهم على أساس أنهم لا يمتلكون حقيقة لأنّ النقيّة تعني أنّ الكذب يجوز لهم في كلّ حالة، وأنهم باطنيّون، وأنهم يقولون بتحريف كتاب الله! وأنهم يغالون بالأئمة عليهم السلام الى غير ذلك.

لذلك فإننا نجد أن هذه الحملة الإعلامية الوحشية الشرسة استطاعت أن تترك تأثيراتها النفسية والفكرية والعملية على أكثر من موقع اسلامي، بحيث أنّ البعض الذين لا يجاهرون بذلك قد يتخذون المجاملة وسيلة الى ذلك، تماماً كما يتّهمون الشيعة بالنقيّة في ذلك.

إنهم قد يتّقون من الشيعة في كلامهم بنفس القوة التي يتّهمون بها أنّ الشيعة يتّقون منهم. إنّنا نتصور أنّ علينا أن لا ننطلق في العالم الإسلامي على أساس أننا شريحة مستقلة عن الصراع الفكري، ولكننا عندما نواجه بعض المشاكل التي قد يثيرها بعض الناس من الأجهزة المرتبطة بأجهزة الاستكبار العالمي، علينا أن لا ننتظر الآخرين حتى يأتوا إلينا، بل نعمل على أن نقودهم ولو من خلال مواقعهم كمسلمين شيعة، والمواقع التي تتكامل معنا من بقية المسلمين. ولكن عندما ننطلق في المسألة فإنّ علينا أن ننطلق من الموقع الإسلامي الصحيح والسليم بحيث نطرح القضايا الإسلامية كما هي، حتى التي ليس فيها أي شيء شيعي ولو بنسبة ١٪، ونطرح العناوين الإسلامية الكبرى أمام التحدّيات الفكرية التي تواجه الإسلام في عقيدته وفي شريعته وفي مناهجه وفي وسائله وفي أهدافه، وأن نتابع التحدّيات الاستكبارية التي تلقي بثقلها على العالم الإسلامي كله.

علينا أن نقول للمسلمين: أيها المسلمون، إنّنا نحمل همّ القضايا الإسلامية الكبرى، ونحن نتحرك حتى في القضايا الشيعية من خلال تكاملها مع قضايا بقية المسلمين، وأنصوّر أنّ الثورة الإسلامية في إيران وأكثر الحركات الإسلامية الشيعية - إذا أردنا أن

تتكلم عن المذهبية في الحركات الإسلامية - قد استطاعت أن تؤكد ذلك عندما حملت القضية الفلسطينية على أكتافها، وعندما واجهت الإستكبار العالمي بالقضية الفلسطينية، وعندما بقيت تعمل في خط الجهاد العسكري في مواجهة إسرائيل، وهكذا بالتزامها بالقضية الأفغانية، وبالقضية البوسنة والهرسك، وبالقضايا الأخرى الجديدة القديمة التي تتوزع في كل مكان من العالم.

إن الشيعة لم يطرحوا قضاياهم الخاصة، حتى انهم عندما طرحوا قضاياهم الخاصة كقضية المرجعية الدينية التي اضطهدت في العراق، أو قضية الشعب العراقي، فإنهم لم يطرحوا هذه القضية على أساس شيعة العراق أو مراجع الشيعة في العراق، وإنما طرحوا القضية بالعنوان الإسلامي الكبير.

أنني أتصور أن على الشيعة أن لا يتعقدوا من كل هذه الحملة الظالمة التي تُشن عليهم من قبل أجهزة الإستكبار العالمي، التي تتفرع عنها أجهزة الإستكبار الإقليمي والمحلي، وأن عليهم أن يكونوا واعين للعبة الإستكبارية التي تريد أن تكون حركة الشيعة فيما يوجه اليهم من اتهامات تتناول عقيدتهم، رد فعل لذلك، ليعملوا على أساس إثارة الاتهامات للمسلمين الآخرين، ولتنطلق القضية سبباً بسباب، وتكفيراً بتكفير، واتهاماً باتهام، وعند ذلك ينطلق الإستكبار العالمي وعملاؤه في المنطقة الإسلامية، ليتفرجوا على هذا الصراع الدموي بين السنة والشيعة، الذي يعطي للإستكبار حرّيته ويعطي للكفر حرّيته في تحطيم الإسلام.

إنني أتصور أن على أتباع أهل البيت عليهم السلام، الذين حضنوا الإسلام بكل فكرهم وبكل جهادهم، وأعطوه كل حياتهم، أن يكونوا في ذلك المستوى. وهذا ما عبّر عنه إمامهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما قال: «فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب فنهضت

في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه^١. أو قوله في كلمة أخرى: «... والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جورٌ إلّا علي خاصة»^٢. إنّ عليهم أن يسألوا ما سلمت أمور المسلمين، وعليهم أن ينصروا الإسلام وأهله حتى لو قدّموا التنازلات في هذه المرحلة أو تلك، لأنّ القضية قضية الإسلام، فإذا انتصر الإسلام في العالم فإنّ الشيعة المسلمين بإسلامهم سوف يواجهون الموقف من موقع إسلامي متقدّم، لتجعلهم تجربتهم وحركتهم هم الطليعة، لأنّ قضية أن تكون أنت القيادة أو تكون أنت الطليعة ليست في أن يقبل بك إنسان أن تكون هنا أو تكون هناك، ولكن أن تؤكد أنت دورك في هذا المستوى، إنّ دورك يحدّد لك موقعك ويحدّد لك طبيعة وجودك بالتالي.

س: لا شك أنّ هناك موانع في داخل الدائرة الشيعية وموانع في الوسط الإسلامي العام، وهناك موانع أوسع من خلال الإستكبار بمنهج العام، في طريق تحقيق قيادة أتباع أهل البيت عليهم السلام في العالم، ما هو تقييمكم لهذه الموانع؟ وما هو المنهج العام لتجاوزها؟

السيد فضل الله: لقد أشرت في حديثي الى أنّ هناك عملية عزل للشيعة عن بقية المسلمين يقوم بها بعض الشيعة كردّ فعل للواقع الإسلامي، ليقولوا: إنّ علينا أن نعمل لكل قضايانا حتى لو أدّى ذلك الى خراب الإسلام والمسلمين، لأننا نحن نمثل الإسلام الحقيقي، تماماً كما يقول بعض السنّة: لنعمل حتى لو خربنا الواقع الإسلامي لأننا نمثل الإسلام الحقيقي، وذلك هو التعصّب الذي يغلق باب الحوار ويسدّ باب الإنفتاح على الآخرين. كما إنّ هناك محاولة لعزل الشيعة عن المسلمين من قبل الإستكبار العالمي، لأنّه عندما يرى أنّ الشيعة تختزن في داخلها حركة الرفض للظلم وللإستكبار وللکفر من موقع متقدّم على أساس التجربة التاريخية التي تمثّلها ثورة الإمام الحسين عليه السلام

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٦٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٧٤.

باعتبار أنَّ عاشوراء يمثل الخزان الثوري الذي يثير المسلمين الشيعة في كلِّ سنة بعد أن تعمل المؤثرات الأخرى على استرخائهم وابتعادهم عن الثورة.

إنَّ الإستكبار العالمي رأى في الشيعة طاقة فكرية يمكن أن تؤدّي لفكرة مواجهة الكفر، وطاقة جهادية يمكن أن تثبت الساحة في مواجهة الإستكبار، ولذلك فإنّه عمل بواسطة أجهزته الموجودة في العالم الإسلامي على عزل الشيعة عن المسلمين وإبعاد المسلمين عن الشيعة شعورياً وفكرياً وحركياً. ولكنني أتخيل أنَّ الإنفتاح الشيعي على القضايا الإسلامية في العالم، والإنطلاقة الشيعية الحركية في مسألة عودة الإسلام الى الحكم ليكون قاعدة للفكر والعاطفة والحياة، ومن أجل مواجهة الإستكبار العالمي هنا وهناك، كلُّ ذلك عطل الكثير من خطوات الإستكبار العالمي، ونحن نجد أنَّ هناك ما يشبه الوحدة الحركية بين الحركيين من المسلمين الشيعة والحركيين من المسلمين السنة، بحيث أنَّ التحديات استطاعت أن تردم الهوة التي أريد لها أن تصنع بينهما. كما أنَّ هناك انفتاحاً بين المجاهدين من المسلمين الشيعة في لبنان والمجاهدين من المسلمين السنة في فلسطين بحيث أصبح الترابط بينهما يشبه الترابط العضوي، وهكذا نجد انفتاح الجمهورية الإسلامية في إيران على الحركات الجهادية الإسلامية في العالم وعلى الحركات الإسلامية عموماً، ما جعل المسلمين يفتحون على حقيقة أساسية، وهي أنَّ المسلمين الشيعة يمثلون عمق المسلمين الذين يبذلون حياتهم وطاقاتهم في كلِّ مكان للإسلام فيه قضية، وفي كلِّ مكان للإسلام فيه معركة، وفي كلِّ افق ينطلق به الإسلام من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الشيطان هي السفلى. إننا نواجه التحدي بأن نظلَّ في الساحة وأن نتابع الساحة وأن نعي كلَّ متغيرات الساحة حتى نعطي كل مرحلة شروطها وقضاياها بالمستوى الذي يمكن أن يحقق الوحدة الإسلامية والنصر الكبير إن شاء الله تعالى.

خاتمة: فاطمة الزهراء (ع) نور على نور

الشيخ أبو المظفر (الملك)

وأشرقَت الأرض بنور ربها...

والدنيا أزهت بزهرتها...

والطيور لم تُخفِ بهجتها...

والسماء ازدانت بأنوارها...

ولم تكن بينها إلا تلك الثمرة التي جاء بها جبرئيل هدية من الله تعالى لعبده ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله!

ريحها الطيب قد ملأ الجنان.

وروحها قد انتعشت به القلوب، وكبرت الأنفس، ولم تلازم الشح...

فاطمات يا ذن ربها.

وروحها الساري في وجهها جعل فؤاد محمد صلى الله عليه وآله يخفق ويرف فرحاً...

ما أكبر من يدخل السرور على ذلك القلب الذي استوعب العالم كله فكان رحمة

للعالمين...؟

ما أعظم من أدخل البهجة على الوجه الذي يُستسقى الغمام به...؟

ما أعظم الذي أدخل السرور في بيت طهارة الله تعالى فكان مهبطاً لملائكته، ومركزاً

(١) إشارة إلى حديث النبي صلى الله عليه وآله عن فاكهة الجنة التي جاء بها جبرئيل عليه السلام فأكلها ثم

حملت خديجة منه فاطمة عليها السلام - راجع: بحار الأنوار ٤٣: ٤.

(٢) من قول أبي طالب في رسول الله صلى الله عليه وآله سيد المرسلين: ٦٨٠ - والبيت هو:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمثال البشامى عصمة للأرامل

لإشعاع دينه...؟

ما أعظم مَنْ بَشَّرَ محمداً بفاطمة...؟

ما أعظم خديجة...؟

... ها هي الزهراء...

ولأنّها كذلك أصبحت كوثرًا يستمرُّ عطاؤه فكانَ سرمدًا...

ولأنّها كذلك رَضِيَ اللهُ لِرِضاها، وَغَضِبَ لِفَضَبِها...

ولأنّها كذلك فَطَمَتْ شيعتُها ومحبيها مِنَ النَّارِ...

ولأنّها كذلك جعل اللهُ تعالى نَسْلَ حبيبهِ منها بَعْدَ أَنْ خَلَطَ النُّورَ بالنُّورِ

.....

وَكَأَنَّ الْوَأْنَ- قوسَ اللهِ- كقوسِ النَّصْرِ في قُبّةِ السَّماءِ، تمرُّ تحتَهُ أفْواجٌ مِنَ الطَّوارِيسِ

ناثرةٌ ريشها...

أو أرتالٌ مِنَ الملائكةِ الحافِينَ بِذلكِ الفَرَحِ السَّماويِّ يَمْرُونُ تحتَهُ وهم يَحْمِلُونُ

شموعَ الولاء...

.....

ولكن...

يومَ أَنْ فارَقَها الرُّسولُ صَلَّى اللهُ عليه وآله - تحولتِ الالوانُ الى عتمة.. إذ لبستِ

الحدادَ سوادًا...

وجعلتِ القَوادِ مَلادًا...

فكانتِ المأساةُ أكبرَ مِنْ حِجَمِ الأرضِ وَمِنْ عليها...

فاحتَلَبُوا مِلَّةَ القَعْبِ دَمًا عَيْطًا...

ولم يزالوا في - لَيْتَ - - وَ - لَعَلَّ - - وَ - رَيْبًا - ...

الى أن فازتْهم بالأمها وغصاتها...

وضاع يومها بين الأيام...

ونعشها بين النعوش...

وقبرها بين القبور...

ولكن...

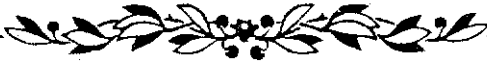
هل ثمة غيره هذا الذي بين القبر والمنبر وهو روضة من رياض الجنة؟

ولو ضاع كل ذلك...

فإن ذكرها ما ضاع ضياعاً ولكنّه ضاع ضوعاً..

إذ كانت مشكاة في زجاجة...

لأنها أم أبيها... نور على نور



قَالَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :

يَا فَاطِمَةُ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغْضِبُ

لِغَضَبِكَ وَيَرْضَى لِرِضَاكَ

الطبري : ذخائر المعقبين ٣٩٥

الْأَنْبَاءُ فِي نَبَأِ الْفَرْيِ (نَقْصٌ مِنْ حَيْثُكَ)

نافذة نطلّ منها على ما يصلنا من أخبار وتقارير عن أحوال المسلمين
وأتباع أهل البيت (ع) في أنحاء العالم. «التحرير»

■ إفريقيا

تزايد النشاط التبشيري

في إفريقيا

أقامت جمعية الانجيل الأوغندية داراً جديدة للإنجيل في العاصمة كامبالا، وتذكر الإرسالية الإفريقية «للمومنين» أن النسخة المراجعة للإنجيل «شوكوي» جاهزة، وهي توزع الآن في أنغولا وزائير وزامبيا. وفي هذه الأثناء تمّ في زائير الإتهام من إعداد ترجمة الإنجيل إلى لغة «جيهاندي» كما وزّع

العاملون في جيديون الكندية الدولية ٤٣٧ ألف نسخة إنجيل باللغة السواحلية والإنجليزية خلال زيارتهم لكينيا في فصل الخريف الماضي. ومن جهة أخرى وافقت الحكومة المغربية على إنشاء جمعية إنجيلية خاصة ببلدان شمال إفريقيا، وستعمل هذه الجمعية كشركة تجارية لتزويد الكنائس الخارجية بالكتب المقدسة. من جهة أخرى سيوسع منتجور البرامج الإذاعية بلغة الياو - لغة الأغلبية

من أنباء القرى

القوات الاسلامية و غيرها، ذلك أن القوات الاسلامية قائمة على ما جاءت من أجله وهو إنقاذ الصومال. وقالت: إن الشعب الصومالي يرى في القوات الغربية أعداء جاؤوا لأغراض بعيدة، وهم يرون أنها جاءت لتنصير الصومال الذي لا يوجد فيه نصراني واحد. ويرى الشعب أن التصدي لهؤلاء وحربهم جهاد في سبيل الله.

وقال الصوماليون: إن مخططات الغرب لتنصير الصومال قد ظهرت بالفعل حين ذهبت بعض القوات الفرنسية للقرى في أيام السبت والأحد وقامت بتوزيع هدايا قاتلة: إن هذا من عند المسيح! ممّا أشعل نقاشاً معهم من قبل القوات الإسلامية.

وقالت: إن القوات الغربية قد غيرت مسارها بالفعل، وإن سير العملية بكاملها في يد أمريكا، وأن هناك ودّاً متبادلاً مع القوات الإسلامية بما فيهم القوات الباكستانية التي بثت رسالة للشعب الصومالي تستنكر فيها ما حدث وأنه

المسلمة لشعب الياو في جنوب إفريقيا - إنتاجاتهم لثلاثة بلدان. فلقد بدأ البثّ الإذاعي اليومي بلغة الياو في آذار (مارس) ١٩٩١م، كما شرع العاملون في كنائس وإرساليات الطوائف المسيحية العاملة معاً في بثّ نفس هذه البرامج في ملاوي. ووفقاً لكريستيان هيرالد فإن تأثير البثّ كبير جداً على الشعب الملاوي.

■ الصومال

شخصيات إسلامية تعترض

على عمليات التنصير

تباين الآراء في الصومال حول وجود قوات الامم المتحدة في الصومال، ففي الوقت الذي ترى فيه فئات أن وجودها استدعته ضرورة حتمية، ترى فئات أخرى أن القوات الغربية تمثل ضرراً على البلاد.

أوضحت ذلك شخصية صومالية وقالت: ليس هناك خلاف مطلقاً بين

ضرب مسلم لمسلم. وقالت: إن قضية الصومال معقدة، ولكن يبقى الانضواء تحت راية الإسلام وتنفيذ الوحدة كمطلب إسلامي هو المخرج من أزمة الصومال الراهنة.

تتميز أزمة الصومال عن غيرها من الأزمات الموجودة في العالم الساخن بالأحداث بميزة خاصة، ذلك أنها كشفت عن وجه أمريكا الحقيقي الذي طلته بطلاء النظام الدولي الجديد، كما إنها أدت إلى تصعيد الخلافات بين حلفائها الغربيين.

وكان قرار إيطاليا بسحب قواتها من مقاديشو قد جسّد قمة الخلاف بين أمريكا وإيطاليا في الصومال المستعمرة السابقة للثليان. ويعود هذا الخلاف إلى تاريخ سابق رغم محاولة المسؤولين في البلدين تصويره على أنه خلاف بين إيطاليا والأمم المتحدة. وقد أربك دخول القوى الجديدة المعادلة السياسية

الإيطالية في الصومال.

ولقد سعى الأمريكيون منذ أن وطئت أقدامهم أرض الصومال إلى عدم إشراك الطليان في اللعبة داخل مستعمرتهم السابقة، لكن الإيطاليين لم يتحملوا التجاهل الأمريكي وسعوا عند الرئيس الأمريكي والأمين العام للأمم المتحدة للحصول على مواقع لهم في القيادة الميدانية للقوات الدولية في الصومال.

ورغم المساعي التي بذلت خلال اجتماع طوكيو والوعود التي قطعها لهم كليتون فإنه لم يتحقق شيء من تلك الوعود.

ويعترض الإيطاليون على استخدام القوة في العاصمة الصومالية بعد الهجمات التي تشنها قوات الأمم المتحدة على مواقع الجنرال عبيد، وقصفها لبنايات بداخلها مئآت المدنيين بدون سابق إنذار.

وقد ثبت للعالم بما لا يقبل الشك أن الهدف من التواجد الأمريكي في الصومال هو هدف استعماري بحث

من أنباء الفري

وليس لإعادة النظام إلى الصومال وإعادة بنائه. والتصرفات التي ينتهجها الجنود الأمريكيون ومن معهم من قوات الأمم المتحدة أثبتت ذلك.

فقد أكدت منظمة «أفريكان رايتس» (الحقوق الإفريقية) غير الحكومية أن قوات الأمم المتحدة العاملة في الصومال ترتكب انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان بحق المواطنين الصوماليين.

وأشار التقرير الذي نشر في لندن إلى عمليات قتل المدنيين العزل والأعمال الوحشية والسرقات وتدمير الأسلحة والذخيرة في ظروف خطيرة على السكان. وأكد التقرير أن الجنود قاموا مرّات عديدة بضرب صوماليين ورمي أطفال من فوق الجسر بدون أن يؤذي ذلك إلى وقوع ضحايا، وقد تم إنشاء «منظمة الحقوق الإفريقية» في كانون الاول ١٩٩٢م.

كما ذكرت إذاعة صومالية أن الجيش الأمريكي دمر مسجداً في مقاديشو وهاجم مستشفى للأطفال والولادة.

وأضافت إذاعة «صوت شعب الصومال العظيم» أن الهجوم بالمتفجرات على المسجد ألحق أضراراً بمباني مصلحة المياه المجاورة. وأوضحت أن الجنود الأمريكيين استولوا على مستندات هامة من ضمنها خطط سحب المياه، وسرقوا ثلاثة ملايين شلن صومالي. وقالت الإذاعة أنهم دمروا معدّات وقاعة للعمليات في مستشفى «بنادير» للأطفال.

وقد كشف دبلوماسي عربي وصل نيقوسيا قادماً من الصومال أن الكثير من حالات الاعتداء والاغتصاب والقتل ارتكبتها العسكرون الأمريكيون في الصومال. وقال الدبلوماسي إن ثلاث فتيات ونساء صوماليات قدّمن شكاوى إلى مراكز الأمن الصومالية إثر تعرّضهن للإغتصاب على أيدي عسكريين أمريكيين.

وقالت إحدى الفتيات الصوماليات خلال الشكوى التي تقدّمت بها إلى أحد مراكز الأمن الصومالية إن اثنتين من العسكريين الأمريكيين داهموا بيتها

بعنف واعتدوا على أبيها بالضرب ثم اغتصبوها بوحشية. وأضاف: إن الكثير من العوائل التي تعرّضت فيها بناتهم للاغتصاب على أيدي العسكريين الأمريكيين يخشون تقديم الشكاوى إلى المراكز الأمنية الصومالية. وأضاف: إن جنوداً أمريكيين اغتصبوا فتاة صومالية تبلغ من العمر ١٧ عاماً في شارع ٣١ أكتوبر الذي كان يسكن فيه الدبلوماسي المذكور وقتلوا بعد ذلك. وأكد إن العسكريين الأمريكيين لا يتورّعون عن ارتكاب أي جريمة وبخاصة مع النساء والفتيات، الأمر الذي أثار سخط الشعب الصومالي المسلم ضدّ الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة.

■ بريطانيا

مخططات بريطانية ضد الاسلام
قامت مدرسة بريطانية بتقديم
دروس حول ما أسمته «الاصولية

الاسلامية» وصفت فيها الاسلام بأنه ديانة ديكتاتورية تريد التسلّط على العالم عن طريق الحرب، الأمر الذي أثار غضب الجالية المسلمة في بريطانيا. وقد قام أولياء أمور الطلبة المسلمين الذين يدرسون في مدرسة «بريستول» شمال مدينة لندن بتقديم احتجاج إلى الجهات المسؤولة عن إدارة المدرسة طالبتهم فيه بضرورة إجراء تحقيق مباشر فيما يتعلّق بالدروس التي تقدّمها المدرسة ضمن منهاج المعرفة العامة المخصص للطلبة في سن سبعة عشر عاماً، وتدّعي فيها أن «الإسلام والإرهاب مرتبطان» وأن «العنف أمر مقبول عند المسلمين».

وقال يوسف إسلام مؤسس المدرسة الاسلامية في لندن: إنّ ما تقوم به المدرسة البريطانية هو محاولة مدروسة ومقصودة لخلق مشاعر الحقد والعنصرية ضدّ المسلمين. ووصف المنهاج بأنه هجوم قاسٍ على معتقدات المسلمين ويقدم صورة مشوّهة جداً عن الاسلام. مشيراً إلى أنّه لم ير مثل هذا

■ إيطاليا

أساقفة إيطاليون يحذرون

من انتشار الاسلام

يعكس أحد التقارير الجديدة التي نشرها الأساقفة الإيطاليون في شهر آذار - مارس - الماضي والذي ينصحون فيه الكاثوليك بعدم الزواج من المسلمين، يعكس قلق الفاتيكان من تزايد الوجود الإسلامي في أوروبا.

وتأتي هذه المخاوف بعد افتتاح مسجد روما في جيو من الصخب والضجيج واقتراح أحد الأعضاء الحكوميين العاملين في قطاع التربية إدراج الإسلام في المناهج الدراسية للمدارس الإيطالية.

وفي هذا الصدد صرح المتكلم الرسمي للمركز الثقافي بروما: «إن الكنيسة متخوفة من اقتراب المسيحيين من الإسلام أكثر بسبب وجود المساجد في كل أنحاء أوروبا». ولقد تمّ بناء مسجد روما الذي يقع على بعد ميل من الفاتيكان خلال عشرة أعوام وسط

وطالب المنهاج الذي وزّع على الطلبة على شكل كتيب يحوي آيات قرآنية واقتباسات مبتورة من أقوال شخصيات إسلامية ومجلات دينية، وقد ترجمت إلى الإنجليزية في قالب مختلف عن السياق الذي قيلت فيه، يطالب التلاميذ الذين كان بينهم مسلمون بالبت في ميثاق الإسلام وعلاقته مع الديانات الأخرى، ونظرتة للمرأة والغرب والحسّ الانساني ومعنى الجهاد الذي يصفه المسلمون بأنه مقدّس.

ويهدف المنهج كما ينصّ التعريف به إلى تقديم إجابة صريحة حول قدرة المسلمين على أن يعيشوا حياة أفضل من حياة الإسلام. وما إذا كان يجوز لهم أن ينشئوا مدارسهم الإسلامية بيننا مما يعني السماح لهم بنشر إسلامهم البربري في أوروبا.

ضجيج إعلامي ومسيحي كبير.

وقد اضطرّ المسلمون لتخفيف علوّ المئذنة امتثالاً لأحد التقاليد القانونية القديمة الذي يحرم رفع أيّ بناء في المدينة أكثر من قبّة باسليكا القديس بطرس. ومن جهة أخرى تقول المصادر غير الرسمية للجماعات الإسلامية إنّ هناك حوالي نصف مليون من الكاثوليكين الإيطاليين من الذين قاموا بمحاولة الاقتراب من الإسلام أو اعتناقه. والسبب في معظم الأحيان يعود لزواج هؤلاء بالمسلمين.

ويقول الناطق الرسمي للمؤتمر البابوي: إن الأساقفة البريطانيين والفرنسيين والبلجيكيين والسويسريين قد قاموا بإصدار نفس التعاليم والنصائح في الماضي.

■ تركيا

فوجيء الشعب التركي بإقدام شرذمة من العلمانيين الأتراك على ارتكاب

جريمة بشعة اهتزّ لها الرأي العام وتمثّلت بإحراق مسجد وقتل إمامه مع ٣٣ من المصلّين وذلك في قرية «باش بغلار» في ولاية «أرزنجان».

وقد وقع هذا الحادث الإجرامي عندما هاجمت الشرذمة المجرمة القرية قبيل صلاة المغرب ودخل بعضهم المسجد وأهانوا إمامه ثم أخرجوه مع المصلّين من المسجد تحت تهديد السلاح وأضرموا النار في المسجد بكامله، ثم أطلقوا النار على رؤوس المصلّين وبالأخص الملتحين منهم فأردوهم قتلًا. وكانت هذه الأعمال الوحشية تتمّ على مرأى من بقية المصلّين، حيث كان المجرمون الإرهابيون يجزّون الملتحين من لحاهم ويحقّقون الشريعة الإسلامية ومقام الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله.

وفي أثناء ذلك هاجم قسم آخر من المجرمين القرية وأحرقوا ٥٧ منزلاً، وقد انتهكوا الحرمات وأعراض النساء والفتيات داخل المنازل. ومن المؤسف

من أنباء القرى

١٤٠٠ سنة والناس ينقادون إليه كالبهائم إلى يومنا هذا. واستشاط جمهور الحاضرين غضباً، وانتهت محاضرتة الأولى بتهريره خوفاً عليه بعد أن هاجمه الحاضرون.

ولم يقف «نسين» عند ذلك الحد، بل أعاد الكرة في محاضرات أخرى، وتهجم على الاسلام والقرآن الكريم بشكل استفزازي، مما جعل أهالي ولاية «صيواز» المعروفين بتدينهم يخرجون إلى شوارع المدينة ويعبرون عن غضبهم ليتحول بعد ذلك هذا الاحتجاج إلى مظاهرات صاخبة رفعت شعارات إسلامية، وهاجمت العلمانية وأفكار الإلحاد، وخصت «عزيز نسين» بالإسم. وتقول الرواية الرسمية للأحداث: إن المتظاهرين بعد أن جابوا شوارع المدينة توجهوا إلى الفندق الذي يقيم فيه «عزيز نسين» وجماعته واعتصموا أمامه وأشعلوا فيه النار، مما أدى إلى مقتل حوالي ٥٠ شخصاً أغلبهم من أنصار «نسين» والبقية نزلاء في الفندق، إضافة

أن هذه الاعمال كانت تجري ولم يتدخل رجال الأمن الأتراك إلا بعد مرور حوالي عشر ساعات على وقوع الجريمة حيث وصلت قوات الامن التركية القرية المنكوبة

سلمان رشدي وعزيز نسين لا تزال ولاية «صيواز» التركية تضم جراحها بعد الفتنة التي أشعل ناراها الكاتب العلماني «عزيز نسين» الملقب بـ «سلمان رشدي تركيا» والذي كان مدعواً للمشاركة في نشاط ثقافي بالولاية المذكورة نظمتة إحدى المؤسسات الثقافية الخاصة المعروفة بعاداتها الشديدة للدين الإسلامي.

وخلال الندوات التي شارك فيها «نسين» تهجم بشدة على الدين الإسلامي وحقر مقام الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأهات المؤمنين وقال: إنني لا أتخيل أن كتاباً - يعني به القرآن الكريم - قد ألّف منذ

إلى إصابة قرابة المائة شخص بحروق متفاوتة.

وركزت وسائل الاعلام الغربية على عملية إحراق الفندق وتجاهلت خلفيات الحادث، وراحت تكيل الاتهامات إلى عناصر التطرف الديني والإرهاب مشيرة بذلك إلى الجماعات الإسلامية. ولكن الصحافة الإسلامية التركية وزعماء العمل الإسلامي أدانوا بشدة عملية إحراق الفندق. ووصف عدد من الصحف الإسلامية هذه العملية بأنها جريمة بشعة وأسلوب ذميم لا يمكن لمسلم عاقل أن يلجأ إليه.

كما شككت هذه الصحف في أن يكون للإسلاميين علاقة بإحراق الفندق، وربطوا بين الحادث وبين الانتخابات البلدية القادمة التي بدأ المسلمون الاستعداد لها منذ فترة، وشددوا على أن هناك مخططاً خبيثاً حيك منذ مدة يهدف إلى زعزعة ثقة الشعب بالإسلاميين وإظهارهم في صورة الإرهابيين. بل إن إحدى الصحف الإسلامية ذهبت إلى

حدّ اتهام أطراف حكومية محسوبة على التيار اليساري بأنهم يحاولون إيجاد مبررات للتصادم بين الحكومة والتيار الإسلامي بحجة مواجهة التطرف والإرهاب.

وقد طالب بعض رموز العمل الإسلامي في تركيا الحكومة بعدم الاكتفاء بتوجيه اللوم إلى «نسين» بل طالبوا بمحاكمته وتساءلوا: لماذا لا يتم اعتقاله كما اعتقلت أجهزة الامن ٣٥ شخصاً من شباب مدينة «صيواز»؟ ثم طالبوا الحكومة أيضاً بإصدار قانون لمنع «نسين» وأمثاله من التهجّم على عقيدة الشعب والقرآن الكريم وتحقير مقام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله. وجدير ذكره أن «نسين» أعلن أكثر من مرّة اعتزامه ترجمة كتاب «الآيات الشيطانية» لسلمان رشدي وتوزيعه في تركيا.

وردّاً على الموقف المشبوه لـ «نسين» أكّد مسؤول في مؤسسة دينية وعدت بمكافأة من يقتل الكاتب البريطاني المرتد سلمان رشدي الذي أصدر الإمام

من أنباء القرى

الراحل الخميني (قده) فتوى يهدد دمه منذ العام ١٩٨٩م بسبب كتابه «الآيات الشيطانية» الذي اعتبر تجديفاً بحق الإسلام: أن جميع الذين يدعمون (سلمان رشدي) سيلاقون المصير نفسه. وأضاف حجة الإسلام حسن صانعي الذي يدير مؤسسة ١٥ خرداد في بيان نشرته صحيفة (جمهورية إسلامي) اليومية أن أعمال العنف الأخيرة في مدينة سيفاس بتركيا تعتبر تحذيراً للدول الغربية التي تدعم (سلمان رشدي).

وأوضح أن غضب المسلمين في تركيا على الذين يدعمون «سلمان رشدي» يؤكد يقظة الأمة الإسلامية التي تحتقر هذا الشخص القذر وستنتقم من جميع الذين يدعمونه. وأكد أن فتوى الإمام الخميني (قده) التي أهدرت دم رشدي هي سهم أطلق وسيصيب هدفه ذات يوم، وإن الذين يدعمون - بطريقة أو أخرى - سلمان رشدي وكتابه التجديفي سيلاقون نفس المصير.

وقد قدمت مؤسسة ١٥ خرداد

مكافأة قدرها مليوناً دولار لقتل سلمان رشدي، وقد منعت الجمهورية الإسلامية في إيران جميع مؤلفات الكاتب التركي «عزيز نسين» من التداول. كما وخصص أحد كبار التجار الأتراك وهو السيد علي شاداوغلو الذي يمتلك إحدى أكبر الشركات التجارية في اسطنبول مكافأة نقدية قدرها ربع مليون دولار لمن ينقذ الحكم العادل بحق مرتد تركيا المدعو «عزيز نسين». وقال: إنه مستعد لأن يدفع ٣٠٠٠٠٠٠ دولار للمرتد (نسين) نفسه إذا أقدم على الانتحار لكي يجنب الآخرين المشاكل المترتبة على تنفيذ الحكم به.

وقد ذكرت صحيفة (ميدان) الصادرة في إسطنبول أن المدعي العام في هذه المدينة استدعى السيد اوغلو لمحاكمته بتهمة تأليب الناس على القتل وطلب إصدار حكم بسجنه من ستة إلى عشرة أعوام.

وتشير تطورات الأحداث الأخيرة إلى أن هناك مؤامرة كانت تدبر لإحداث

الإسلاميين، وطالب الغربيين بدعم التوجّهات العلمانية الحديثة في العالم الإسلامي في مواجهة ما أسماه التطرّف الإسلامي المقدّس. واستند في طلبه إلى وحدة الخطر على العلمانيين في العالم الإسلامي وعلى التوجّهات الغربية في المنطقة الإسلامية.

■ الولايات المتحدة الأمريكية المسلمون في أمريكا والإرهاب اليهودي

تلقّى مدير المركز الاسلامي في «هيوستن» بولاية «تكساس» الأمريكية رسالة «إنذار وتحذير وتهديد بالقتل لكل المسلمين الذين يعيشون في الولايات المتحدة». وقد وجهت هذه الرسالة جماعة متطرّفة ادّعت أنها من أنصار الحاخام اليهودي المستعصّب «ماتير كاهانا» وقالت الرسالة إن المسلمين في أمريكا سوف يتعرّضون لإبادة جماعية

فتنة بين المسلمين تحرّكها الأصابع الملحدة، ولألماذا تتمّ دعوة كاتب يعلن ويفتخر بكفره علناً إلى مهرجانات ثقافية في مدينة يسيطر على بلديتها حزب إسلامي هو حزب الرفاه؟ إن الأمر مقصود لاستفزاز الجماهير، وهذا ما حدث بالفعل، لأنّه لم يكن من المتوقّع أن يقوم شخص مثل (عزيز نسين) المرتدّ والذي يهاجم الإسلام أينما حلّ أن يفعل ما يفعل في مدينة تشير نتائجها الإنتخابية إلى إسلامية توجّهها. وقد ثبت بالدليل القاطع عدم شعبية العلمانيين في تركيا وقوة الإسلاميين في الطرف المقابل.

ومن ناحية أخرى فقد هاجم سلمان رشدي في مقال له نشرته صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية يوم ١١ تموز ١٩٩٣، هاجم التوجّهات الإسلامية الرسمية منها والشعبية في العالم الإسلامي، وأضاف أن العلمانيين -الذين يحملون الفكر والثقافة الغربية- قد أصبحوا الهدف الأساسي للمتعضّبين

مِن أَنْبَاءِ الْفَرَنْجِيِّ

تشمل نساءهم وأولادهم أيضاً بقصد حماية المجتمع المتحضر من تهديد الإرهاب الإسلامي والعناصر الشيطانية، ولإجبار كل المهاجرين الذين يشكل وجودهم كثيراً من الخوف في صفوف الأمريكيين الأصليين على مغادرة البلاد. وقالت رسالة التهديد: «إن المسلمين سوف يجدون أنفسهم غير قادرين على تحمّل الحياة في أمريكا وكندا والمكسيك وأوروبا و«إسرائيل» وإنّ عليهم أن يذهبوا إلى إيران أو إلى أي جهة تسمح لهم بالإرهاب». وقد تمّ اختيار مدير المركز الاسلامي «شخصياً» لتوجيه رسالة التهديد إليه «باعتباره مسلماً أو مؤيداً للمسلمين». وتأتي رسالة التهديد هذه في ظلّ تصاعد الحملة الإعلامية الصهيونية على المسلمين في أمريكا.

وفي هذا الصدد أنهى مائة من أنصار حركة «كاهاناحي» المنصرية والتي انشقت عن حركة «كاخ» اليهودية المتطرّفة تدريباتهم العسكرية في

الولايات المتحدة قبل عودتهم خلال الايام القليلة القادمة إلى فلسطين المحتلة.

أعلن ذلك «بنيامين زئيف كاهانا» رئيس حركة «كاهاناحي» مؤكداً أن المجموعة تلقت تدريباتها على يد ضباط صهيانية وأمريكان. وأنّ التدريب تمّ في معسكرات قانونية حصل فيها المتدربون على الأسلحة بطريقة قانونية. وقال «كاهاانا» وهو نجل الإرهابي العنصري «ماتير كاهانا» الذي قتل في نيويورك: إنّ أفراد حركته الذين تدربوا على الرماية واستخدام وتصنيع أنواع من الأسلحة والقنابل سيكونون رهن إشارة قيادة الحركة في الكيان الصهيوني قريباً. ويأتي الإعلان عن التدريبات العسكرية لأعضاء «كاهاناحي» في وقت كثر فيه الحديث عن استعداد الكيان الصهيوني منح الفلسطينيين حكماً ذاتياً محدود السلطات.

وقد أكّدت صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية أنّ حوالي مائة

ناشط من حركة «كاخ» الاسرائيلية
اليمنية المتطرفة العنصرية يتدربون على
استخدام الأسلحة في معسكر بالقرب
من نيويورك. وكتبت الصحيفة إن قسماً
من هؤلاء الجنود سيشكل نواة «شرطة
دولة يهودا» في الضفة الغربية المحتلة.
وسيرسل إلى فلسطين المحتلة للدفاع
عن المستوطنين في حال سلمت
الحكومة الإسرائيلية المستوطنات
اليهودية إلى الفلسطينيين؟

وتجدر الإشارة إلى أنه يتم تجنيد
الناشطين من بين الجالية اليهودية
الأمريكية ويشرف على تدريبهم حوالي
١٢ ضابطاً سابقاً في الوحدات الخاصة
في الجيش الإسرائيلي ومظليون وضابط
بحرية أمريكي سابق.

ونشرت الصحيفة التي تؤكد أنها
وسيلة الاعلام الوحيدة التي زارت
المخيّم صورة لشبان يتدربون على
الرمية. ويتضمن التدريب بالإضافة إلى
ذلك الاستخدام النظري للمتفجرات
وكذلك التدريب على استخدام

الأساليب القتالية في مناطق ذات طبيعة
جغرافية مختلفة وأساليب مكافحة
الإرهاب على حدّ زعمهم.

وفي خطوة قامت بها أمريكا - تعبّر
عن حقها الدفين وعدائها الصريح لكل
من ينتمي إلى الاسلام ولكل من يرفع
الاسلام الأصيل سلاحاً يهدّد به
مصالحها، ويقف بوجه طموحاتها
الإستكبارية، وهي خطوة تعبّر عن
التعاون الوثيق بين أمريكا وإسرائيل
للقضاء على الاسلام والإسلاميين -
أقدمت على تسليم السيد محمد صالح
البالغ من العمر ٤١ سنة إلى السلطات
الإسرائيلية التي وضعت مباشرة تحت
الإعتقال، وقدمته إلى محكمة عسكرية
بتهمة المساعدة على تنشيط تنظيم حركه
المقاومة الإسلامية الفلسطينية
(حماس). وقامت السلطات الأمريكية
باعتقال الشيخ عمر عبدالرحمن
وأصدرت قراراً بإخراجه من أمريكا.

وأخذت السلطات الأمريكية تصدر
تصريحات تتهم فيها أطرافاً إسلامية



من أنباء القرن

بالإرهاب، وتسعى جاهدة بالتعاون مع الغرب والأنظمة العميلة السائرة في فلكها وبالتخطيط والتنسيق مع المخابرات الإسرائيلية لإشعال نار الفتنة والحروب في العالم الإسلامي من أجل القضاء على الإسلام والصحة الإسلامية التي أخذت على عاتقها الوقوف بلا هوادة بوجه العدوان وقضح الدور الاستكباري الذي تلعبه أمريكا وحلفاؤها في هذا العصر تحت شعار «النظام الدولي الجديد» الذي ما هو إلا مؤامرة مفضوحة للسيطرة الاستعمارية على العالم ونهب ثرواته تحت أساليب ومسميات جديدة.

* *

البابا يستنكر التحلل الخلقي

في أوساط القساوسة

هاجم البابا يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان الإجهاض واستخدام العوازل الطبية بشدة، كما أدان تحرش بعض قساوسة الكنيسة الكاثوليكية جنسياً بالأطفال. وتحدث البابا خلال خطابين

ألقاهما عما يعتبره أزمة أخلاقية يعيشها المجتمع الأمريكي، وأزمة مصداقية الكنيسة في الولايات المتحدة.

وحتّ البابا أتباع الكنيسة الكاثوليكية على إطاعة تعاليم الكنيسة والإمتناع عن استخدام العوازل الطبية، وطالب المجتمع الأمريكي ببذل المزيد من الجهد لوقف أعمال العنف. وخصّ الإجهاض والقتل من أجل الرحمة بأعنف هجوم خلال زيارته الحالية للولايات المتحدة، ووصف دعوة القتل من أجل الرحمة بأنها انتشار لعقلية معادية للحياة في أمريكا.

كما تحدث البابا لأول مرة في خطاب عام عن قضية أخرى تقلق الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية، وهي قضية تحرش القساوسة جنسياً بالأطفال. وكان ما لا يقل عن ٤٠٠ من قساوسة كنائس أمريكا الشمالية قد اتهموا بالتحرش جنسياً بأطفال أبرشياتهم. وتمت تسوية ٢٠٠ قضية في الولايات المتحدة، وذكرت تقارير منشورة أن تلك

التبويضات تَضَمَّت تعويضات مالية
بلغت ٤٠٠ مليون دولار.

■ البوسنة

كشفت رسالة موجهة من رئيس الوزراء
البريطاني «جون ميجر» إلى وزير الدولة
للشؤون الخارجية «دوغلاس هيج» عن
حقيقة الموقف الغربي تجاه مذبحه
المسلمين في البوسنة والهرسك
خصوصاً والعالم الإسلامي عموماً.

وأكدت الرسالة التي تحمل توقيع
«جون ميجر» والمطبوعة على الأوراق
الرسمية لمكتب رئيس الوزراء البريطاني
في «١٠ داونينغ ستريت» في وسط
العاصمة البريطانية «لندن» على ثوابت
السياسة الغربية تجاه مأساة البوسنة
وهي:

١ - رفض الغرب حالياً وفي المستقبل
تسليح أو تدريب مسلمي البوسنة
والهرسك للدفاع عن أنفسهم.

٢ - استمرار حظر وصول السلاح إلى

المنطقة على حدّ تعبير «جون ميجر»
على الرغم من أنّ اليونان وروسيا
وبلغاريا تزود الصرب، وأنّ ألمانيا
والنمسا وسلوفينيا والفاتيكان تزود
الكروات بالسلاح وتدريبهم على القتال.
فإنه من المهم جداً أن لا يسمح بشيء من
هذا القليل أن يصل إلى المسلمين سواء
من المنطقة أو الدول والمجموعات
الإسلامية.

وأكد «ميجر» أنّ هذه السياسة ثابتة
ومستمرة إلى نهاية الأزمة بتقطيع أوصال
البوسنة والهرسك وتدميرها كدولة
إسلامية محتملة ضمن أوروبا. ودعا
«ميجر» وزير خارجيته إلى ضرورة أن
تقوم السلطات الغربية بمراقبة المسلمين
في أوروبا وخصوصاً بريطانيا.

٣ - إلى حين انتهاء الأزمة في ما كان
يعرف بـ «يوغسلافيا» يجب أن تمنع
(مهما كُلف الثمن) أيّ دولة مسلمة من
أن يكون لها قول في السياسة الغربية في
المنطقة وبالأخص تركيا.

لذا فإنّه من الضروري الإستمرار في

من أنبياء القرن

خطة «فانس - أوين» لتعطيل محاولة من الدول المسلمة للتدخل إلى حين نهاية البوسنة والهرسك كدولة وإلى حين تهجير سكانها المسلمين من ديارهم.

وقال «جون ميجر» في رسالته: إن هذه السياسة هي (السياسة الحقيقية) في قبالة السياسة المعلنة، فإنها في سبيل مصلحة أوروبا مستقرة في المستقبل، والتي يجب أن تبقى قائمة على أساس الحضارة المسيحية.

وأنتهى «ميجر» رسالته بالقول: إنه يجب أن يفهم المسلمون في الغرب أنهم لا يستطيعون معارضة وجهة نظرنا في النظام العالمي الجديد. وإن عجز ما يسمى بالحكومات المسلمة عن عمل أي شيء لمقاومة تدمير المسلمين في البوسنة والهرسك هو بسبب كونها - أي الحكومات المسلمة - لا تملك القدرة على معارضة الغرب لأنه هو الذي يسيّرهما.

حذر نائب الرئيس البوسني «أيوب

غانيتش» الدول الأوروبية من عواقب وخيمة إذا لم تتوقف المأساة ضد الشعب البوسني المسلم، وتوقع أن تستمر الحرب في البوسنة ما بين ١٠ و ١٥ سنة، وأن يظهر الإرهاب في أوروبا ضد الدول التي ساهمت في دعم الصرب والكروات، بل وحتى تلك التي لم تعمل شيئاً لإيقاف المذبحة.

وقال (غانيتش): لا أريد أن أكون مسؤولاً عن الإرهاب، ولكن الإرهاب سيحصل في أوروبا. وقال: إن هناك أكثر من مليوني لاجئ بوسني دمرت حياتهم القوات الصربية والكرواتية. ووجه نائب الرئيس البوسني كلامه إلى فرنسا قائلاً: إنها مأساة كبيرة، إنكم بتقسيمكم البوسنة تشرعون الإبادة الجماعية. وأضاف: ليس من مصلحة الديمقراطية الفرنسية تبني تقسيم البوسنة.

وقال: إن فرنسا خيّبت آمالنا كثيراً، ولكن البريطانيين أسوأ. وقال: إننا ندفع ثمن عداة الحكومة البريطانية للإسلام، وكذلك بدرجة ثانية ثمن عداة الحكومة

الفرنسية للإسلام. وأعرب عن أسفه قائلاً: كنّا ننتظر المساعدة من أوروبا، وتوجّهنا إلى أوروبا لأننا ننتمي إليها. لقد كنّا بسطاء.

وختم كلامه بالقول: لقد أظهرت أوروبا وجهها الحقيقي، ولكنّا إذا متنا وإذا دُمّر بلدنا فسيكون ذلك على يد أوروبا وليس على يد الصرب وحدهم.

■ النمسا

صحيفة نمساوية: مجاهدو

البلدان الإسلامية زلزال يهزّ

القوات الصربية والكرواتية.

نشرت صحيفة (فينر سايتونغ)

الناطقة باسم الحكومة النمساوية تقريراً

عن مجاهدي البلدان الإسلامية

المتواجدين في البوسنة والهرسك

فوصفتهم بأنهم يمتلكون شجاعة تفوق

حدود التصوّر ولا يعرفون للموت معنى،

وإذا هاجموا القوات الصربية والكرواتية

فإنّهم يشلّون حركتها.

وذكرت هذه الصحيفة مثلاً عن إحدى عمليات هؤلاء المجاهدين، فكتبت تقول: في إحدى العمليات الهجومية للمسلمين البوسنيين تقدّم للخطوط الامامية للعملية ٣٠ مجاهداً، وعندما أعلنت ساعة الصفر وتمّ الهجوم على القوات الصربية تصوّر الصرب بأنّ المهاجمين يشكّلون كتيبة قوامها مئات المقاتلين. وإنّ القادة البوسنيين أخذوا يستعينون هؤلاء المجاهدين في العمليات الاقتحامية وذلك لصلابتهم وشجاعتهم.

وقالت الصحيفة: إنّ هؤلاء المجاهدين الذين يستمون إلى جنسيّات مختلفة أخذوا ينشرون الفكر الأصولي إضافة إلى مهمّتهم القتالية، وقد وجد هذا الفكر رواجاً بين الشباب والشابات البوسنيين، وأخذت الفتيات يرتدين الحجاب الإسلامي ويخلعن الزي الغربي.

إحتفالات بذكرى

دخول الإسلام إلى روسيا

أقيمت احتفالات واسعة بمناسبة ذكرى دخول الإسلام إلى روسيا. وكانت فكرة إقامة هذه الاحتفالات قد أثيرت عدة مرّات في السابق، إلا أن الزعماء السوفيت - سابقاً - كانوا يعارضونها كل مرّة. فقبل أربع سنوات أراد المسلمون إقامة احتفال في ذكرى مرور أحد عشر قرناً على دخول الإسلام إلى روسيا لكنهم وُجّهوا بالرفض من قبل السلطات ولم يُمنحوا الإذن بذلك.

وقد صادفت قبل فترة الذكرى السنوية الرابعة بعد الألف لدخول الاسلام إلى منطقة «القولغا» حين وصل موفدو الخليفة العباسي من بغداد. وقد اشتملت الإحتفالات هذه المرّة على عرض فلمين، الأول: «عبر قرون باسم الله» والثاني «الله أكبر» على محطات التلفزيون في عدة مناطق بينها بخارستان وترستان واستراخان.

وتتراوح تقديرات عدد المسلمين في روسيا ما بين ١٨ و ٢٢ مليون نسمة، يتألفون من حوالي مائة قومية وجماعة عرقية مختلفة، ويتحدّثون أكثر من خمسين لغة. وقد احتشدت جماهير غفيرة لأداء صلاة الجمعة في مساجد موسكو وكازان ووافا وغيرها من المراكز الإسلامية الرئيسية في روسيا.

وفي رسالة خاصة هنأ الرئيس الروسي «بوريس يلتسن» مواطنيه المسلمين بهذه المناسبة، على العكس من غورباتشوف الذي أثار كراهية المسلمين له حين أمر بمذبحتي آلما آتا وباكو عام ١٩٨٦ و ١٩٨٩ م، وقد ظلّ يلتسن يسعى إلى الحفاظ على إقامة علاقات وثيقة مع المسلمين في روسيا. وكان الإسلام قد دخل روسيا في نهاية القرن العاشر الميلادي. إذ إن «الموش خان» حاكم البلغار الذي عاش على محاذاة نهر القولغا طلب من الخليفة أن يرسل إليه السلاح للدفاع عن قومه في وجه هجمات الخزر المتكررة، وكان

الخزر يهوداً يعيشون في المنطقة.

وأوفد الخليفة بعثة ضمّت علماء دين ومستشارين عسكريين والمؤرخ أحمد بن فضلان الذي كتب فيما بعد المهمة التاريخية. واستمع «الموش خان» إلى أعضاء البعثة الذين شرحوا له الإسلام، فاعتنق الدين الجديد وتبعه شعبه بأكمله في اعتناقه. وعلى مرّ القرون بدأ الخزر يختفون كشعب مميّز وأخذوا يعتنقون الإسلام أو المسيحية.

■ بورما

فصل جديد في تعذيب المسلمين

كشفت تقارير لوكالات الأنباء في «أراكا - بورما» عن صورة جديدة من الوحشية والبربرية التي يمارسها جنود نظام بورما الغاصب بحق الأبرياء من المواطنين من أبناء «أراكا» حيث بدأ فصل جديد من الشروع بالتقتيل والتعذيب والتضييق مستهدفين بذلك الشباب والشيوخ والنساء العفيفات في وقت تنشغل فيه الأمة الإسلامية بقضية البوسنة وقضاياها الأخرى الراهنة.

وذكر أحد التقارير: إن قوات بورما

الخاصة «نا.سا.كا» قد قامت في يوم ١٩٩٣/٦/٢٣ م بإطلاق الرصاص على خمسة من الشبان المسلمين بعد اعتقالهم وهم في طريقهم إلى صلاة الفجر، وقال: إن الشبان الخمسة لقوا حتفهم وهم يرددون الشهادتين. وذكر التقرير أن القوات قد اعتقلت بعض الفتيات والنساء في يوم ١٩٩٣/٦/٢٧ م، وأن الجنود قد اغتصبوهن أمام أزواجهن وآبائهن وأمام حشود من القوات البورمية المحتشدة حتى فقدن وعيهن.

وفي سلسلة الإضطهاد قامت قوات «نا.سا.كا» باعتقال مدير المدرسة الإسلامية وإمام المسجد بقرية «كوثير كالي» قرب مدينة «بلي بازار» بتهمة بناء مسجد لأداء الصلاة، وقامت القوات بتعذيبه حتى فقد الوعي، وأمره الضابط المسؤول بالسجود له وإلا سيكون مصيره القتل، ثم أمر بسجنه عشر سنوات.

وفي مدينة «بلي بازار» قامت القوات

من انتكاء القرني

البورمية باعتقال إمام المسجد بتهمة الزواج دون إذنها، وقاموا بتعذيبه وزوجته وأشعلوا النار في مواطن عفتهم، كما أجبروهما على السجود للضابط المسؤول. كما أحدثت القوات أنظمة خاصة للتضييق على المسلمين، مثل منع الصيد والتجارة والزراعة في «أراكا» وعدم مغادرة المدن إلا بإذن خاص، إضافة إلى إصدار أمر للنساء بخلع الحجاب والعمل مع الجنود في المعسكرات.

وعلى صعيد آخر تعمل الحكومة البورمية على تقليل عدد السكان، فمنذ أن تولّى الشيوعيون السلطة بقيادة الجنرال «نيون» البوذي المتعصب عام ١٩٦٢م قامت الحكومة بعمل خطط لإخلاء منطقة «أراكا» من سكانها الأصليين - وهم من المسلمين - بطردهم وتشريدهم، كما وقامت بسجنهم وقتلهم. وقامت في الوقت نفسه بإنشاء المستوطنات البوذية في المنطقة، ثم عمدت الحكومة إلى تقليل نسل

المسلمين بتحديد عمر الزواج، ومنع التعدد ومنع ولادة الأم لأكثر من طفلين، وأن يكون عقد الزواج في معسكر الجيش، وأن تلتزم العروس بأخذ مواعيد الحمل إضافة إلى تجول الأطباء وإعطائهم المسلمين الحقن بأساليب مكررة.

■ أندونيسيا

رئيس نهضة العلماء في أندونيسيا

يتحدث عن الشيعة وثقافتهم
تحدث عبدالرحمن وحيد رئيس نهضة العلماء في أندونيسيا عن وجهة نظره حول مدرسة أهل البيت عليهم السلام وذلك في حوار له في معرض الكتب الإسلامية الذي أقيم في مسجد الاستقلال في أندونيسيا وقد نشرت الحوار صحيفة هارين بتاريخ ١٤/٢/١٩٩٣م.

ونظراً لأهمية المطالب المطروحة ندرج أهم ما ورد في الصحيفة المذكورة:

قال عبد الرحمن وحيد وهو يشير إلى
توافر الكتب الشيعة في أندونيسيا بأن
هذا لا يثير قلقنا أبداً. وطلب من سائر
المسلمين الإتحاد مع أتباع أهل البيت
عليهم السلام. وقال: إن أعضاء نهضة
العلماء لو أرادوا الإتحاد مع الشيعة
أو أن يصبحوا مستشيعين لأهل البيت
فلا غرو في ذلك لأن هذا يعتبر حقاً من
حقوقهم الطبيعية.

وأضاف: يسرني لو أن أعضاء نهضة
العلماء يبادرون إلى قراءة الكتب الشيعة
وتمحيصها. وأن مذهب أهل البيت عليهم
السلام يُعدّ - من وجهة نظره - من المذاهب
القوية الإسلامية وذلك للمصلة الأكيدة
الموجودة بينه وبين الفلسفة.

وانتقد وحيد بعض أعضاء النهضة
بأنهم ما زالوا يتداولون الكتب التقليدية
ولا يهتمون بمراجعة الآراء والأفكار
القيّمة والحديثة. وهذا ليس بمعنى إنكار
قيمة الكتب التقليدية، بل المقصود هو
ضرورة الإهتمام بالفكر الحديث.

ثم بدأ بالحديث عن المقارنة بين

طبع الكتب في الغرب وفي أندونيسيا
قائلاً: إن جميع الكتب في الغرب وحتى
التي تتحدث عن غريزة الجنس تطبع
بدون أي رقابة، في حين أن الكتب
الشيعة في أندونيسيا لا تطبع إلا بعد
سماع الرقابة. وأضاف مخاطباً مسؤولي
الرقابة الحكومية: اسمحوا للناس حتى
يعملوا الرقابة بأنفسهم على هذه الكتب،
فإنهم يعرفون الكتب ذات المضامين
الصادقة والأمنية عن غيرها. ولو أن
الكتب الشيعة طبعت ونشرت بالألوف
في البلاد فسوف يرفضها الناس ولا
يقرأونها إذا تدخلت الرقابة الحكومية
وعملت على تغيير مضامينها.

وتحدث أخيراً عن سفره إلى
الجمهورية الإسلامية في إيران ولقائه مع
أحد علمائها، وقال: إنه بعد الحوار الذي
جرى بينه وبين ذلك العالم الشيعي رآه
واسع الاطلاع على القضايا العالمية
المعاصرة، في حين أن أمثال هؤلاء قلما
نجدهم بين العلماء الأندونيسيين.

الصفحة الاولى من الغلاف الداخلي: لوحة تزيينية تعلو قاعدة إحدى منارات الايوان الجنوبي الكبير لمسجد في مدينة اصفهان، يبدو في مركزها لفظ الجلالة «الله» و«محمد» و«علي» تحيطها عبارات إسلامية أخرى مخطوطة بشكل متناوب.

الصفحة الثانية من الغلاف الداخلي: الجانب الداخلي الأيمن للمدخل الرئيسي لمدرسة الإمام الصادق عليه السلام في مدينة اصفهان.

بنك التجار
بنك التجار

قسمة الاشتراك

الاسم
العنوان
المدينة
البلد
المهنة
مدة الاشتراك
ابتداء من
عدد النسخ

الاشتراك
الارسل
السوي / امدد شهر
الجمهورية الإسلامية
في ايران (باليال)
باقي دول العالم (بالت)
(أو مايعادلها)
٢٠٠٠ ٤٠٠٠ ١٥ ٣٠

يرافق اشتراكك: ☐ صك ☐ صك بريدي ☐ حواله بريدي
أرسل هذه القسمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» إلى أحد العنوانين التاليين:
* الجمهورية الإسلامية في ايران - قسم ص.ب ٢٧١٨٥ / ٨٩٤
* الجمهورية الإسلامية في ايران - طهران ص.ب ١٥٨١٥ / ٣٥١٦

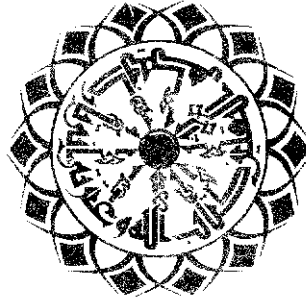
الاشتراكات:

١- في داخل الجمهورية الإسلامية في ايران تسدد قيمة الاشتراك السنوي (٤٠٠٠ ريالاً) بحواله مصرفية على العنوان التالي:
الجمهورية الإسلامية في ايران قم بنك تجار شعبه مركزي رقم الحساب الجاري ٢٦١٨ (باليال) مجلة رسالة الثقلين.
٢- قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولاراً أمريكياً أو مايعادلها) تسدد بحواله مصرفية على العنوان التالي:

ACCOUNT NO.03563 33268 BANK TEJARAT IRAN
6 - 8 CLEMENTS LANE, LONDON EC3N 7 AP/ENGL ENGLAND.

ثمن النسخة :

الجمهورية الإسلامية الإيرانية ١٠٠٠ ريال ☐ العراق ٤٠٠٠ دينار ☐ لبنان ١٥٠٠ ليرة ☐ سوريا ٢٥ ليرة ☐ الاردن ١٤٠٠ فلس ☐ الكويت ١٦٠٠ فلس ☐ البحرين ١٨٠٠ فلس ☐ الامارات ٢٥ درهما ☐ قطر ٢٥ ريالاً ☐ عمان ريالان ☐ السعودية ٢٥ ريالاً ☐ اليمن ١٥ ريالاً ☐ مصر ١٥٠٠ مليم ☐ ليبيا ١٩٠٠ درهم ☐ السودان ١٢٠٠ مليم ☐ تونس ١٥٠٠ مليم ☐ المغرب ١٦ درهما ☐ الجزائر ١٤ ديناراً.
وفي باقي دول آسيا وأفريقيا وأمريكا وأستراليا وأوروبا ٧ دولارات أو ما يعادلها.



AHL UL BAIT
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Vol.2, No.6, Oct. -Dec. 1993